THE DAWN BRINGERS

محمد عصمت

الطبعة 2

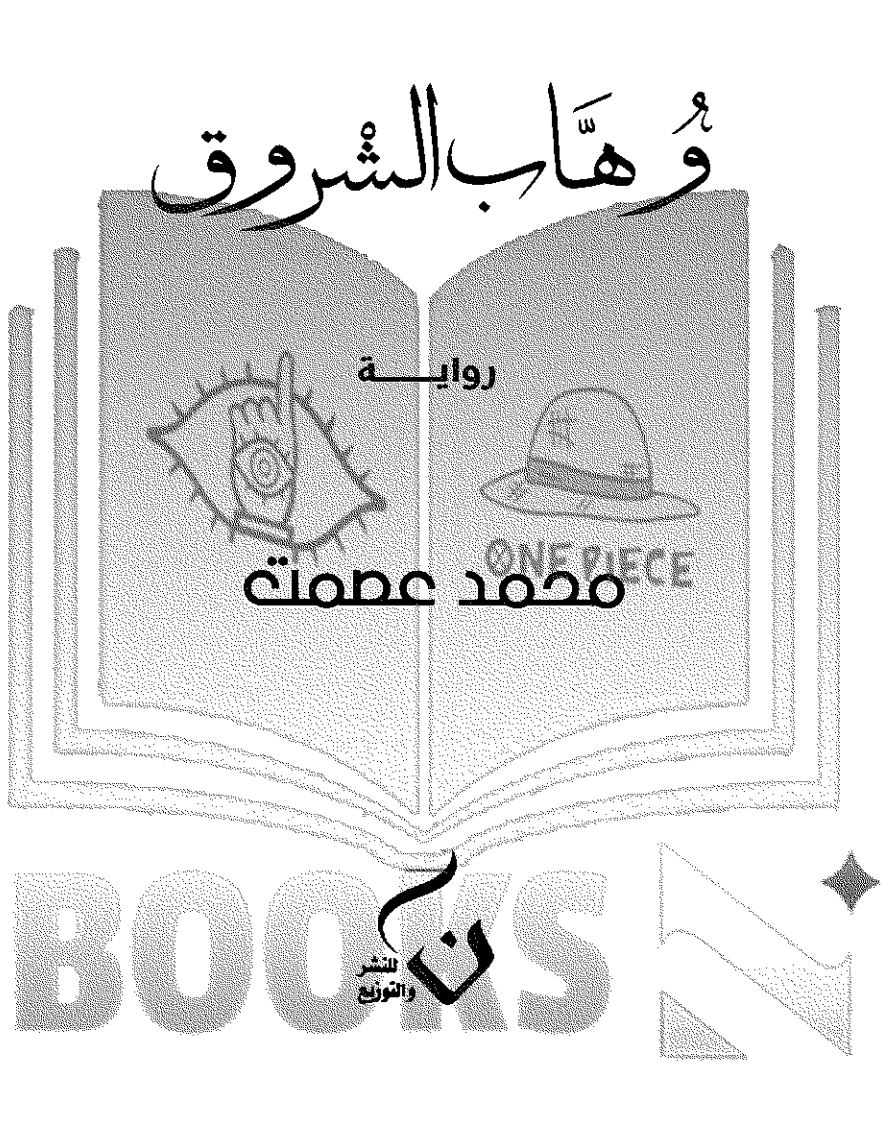
وهّاب الشروق

رواية

وُهَّابِ الشُّروق

رواية

محمد عصمت





لـكُل أبطـال الصمـت، الذيـن يعملـون فـي الخفـاء، المضحّـين بأنفسـهم مـن أجـل الآخريـن.

نحن مُمتنّون لكم حقًا ومُمتنّون لكُل ما تهبونا إياه.

حتـى ولـو لـم نملـك مـن المعرفـة القـدر الـذي يسـمح لنـا بتكريمكـم والاحتفـاء بكـم.

لـكُل وُهّـاب الشـروق ولـكُل مـن هُـم علـى نفـس الشـاكِلة.. شُـكرًا مـن القلـب!

إهداء

زوجتي الحبيبة

من ملكَت لُبي وأسرت قلبي، من أنارَت لي ظلمات نفسي لأرى الوجود جميلًا، إلى من تحمّلت اكتئاباتي وثوراتي وانفعالاتي المُبررة منها والغير مُبررة بابتسامة ساحرة ولين لم أرَ مثله من قبل، إلى من احتوَت نوبات يأسي وجنوني في أسوأ حالاتي النفسية

إليك وحدكِ..

هادي وإياد الأعزاء



بحبكم جدًا.. وخليكم عارفين إن عصبيتي دي من الضغط اللي عليَّا بس.

ربنا يخليكم ليَّا

(1)

لطالما شعر بأن هزَّات السفينة وهي تمخُر عُباب البحر هدهدات حنان على جسده المُنهَك، انقلَب على جانبه الآخر وصوت صفير حاد يتداخِل في حُلمه، كان غارقًا في النوم - كعادته - طالما أنه لا يعمَل، عمله مُرهِق للغاية؛ رغم أنه يقف حائرًا بين مرحلتي الطفولة والمُراهقة، إلا أنه يتمتَّع بصفاتٍ حسنةٍ جعلت منه شخصًا يُعتمَد عليه.

كان مسؤولًا عن نظافة السفينة بالكامِل، بداية من مسح سطحها يوميًا بالماء والصابون، مرورًا بتنظيف غُرف البحَّارة الموجودين على متنها، ثم الذهاب للاعتناء بأمر دورات المياه، وهو أمر كان يفعله -والحق يُقال- بلا غضاضة أو تذمُّر، ثم فرز الأسماك التي تم اصطيادها وهو خارِج ساعات عمله الرسمية بحثًا عن قمامة أو أشياء لا قيمة لها، وتلك تُلقى في الماء مرة أخرى، أو أشياء ثمينة تُقسَّم بين البحارة المسؤولين عن تلك الشُحنة من الأسماك.

ذات مرة وَجد سمكة مُنتفخ بطنها، أبعدها عن زميلاتها لاعتقاده أنها تُعاني من مرضٍ ما، شقَّ بطنها ليجد ساعة ذهبية تلتمِع وسط أحشائها، تذكَّر القصة الشهيرة عن الصيَّاد الذي فتح بطن السمكة بدوره فلم يجد الخاتم، ابتسَم وهو يسلمها للقبطان اليوناني الذي صاح بسعادةٍ وهو يضع كوب جعته جانبًا ويشكره بلغة عربية مُهشَّمة أوصالها: «شكرًا ليكِ، إنتِ أمينة»

لا يعلم لماذا يخاطبه دومًا بصيغة المؤنث، يبدو أنها عادة عند الأجانب، يخلطون دومًا بين الضمائر بهذه الطريقة!

تنتهي ساعات عمله، وتنتهي معها طاقته، يتحرَّك بعدها بخطواتٍ بطيئةٍ نحو غُرفته الموجودة في الطابق الثاني تحت سطح السفينة، لا يستمِع

لسُخرية البحّارة والصيادين منه، ولا ينتبه لطلباتهم التي لا تنتهي، يغرق في النوم بمُجرَّد أن يضع رأسه على الوسادة، لو ترك لعقله زمام الأمور.. فسيجبره على تذكُّر كُل موقِف أليم كان قد مر به في حياته، وربما كذلك أجبره على كتم أنفاسه بالوسادة في النهاية هروبًا من ذكريات لطالما تمنى أن ينساها.

للمرة الثانية يخترق صوت الصفير الحاد أحلامه ليعبث في حبكتها، هذه المرة لم يأته صوت الصفير وحيدًا، كان معه ضيف آخر ثقيل.

سمع صوت طرقات قوية على باب غرفته الخشبي المُتهالِك، انتفض هلعًا وهو يتحرَّك بخطواتٍ سريعةٍ نحو الباب، فتحه.. وتأمَّل الواقف بالخارج بأعين يسكنها النوم والكسل، كان أحد مهندسي الصيانة الموجودين على متن السفينة، صاح به بخشونة: « إلى السطح الآن»

تركه ومضى دون أن يُعقب أو ينتظِر ردًا، انتبه للمرة الأولى من الطريقة التي تهتز بها السفينة، هذه ليست هدهدات أمٍ حنون، بل هي غضب عارِم، كان يخشى غضب الطبيعة للغاية، ارتجّت السفينة بقوة، كاد يفقد توازنه، فاضطرّ للاستناد إلى جدار الغرفة، نفض الكسل عن عينيه وهو يصعد للأعلى سريعًا.

كان البحر هائجًا، أمواجه قوية عاتية، ترتفِع وكأنها على وشك الانقضاض على السفينة لتغرقها، السفينة تهتز يمنة ويسارًا وكأنها بلا حول ولا قوة، يحاول البحارة شد الصواري لكنهم كانوا غير مُستعدين لعاصفةٍ مثل هذه، تعوي الرياح كحيوان جريح لتُزيد الأمر سوءًا، سطح السفينة كان مليئًا بالمياه، رآه القبطان فأشار له نحو مجموعة من الصيّادين مُنهمكين في سحب الشبّاك من المياه، بدوا وكأنهم على وشك السقوط في الماء، أشار له القبطان وهو يصيح بصوتٍ تاه وسط الرياح، لكنه فهم الأمر، إنهم في أمس الحاجة للمُساعدة.

ذهب إليهم وبدأ في مساعدتهم، سُرعان ما انضم لهم المزيد من الرجال، كلما زاد العدد، أضحى الأمر أكثر سهولة، بعد دقائق قصيرة.. كانت الشبكة قد خرجت من بين طيّات الماء، منعهم الظلام واهتزاز السفينة من تبيّن محتوياتها، لكنهم جذبوها على أية حال.

بمُجرَّد أن استقرّت الشبكة ومحتوياتها على سطح السفينة هدأ غضب البحر قليلًا، استكان سطح الماء وانتظمت صفحته وكأن شيئًا لم يكُن، هدأت الرياح كثيرًا، حتى كادت تختفي، انقشعت السُحب والغيوم عن سفح السماء، ارتعد جسد الفتى وهو يتأمل تلك التغيُّرات، طرد خاطرًا كان قد تسلَّل إلى عقله:

«وكأن البحر كان يلفظ ما بداخله بكل كره العالم!»

سمع شهقة من القبطان اليوناني، نظر نحوه سريعًا فرآه يرشم صليبًا على جسده وهو يتمتم بكلمات يونانية لم يفهم الفتى معناها، كانت عينا القبطان مثبتتين على الشبكة، تتبّع الفتى نظراته حتى رآه!

أمام عينيه.. يقبع تابوت أسود اللون، مربوط بعنايةٍ بسلاسل فضية سميكة، مر خاطر آخر في عقل الفتى، حاول أن يطرده لكن الأمر كان أقوى منه هذه المرة.

«وكأنها وضعت لتمنع ما بداخِل التابوت من الخروج!»

ابتعد الجميع عن التابوت بخطواتٍ بطيئةٍ، ارتعدوا، شهقوا، وتبادلوا نظرات مليئة بالخوف والفزع، واحد فقط كان غارقًا في أفكاره، لم ينتبه للدائرة الواسعة التي تكوَّنت من حوله هو والتابوت، أفاق من أفكاره فزعًا على صوت القبطان يقول: « أنتِ.. افحصِ الأمر»

***

حاول الفتى أن يرفض الأمر، أو أن يجادِل القُبطان، لكنه كان يعلم مدى قسوته، عارضه بحَّار ذات مرة منذ سنوات طويلة، وإلى يومنا هذا لا يستطيع الصعود إلى سطح أي مركِب، سفينة، أو قارِب، إلا واستغلَّ القبطان دائرة معارفه من أجل فصله من عمله الجديد، كان يعلم أن مصيره لن يختلف عن مصير هذا البحَّار المسكين، كما كان يعرف جيدًا أنه في أمس الحاجة لنقود هذا العمل.

تمتم بجُملةٍ لم يفهم معناها، لا يعتقِد أن صوته وصل لأقرب الموجودين إليه، والذي - على الأرجح - كان يبتعِد عنه بأمتارٍ عديدةٍ في الوقت الحالي، تطلَّع لهم وهو يحاول أن يخفي رعدةً قويةً سرت في جسده بأكمله، كان القلق يكاد يقفز من عينيه ليفر هلعًا.

اقترَب من التابوت الأسود قليلًا وهو يتأمله في ضوء القمر، لسببٍ لا يعلمه سوى الله شعر الفتى بالشعيرات القصيرة الموجودة على مؤخرة عنقه وهي تنتصِب، زادت دقات قلبه بقوة حتى شعَر أنه يكاد يخترِق ضلوعه، وكأن قدميه مربوطتان بأطنانٍ ثقيلة من الخوف والتردُّد، كان يبذل مجهودًا مُضاعفًا كي يتحرَّك خطوة واحدة، لولا أن ملابسه مبتلة للغاية بفعل المطر الذي كان ينهال من السماء بجنونٍ منذ قليل، لرأى الجميع قميصه يبتل بفعل العرق البارِد الذي ملأ جسده.

سلاسل فضية تحتضِن التابوت، تلمَع على الرغم من وجودها في الماء لفترةٍ لا بأس بها، كان هذا غريبًا للغاية، لكن الأغرب.. كانت الرموز الموجودة على جوانِب التابوت، وعلى الرغم من أن الفتى لا يفهم معناها إلا أنه شعر بشيطانيتها تخترِق روحه بلا هوادة، ارتجف وهو يمد يده ببطء، هذه المرة كانت ترتجِف بشكلٍ لا يُمكِن إنكاره، لمس السلسلة قبل أن يبعد يده سريعًا وكأنها صعقته، تجرأ حين لم يشعُر بشيءٍ ومد يده مرة أخرى، هذه المرة كانت الرعدة التي تغتصِب يده قد هدأت قليلًا، رأى وجه ماعز شيطاني نحيل، يعلوه قرنان أفقيان طويلان، يتوسَّط نجمة

خماسية تدور من حولها دائرة مُنتظِمة، بجواره رمز آخر يشبهه قليلًا، دائرة تدور حول نجمة خماسية لكن هذه المرة تحاصرها ألسنة لهب تتراقص في جميع الاتجاهات، خُيِّلَ للفتى أنه رأى تلك الألسنة تتحرَّك، لكنه هزَّ رأسه سريعًا وكأنه ينفض تلك الفكرة عن رأسه.

مر بيده وهو يتحسَّس تلك الرموز في دهشة، كانت تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها تلك الرموز رؤية العين، عادةً ما كان يراها في أفلام الرعب أو على أغلفة الروايات المُرعِبة التي أصبح يراها في المكتبات في الآونة الأخيرة، رباه.. كم يكره تلك الروايات.

تحوَّل نظره لسطح التابوت، رأى جُملة مكتوبة بلغةٍ غريبةٍ، يراها للمرة الأولى، لكنه على الرغم من هذا.. شعر بأنه يعرف كيفية نُطقها، لا.. شعر بضرورة نطقها!

«ماليديكتا دايس يوديشي كوي أبيريتور أركاي»

لم يفهم معنى الكلمات التي تمتم بها بصوتٍ هامسٍ، لكنه شعر بصدره يؤلمه من شدة ضربات قلبه، ابتلع ريقه بصعوبةٍ بالغةٍ وهو يحاول السيطرة على نفسه، ترى ماذا تعني هذه الكلمات التي نطق بها لتوه؟

ناداه القبطان بغضبٍ وهو يقول: «أنتِ يا كسولة.. لماذا لا تفحصين الأمر؟»

كاد يصيح به بحنقٍ أن يأتي إلى هنا ليفحص الأمر بنفسه، شعر بالغضب يجتاح جسده، ارتعد بقوة وهو يصيح به:

«ماليديكتا دايس يوديشي كوي أبيريتور أركاي»

لماذا نطق بتلك الكلمات؟ لماذا لم يُصح بالرجل أن يأتي إلى هنا ليفحص الأمر بنفسه؟

حاول مرة أخرى، وللمرة الثانية صاح: « ماليديكتا دايس يوديشي كوي أبيريتور أركاي»

مرَّ خاطرُ غريب في رأسه، فكرة مُريبة احتلَّت أفكاره

«هل يتكرَّر التحذير ثلاث مرات من أجل إخلاء أي مسؤولية؟»

صاح به القبطان بغضب: « افتحي الصندوق»

حسنًا يا خواجة.. سأفتحه، مد يده وهو يتحسَّس السلاسل، هذه المرة لم يكُن خائفًا، لم يكُن خائفًا أبدًا، كان يشعر بوجوب فتح الصندوق، كانت هذه من المرات القليلة التي يتفق فيها مع القبطان، تحسَّس الكلمات المحفورة على سطح التابوت وهو يهمس:

« ملعون ليوم الدين من يفتح هذا التابوت»

كانت هذه ترجمة الكلمات الموشومة على سطحه، عرف ترجمتها وعرف كذلك أنها كُتبت باللاتينية القديمة.. كيف عَرِف بتلك الأمور؟ لا يعلم! ولا يهتَم!

أصبح يهتم بأمر واحدٍ فحسب، أن يفتحه، عليه أن يفتح التابوت بأي طريقة مهما كلَّفه الأمر.

أبعد السلاسل عن التابوت، شعر بأنها قوية، لكنه شعر بأنه أقوى، أمسك السلسلة بكلتا يديه وهو يكسرها بسهولةٍ وكأنه يهشِّم قطعة خشب صغيرة، شعر بالأدرينالين يسري في عروقه، الحماس يجتاح قلبه، والقوة تحتل خلايا جسده، رفع غطاء التابوت بقوة وهو يلقيه بعيدًا، سمع الموجودين من حوله يشهقون في دهشة، لأنهم وبمُنتهى البساطة أدركوا مدى ثقل هذا الغطاء حين سقط أرضًا وهو يهشِّم جزءًا من سطح السفينة.

نظر الفتي للتابوت الخالي، كان يراه بعينيه خاليًا، لكنه شعر بشيءٍ غريبٍ، قشعريرة خوف يشعر بها للمرة الأولى في حياته، قشعريرة رعب لم يشعر بمثلها من قبل، هل رأى سحابة دخان أسود كثيفة تتسلّل ببطء من داخِل التابوت؟ أم يا تُرى ظلام الليل يتلاعَب بعقله؟

لكنه كان مُحقًا، رآه الجميع في ضوء القمر، ضباب أسود اللون كثيف يتسلّل ببطء من داخل التابوت ليحيط به، وكأنه هالة من شر تحيط بالفتي المسكين، الذي بدأ جسده يرتجف، كانوا يعتقدون أنه يرتعِد من البرد أو من التوتُّر، لكن أحدهم لم يعلم أن الفتى يجابِه أسوأ كوابيسه طرًا!

كان يرى أمامه وكأن طاقة من نور فُتِحَت في وسط السماء لتنقل له ما يُشبه البث المُباشر، رأى والده المريض الذي يتحمّل كُل شيء من أجل توفير بعض النقود التي تكفي - بالكاد - لشراء الدواء الذي يحتاجه وهو يسعل، يحاول أن ينادي على أي شخص ليستغيث به، كانت والدته تقف في المطبخ، صوت الراديو الذي اعتادت الطبخ عليه كان عاليًا، يصم آذانها عن نداء العجوز المسكين، سعل وهو يمد يده نحو قناع الأكسجين المُسجى على الكومود الذي يجاوِر فراشه، لكن ضعفه وارتعادة جسده الهزيل منعاه من الأمر، سعل دمًا أغرَق به ملاءة السرير البيضاء القديمة، حاول أن يتنفّس لكن رئتيه الضعيفتين لم تقدرا على القيام بالأمر، ارتعد جسده المسكين مرارًا وتكرارًا وهو يخر صريعًا على فراشه الذي تحوّل للحدِ.

أما والدته.. فكانت - كعادتها - تستمع إلى إذاعة القرآن الكريم وهي تُقلِّب حُساء الخضروات الذي يأكله زوجها بشكل يومي لأن معدته لا تتحمّل أي شيءٍ سواه، لم تنتبِه لقشرة البطاطِس التي سقطت أرضًا، انزلقت عليها لتسقط أرضًا، ارتطَم رأسها بقوةٍ بالأرض وهي تسقط دون حراك، بدأت بركة دماء صغيرة في الظهور من تحت رأسها بينما تطلعَت

بعينين شاغرتين نحو سقف المطبخ.

لم تنتبه شقيقته الصُغرى التي جلست تذاكر دروسها في غرفتها لألسنة اللهب التي طالت ستارة المطبخ وبدأت تنتشِر في كُل أرجاء الشقة، لم تر النار وهي تشتعل في مواسير الغاز الطبيعي، لم تشعر المسكينة بالأمر إلا حين دوى الانفجار الذي مزَّق جسدها لأشلاءٍ.

رأوه جميعًا يرتعِد بشدة، كادت أوصاله تتفكَّك من شدة الارتعاد، لكن أحدهم لم ير ما يراه المسكين، لم يتحمّل.. أسرته الصغيرة كانت هي كُل ما يملك أو يهتم بأمره في هذه الدنيا، دونهم.. لا داعي للحياة، أخرج مُدْيَة صغيرة من بين طيات ملابسه، دون تردُّد أغمدها في عينه اليمنى، أدارها قليلًا ليتأكَّد من إتمامه للأمر، لم يسمع صوت الشهقات المُلتاعة التي انطلقت من الرجال الذين تراجعوا خطوة أخرى للخلف، أخرجها بيدٍ ثابتةٍ من عينه اليُمنى ليغرسها في اليسرى دون تردُّد.

توقعوا جميعًا أن الأمر انتهى عند هذا الحد، لكنهم لم يصدقوا ما رأته أعينهم، بدأ الفتى في طعن نفسه مرارًا وتكرارًا، حتى تحوَّل صدره لما يُشبِه المصفاة.

حين انتهى سقط أرضًا دون حراك وهو يتمتم بصوتٍ خافتٍ:

«لقد بدأت اللعنة!»

تنفَّس بصعوبةٍ وهو يُضيف:

«ولن تنتهي أبدًا!»

أمام أعين الجميع ابتعدت هالة الضباب الأسود الكثيف عن جسده المُسجى أرضًا وتطايرت وسط الظلام، حملتها الرياح نحو أقرب الشواطئ إليهم..

(2)

بدأت الطائرة الهليكوبتر تتحضَّر للهبوط على سطح السفينة، لم تكُن السفينة مكانًا مهيئًا لاستقبال هبوط الطائرات، لكن الضرورات تُبيح المحظورات، تأمَّلها هادي بتوتُّر، على الرغم من اتساع سطحها إلا أن دقات قلبه كانت تزداد في عنف، شعر أكرم بتوتُّره وخوفه، حاول أن يطمئنه، وضع يده على كتفه فجفل هادي في خوفٍ جعل أكرم يندم على ما فعل، تجاهل نظرة هادي المليئة بالعتاب كما تجاهل الخطاب الذي كان على وشك أن يُلقيه على مسامعه ليُهدأ من روعه.

في مقعد القيادة كان الطيَّار يستعد للهبوط بالطائرة، تتحرك يداه في تلقائية وسُرعة، وكأنه قام بهذا الأمر آلاف المرات، الفكرة الأساسية هي تقليل قوة الحمل في المروحة الرئيسية، بمعنى تعديل زاوية اصطدام شفراتها بالهواء، بهذه الطريقة يُصبح وزن الطائرة أثقل من وزن الشفرات، عملية لا تتطلب جهدًا كبيرًا، لكنها في حقيقة الأمر تتطلَّب الكثير من التركيز، هذا ما كان يفعله الطيَّار في الأمام.

أما في الخلف انهمك أكرم في مراجعة بعض البيانات على هاتفه المحمول وهو ينظر بين الفينة والأخرى للسفينة، رمق هادي بنظرةٍ سريعةٍ، لاحظ أن الأخير يحاول التماسُك لولا رجفة بسيطة تجتاح جسده بنيَّة كشف أمره، وضع هاتفه جانبًا وهو يُمسك بيده حقيبة جلدية سوداء صغيرة، قبض عليها وكأنه صغير يتشبَّث بدثار أمه، تنفَّس بعُمق وكأنه يحاول أن يمنع ما يختلج داخله من الظهور قبل أن يفتحها، ألقى نظرة سريعة على محتوياتها القليلة قبل أن يلوح شبح ابتسامة متوترة على شفتيه.

هبطت الطائرة بسلام وأمانٍ، ربت أكرم على كتفه وهو يشير له بإبهامه للأعلى في إشارة إلى أنَّه أحسن صُنعا، ابتسم وهو يهز رأسه شاكرًا إياه في

تمتمات خافتة، هبط هادي أولًا ، كاد يتعثَّر أثناء هبوطه لولا أن أمسك أحد البحارة بيده وهو يبتسم ساخرًا ، شعر بالإحراج فشكر الأخير في ارتباك وهو يبتعِد ، تأكَّد من نظافة هندامه وهو يتحرَّك بعيدًا كي يُفسِح لأكرم طريقًا للهبوط، هبط أكرم بثقة ووقف بجوار الطائرة يتأمَّل المكان من حوله.

طويل القامة، رياضي، مفتول العضلات، ممشوق القوام، عريض الكتفين، يقف بثبات وثقة ليتأمَّل الموجودين، شعره ناعم ممشَّط بعناية يلتمع تحت ضوء القمر، دون حتى أن ينبس ببنت شفة، أدرك الموجودون جميعًا أنه المسؤول، زرع داخل قلوبهم شعورًا بالرهبة وإحساسًا بوجوب الاحترام، على عكس هادي الذي يقف مُرتبكًا وقد ارتدى بدلة رسمية واسعة بعض الشيء، شعره أشعث قليلًا بسبب هواء مروحة الطائرة، يطالع الجميع بأعين سكنها القلق ورفع التوتُّر رايته فوق أرضها.

حدَّد أكرم هدفه وبدأ بالتحرُّك نحوه في خطواتٍ هادئةٍ مليئة بالثقة، تأمله قليلًا، مُتجاهلًا الرائحة الكريهة التي تحاصره من جميع الجهات، كما تجاهل رائحة الخمر التي تنبعث من الرجل وهو يسأله في لهجةٍ رسميةٍ: « أين هو؟»

أجابه القبطان وهو يرمقه بكرهٍ: «بالأسفل»

كره الثقة التي يحدثه بها أكرم، كره الطريقة التي جعله بها الرجل رقم اثنين هنا بعد أن كان رئيس جمهورية هذه السفينة، ابتسم أكرم ابتسامة لم تَدُم للحظات قليلة لكنها كانت مليئة بالسُخرية، ذاق الكره من بين حروف الكلمة وعَرِف سببه، التفت خلفه وهو يشير لهادي أن يتبعه، سمع القبطان يسأله من خلفه: « ألا تحتاجين لمن يدلُّك؟»

لم يُكلِّف نفسه عناء الرد.

تفادى جُزءًا مُهشَّمًا في سطح السفينة قبل أن ينادي قُبطانها بسُخرية دون أن ينظُر إليه: «عليك أن تُصلِح هذا الجزء يا صديقي»

بمُجرَّد أن شعر بهادي يسير بجواره، همس قائلًا دون أن ينظر نحوه: «تلك هي مرتي الأولى على سطح هذا المركب، لكن سنين الخبرة علمتني جيدًا أن أستذكر دروسي قبل المواجهة، قضيت الكثير من الوقت أحفظ خريطة وهيكل السفينة أثناء وجودنا في الطائرة، بهذه الطريقة أبدو واثق الخُطى، لا أحتاج لمن يساعدني، بهذا الشكل أزرع في قلوب الجميع هيبتي واحترامي.. هذا هو درسك الأول يا صديقي»

ارتفع حاجبا هادي، لم يتوقَّع أن يعطيه أكرم دروسًا بهذه الطريقة، لكنه تجاهل الأمر، يعرف جيدًا أن أكرم يكره النقاش ويحبذ الطاعة، لذا قرَّر أن يعطيه ما يُحب حتى تستقر أموره قليلًا.

تحرَّك أكرم نحو باب صغير مستطيل الشكل موجود في أحد أركان السفينة، أمسك مقبضه ورفعه عاليًا ليتراءى له سُلَّمُ صغير يقوده نحو الأسفل، أشار لهادي أن يهبط أولًا ثم تبعه وهو يغلق الباب خلفه ليمنع أي أحد من تتبعهم، أحكم أكرم إغلاق الباب خلفه بمزلاج معدني قبل أن يقول لهادي بصرامة: «لا تترك لأي شخص فرصة لمفاجئتك من الخلف، كما لا تترك لمن هو موجود بالداخِل فرصة للهروب.. هذا هو درسك الثاني»

تعجَّب هادي من طريقة تعامُل أكرم مع الأمر برمته، يشعر وكأنه في رحلة مدرسية، لكنه - للمرة الثانية - لم يُعقِّب على الأمر، تبع أكرم في خطواتٍ سريعةٍ مشاها في ممرات الطابِق الموجود تحت سطح السفينة كأنما ولد وتربى هنا، لا يُفكِّر مرتين قبل أن يخطو خطوة أو يدلف إلى ممر ضيق.

***

وقف أكرم أمام غرفة بعينها، كان يتحرَّك بخطواتٍ واثقةٍ تخلو من أي شائبة تردُّد، فتح الحقيبة الجلدية التي كان يحملها بيده وهو يخرج عدة أجهزة إليكترونية صغيرة، ميَّز هادي مُعظمها، لكن هناك بعض الأجهزة التي لم يعرف هويتها، وضع أكرم الحقيبة على منضدة خشبية صغيرة وهو يفرغ محتوياتها بجوار بعضها البعض، نظر إلى هادي ورأى الحيرة في عينيه، فبدأ بشرح الأمر مُشيرًا لأدواته وأجهزته واحدًا تلو الآخر: «هذه كاميرا تصوير رقمية عالية الجودة مزوَّدة بفلاش، أما تلك فكاميرا تصوير عادية جدًا مثل سابقتها لكنها مزوَّدة بفيلم حسَّاس للأشعة تحت الحمراء وعالية السُرعة، هذا مُسجِّل صوت رقمي، وذاك جهاز قياس الحقول المغناطيسية الكهربائية والكهرباء الساكنة، تلك كاميرا فيديو للتصوير الليلي، والموجود بجوارها مقياس حرارة رقمي، أما هذا الأخير فمقياس للأمواج الراديوية، نحتاج لكل جهاز منها كي نتم مُهمتنا، هل أحضرت حقيبتك؟»

قال هادي بتلعثُم وقد غلبه ارتباكه: «لم يعطوني إياها بعد، تحدَّثت إلى مسؤول المهام فأخبرني أنني سأتسلمها مساء اليوم بعد أن يُوقِّع مُدير الإدارة على إذن الصرف»

بدأ أكرم في تصيب مُعداته، تأكَّد من قياسات بعض الأجهزة، وفحص عدسات أجهزة أخرى، تجاهَل تمامًا نظرات هادي المليئة بعدم الفهم له وهو يطمئن أن كُل شيء على ما يُرام، بعد أن انتهى راقَب أحد الأجهزة الخاص بقياس الأمواج الراديوية وهو يشير نحوه قائلًا: « هناك زيادة كبيرة في نسبة الأمواج الراديوية»

أشار إلى جهاز آخر قائلًا: «كما أن هناك تغيُّر ملحوظ في الحقل المغناطيسي الكهربائي الموجود ها هنا»

هز هادي رأسه وهو يحاول أن يستوعِب ويُحلِّل تلك البيانات، أشار له

أكـرم وهـو يقـول بصرامـة: «هـذا هو درسـك الثالِـث.. مُعداتـك مُهمة للغاية في إنقـاذ حياتـك، لا تَحضُـر دون مُعدّات»

حرَّك إصبعه وهو يُشير لباب الغُرفة قائلًا: «هذه هي غُرفتنا المنشودة»

أمسـك مقبض البـاب وهـو يتنفَّس بعُمق، نظـر لهادي بطـرف عينيـه وهـو يسـأله: «هل أنت مُستعِد؟»

وقبل أن يُجيبه هادي، أو حتى يترك له من الوقت ما يكفيه كي يستعِد، فتح بـاب الغُرفة وهـو يقول: «عليك أن تكـون مُسـتعدًا طوال الوقت.. هذا درسك الرابِع»

***

غرفة ضيقة، سقفها مُنخفض، عارية من أي أثاث إلا من منضدة معدنية صدئة مُثبَّتة إلى الأرضية، يقبع فوقها تابوت أسود اللون قبيح الشكل، شعر هادي بالخوف يجتاح جسده، لم يعرف لذلك الخوف سببًا أو مصدرًا، لكنه شعر به يتملَّك حواسه بأكملها، كما شعر بوجود حضورٍ ثقيلٍ انتصبت له الشعيرات القصيرة الموجودة على مؤخرة عُنقه وانتابت عموده الفقري رجفة خافتة.

نظر نحو أكرم الذي وقف أمام الباب الذي أغلقه خلفه بثباتٍ يُحسد عليه، فجأة.. ارتفَع صوت أكرم وهو يقول: «أعلم أنك هنا، وأنك تسمعني جيدًا، لدينا طريقتين لنقُم بعملنا، الطريقة السهلة وهي ما أكرهها لأنها تُقيِّد مُتعتي وتحرمني من البهجة، والطريقة الصعبة وهي ما أعشقها حتى الثمالة.. لكن للأسف، الاختيار ليس لي، بل هو لك، هيا بنا.. ماذا تختار؟»

سمعا صوتًا هامسًا يُجيبهما من الخلف: «أعتقد أنني أفضل الطريقة الصعبة»

قبل أن يلتفت أحدهما له شعرا بجسديهما يطيران وكأنهما دميتان في يد طفل غاضِب، اصطدما بالحائط وسقطا فوق بعضهما البعض، وقف أكرم وهو يمسح خيط دماء سال من أنفه قائلًا بصوتٍ مليءٍ بالسعادة: «مرحي.. إنها الطريقة التي أحب»

وقف هادي وهو يتألم، نظر نحو المكان الذي كانا يقفان فيه منذ لحظات، لكن الغُرفة كانت خالية، همس بصوتٍ يرتعِد: «أين.. أين هو؟»

حرَّك أكرم رقبته في عصبية لينظر نحو السقف، توقَّع أن يراه هناك، لكنه لم يكُن هناك كذلك، عض على لسانه وهو يقول: «نحن في مهمة صعبة، توقَّع أن يظهر في أي وقت وبأي مكان أو..»

قبل أن يُنهي جُملته اخترق طيف ضبابي أسود اللون الأرض من تحت أقدامهما، شعر هادي بقوة غامضة تحمله نحو سقف الغُرفة يمينًا، بينما طار جسد أكرم إلى يسارها، فهِم الأمر دون مُساعدة، فرِّق تَسُد، لابد من تفريقهما أولًا، وهذا ما حدث، انقسم الضباب لقسمين، توجَّه أحدهما نحو أكرم الذي حاول الوقوف ببسالةٍ بينما اتجه الآخر نحو هادي الذي ينتفض جسده من شدة الرُعب.

شعر هادي بيد عظمية نحيلة تُحكِم قبضتها على عنقه، قبل أن يرتفع في الهواء ليصطدم بالسقف، حاصره الضباب في ركن السقف قبل أن يبدأ الضباب في التكثُّف أمامه سريعًا، وللمرة الأولى يظهر ما يواجهانه بشكله الحقيقي.

امرأة عجوز!

امرأة عجوز ذات وجه تملؤه التجاعيد، نحيلة حتى لتكاد أضلعها تخترق جلدها، ترائي له في ظهرها أجنحة جلدية شاحبة، شعرها طويل خفيف

بما يكفي ليتمكَّن من رؤية فروة رأسها، ابتسمت في سخرية، ابتسامة كانت كافية ليرى أسنانها السوداء النخرة وليشتم رائحة كريهة تنبعث منها، أحكمت قبضتها على رقبته وهي تنوح بصوتٍ شيطاني: «ستندم على اليوم الذي حضرت فيه إلى هنا»

شعر بجسده ينتفض مرة أخرى وكأن عويلها كان نذير شؤم، زادت دقات قلبه بشكلٍ لم يحتمله، شعر بألم شديدٍ في صدره، صرخ على إثره صرخة سمعها أكرم بوضوح، كان يقاوم العجوز بنفس شكلها الذي رآه هادي، لكنها كانت تحاصره في ركن الغرفة، تُمزِّق قميصه، رآها تشير بيدها نحو صدره الذي انتفخ وكأنها تحاول انتزاع قلبه منه، شعر بآلام حادةٍ تجتاح ضلوعه، أنَّ بألمٍ وهو يُجبر نفسه على التركيز، مد يده في جيب بنطاله وأخرج زجاجة صغيرة مليئة بمسحوقٍ أبيض اللون، رفعها بصعوبة نحو فمه وصدره يتحوَّل للون الأزرق جراء الضغط الرهيب الذي يشعر به، انتزع سدادتها بأسنانه وهو يلقي بالمسحوق الأبيض في وجهها، صرخت بألم، رأى ألسنة لهب زرقاء تتصاعد أمامه وشم رائحة كريهة تُشبه رائحة اللحم الفاسد المحروق.

سقط أرضًا وهو يضع يده على صدره ويأن ألمًا، رآها تُمسك بوجهها، سمع صرخة جمَّدت الدم في عروقه قبل أن تنظر له وهي تكشِّر عن أنيابها بغضب، تحرَّكت نحوه سريعًا وهي تهاجمه، في اللحظة الأخيرة قفز جانبًا، توقَّع أن تصطدم بالجدار وتسقط أرضًا، لكنها عبرت الجدار كأنها تخترقه وهي تتحوَّل لشكلها الطيفي مرة أخرى.

استغل أكرم الموقف ليخرج زجاجة أخرى من جيبه، بدأ بنثر المسحوق أرضًا على شكل دائرة ووقف في منتصفها، رمق صراع هادي المُعلَّق في ركن السقف سريعًا، لكنه قرَّر أن يتركه قليلًا ريثما يفحص صدره المُصاب.

كان هادي يقاوم أمرين لا هروب منهما، القبضة الشبحية التي تعتصر الحياة من عنقه، وعينيها اللتين يرى فيهما السفينة التي يخوضا تحت سطحها هذا الصراع وهي تحترق، كانت تغرق ببطء والجميع موتى على سطحها، النيران تحرق كل شيء، حتى الجُثث التي تراصت على شكل صليب مقلوب فوق سطحها، لم يحدُث هذا بعد، لكنه كان يرى مُستقبل تلك السفينة لو فشلا في مُهمتهما.

سمع صوت صفير عالٍ، فتح عينيه المغرورقتين بالدموع بصعوبة وهو ينظر نحو مصدر الصوت، رأى أكرم بصعوبة من بين دموعه وهو يُلقي له زجاجة صغيرة، أمسك بها بالكاد، كادت تنزلق من بين أصابعه لولا أن أحكم قبضته عليها، فهم الأمر، فتح سدادتها وهو ينثر مسحوقها الذي تحتويه على العجوز الشمطاء، صرخت بفزع وهي تتركه ليسقط أرضًا بعُنف، سمع صوت أكرم يقول بسُخرية وهو يُشير له لينضم إليه داخِل الدائرة: « لابد من خطة احتياطية دومًا.. هذا درسك الخامِس»

قفز داخل الدائرة وهو يقول بصعوبة: « أين ذهبت؟»

أشار أكرم إلى التابوت وهو يقول: « ستعود»

انحنى وهو يفك جهازًا صغيرًا كان مربوطًا إلى كاحله قائلًا: «وسأكون في انتظارها»

تأمل هادي صدره الذي برزت عروقه وكأنها متورِّمة، بينما بدأ لونه يتحوَّل للأرجواني الفاتِح، قبل أن يسأله بفزع: « هل أنت بخير؟»

ابتسم أكرم وهو يضغط زرًا في الجهاز ليَخرُج منه عمودان معدنيان صغيران، ومن بينهما خُلِقت شرارة كهربائية خضراء اللون، قال أكرم: « لم أكن أحسن حالًا من قبل»

سمعا صرخة عالية، صرخة غير بشرية شقَّت فضاء الغُرفة، ظهرت العجوز في أحد الأركان، على ما يبدو كانت تستجمع شتات نفسها قبل أن تهاجمهما مرة أخرى، لكن أكرم كان مُستعدًا، لم يعرف هادي هوية هذا الجهاز، لكنه عرف فائدته، كان الجهاز يُجبر العجوز على البقاء في حالتها المادية الصلبة بدلًا من السماح لها بالتحوُّل لهيئتها الضبابية.

اطمئن أكرم لكونه يمتلك زمام الأمور قبل أن يضغط زرًا آخرًا من أزرار الجهاز لتخرج من ظهره شبكة معدنية رقيقة للغاية، أحاطت بالعجوز الشمطاء التي صرخت وهي تسقط أرضًا بلا حراك، سوى من انتفاضة خافتة بين الحين والآخر، خرج أكرم من الدائرة وهو يبصق فوقها بغضب.

تبعه هادي وهو يُمسك بذراعه الذي يصرخ ألمًا متسائلًا دون أن يرفع عينيه من فوقها: «ما هذه؟»

انحنى أكرم على ركبته وهو يفحصها عن قُرب قائلًا: «سايوريث»

رفع هادي حاجبيه في دهشة وهو يسأله: «هل أنت مُهتم بقليلٍ من التوضيح؟»

زفر أكرم بألم وهو يقول متأوهًا: «نسيت أنك لم تنتهي من محاضرات الفصائل الشيطانية، تلك سايوريث. شيطانة ويلزية، مُختصّة بالتنبؤ بالموت وتُعذب ضحاياها بإجبارهم على رؤية مصيرهم النهائي وكيف سيموتون، في حال وجدت اسمها صعبًا، فهي شهيرة كذلك باسم: «ساحرة الضباب»

سأله هادي ببلاهة: « ألم تقل إنها ويلزية؟ ما الذي أتى بها إلى مصر؟»

قال أكرم وهو ينظر إليه: «سايوريث تسكُن المجاري المائية، الأنهار، البحار، والمُحيطات، وتنتظر ضحاياها من رواد تلك المجاري»

أشـار نحـو التابـوت قائـلًا: « أحدهـم تغلَّـب عليهـا مـن قبـل، لكـن هـؤلاء البُلهـاء حرروهـا مـرة أخـرى»

أنهـي حديثـه وهـو يفتـح بـاب الغُرفـة، دخـل شـعاع شـمس خافِـت مـن إحد ى النوافِـذ الصغيـرة الموجـودة في جانِـب السـفينة، تطلَّـع أكـرم إليـه وهـو يقـول في سـعادة: «وهـا قـد أتـى الشـروق»

عاد للغُرفة وهو يُمسِك بالشبكة ويرفعها فوق كتفه قائلًا: «هيا بنا»

تساءل هادي بدهشة: « إلى أين؟»

ابتسـم وهـو يقـول: «إدارة وُهَّـاب الشـروق، كُـل الطـرق تـؤدي لإدارة وُهَّـاب الشـروق، هـذا هـو درسـك الأخيـر»

***

صعـدا إلى سـطح السـفينة مـرة أخـرى، اختفـت عـلامـات الألـم مـن علـى وجـه أكـرم تلقائيًـا وكـأنها لـم تكُـن موجـودة، تحـوَّل وجهـه للوحـة رُسِـمَت بألـوانٍ مـن ثقـة، تأمـل الجميـع وهـو يبتسِـم بسُـخرية قبـل أن يُلقـي بالسـايوريث أرضًـا، زأرَت في عُنف، شهقوا وهم يتراجعون للخلف، صرخت بصوتٍ مُرعِب: «لن تهنأ بحياتك يا أكرم، سأقتلك!»

قهقـه في سُـخرية وهـو يركلهـا بحذائـه قبـل أن ينظُـر للسـماء مُتحديًـا قُـرص الشـمس الـذي بـدأ في الصعـود لكبِـد السـماء قبـل أن يقـول: «يبـدو أنهـم قـد وصلـوا»

نظـر لـه هـادي بدهشـة وهـو يتأمَّـل السـماء الخاليـة قبـل أن يقـول: «مـن هُـم؟»

نظـر إليـه وهـو يبتسِـم بثقـة قبـل أن يقـول: «سـترى خـلال ثـلاث ثـوانٍ.. اثنتيـن.. ثانيـة واحـدة.. الآن!»

أنهى جُملته وهو يُشير إلى السماء، وحينها رآهم الجميع، طائرة هليكوبتر اخترقَت السُحب وغيوم السماء لتظهر من بعيد وهي تقترِب، وخلال دقائق قليلة كانَت قد حطَّت على سطح السفينة بجوار سابقتها، تبادَل قائدي الطائرتين التحيات قبل أن يقتربا من بعضهما البعض وهم يتبادلان الحديث، بينما هبط من الطائرة الجديدة رجل نحيل وطويل، شعره طويل بعض الشيء، يرتدي نظارات طبية تستقِر على طرف أنفه لتترُك له مساحة كافية ليتطلَّع إلى الجميع من فوقها.

اقترب من أكرم وصافحه بطريقة رسمية، وإن شابها الكثير من الود وهو يقول: « هل هؤلاء كُلهم؟»

هزَّ أكرم رأسه وهو يقول: « وهُم ملك يداك، سبعة وأربعون شخصًا بالتمام والكمال، وجُثة وحيدة موجودة في الأسفل»

ابتسم الرجل وهو ينظر للسايوريث التي كانَت تُراقِبه بحقدٍ قبل أن تزأر في وجهه، انتفض جسد هادي قليلًا، بينما اتسعت ابتسامة الرجل قليلًا – وقد كان مُعتادًا على الأمر – قبل أن يُصافِح أكرم مرة أخرى وهو يقول: « شكرًا لك، تستطيع الانصراف الآن، وبالتوفيق»

حيَّاه أكرم بهزَّةٍ من رأسه وهو يحمل الشبكة على ظهره مُتجاهلًا تمامًا السايوريث التي بدأت تعول في شر، وهي تتوعَّد أكرم بمصير يشيب له الولدان، شعر هادي بالحيرة وهو ينظُر للرجل الذي توجَّه نحو القُبطان وهو يُخرِج من جيبه شارة لم يتبيَّن هادي ملامحها، وجد نفسه قد تأخَّر عدة خطوات خلف أكرم، أسرع الخُطى وهو يسأله بهمسٍ مليء بالفضول: « من هذا؟ وأين يذهبون؟»

قال أكرم وهو ينظُر نحوه بطرف عينه: « هذا أحد المسؤولين في قسم التعبئة العامة، وسيذهبون للتجنيد الإجباري»

قال هادي وعلامات الدهشة ترتسِم علي وجهه وتحتَل ملامحه: «التجنيد الإجباري؟ لكن أغلبهم من اللذين تخطوا سن التجنيد ، ومنهم كذلك بعض الأجانِب»

نظر أكرم للخلف وهو يُراقِب علامات عدم الرضا الممزوجة بالخوف التي بدت على وجوه الجميع قبل أن يقول: «البلد تحتاج لأولادها في كُل وقت ومن كُل الأعمار»

قبل أن يغمز بعينه وهو يُشير نحو القُبطان قائلًا: «وتحتاج كذلك لبعض من عاشوا فوق أرضها»

نظر للشمس وهو يقول: « شروق جديد.. بفضل وُهَّاب الشروق»

قبل أن يتجه سريعًا نحو الطائرة وهو يستعِد للعودة مرة أخرى، أصبَح لا يطيق الابتعاد عن الإدارة في الفترة الأخيرة، سار هادي خلفه في صمت دون أن يفهم شيئًا مما قيل، أراد أن يطرح المزيد من الأسئلة.. لكنه قرَّر أن ينتظِر للوقت المُناسِب.



(3)

منذ بدء الخليقة والبشر يعيشون، جاهلين وجود عشرات الصراعات من حولهم، كُل صراع منها كفيل بتغيير خريطة هذا الكوكب للأبد، كفيل بتغيير مصائرهم وهدم حيواتهم.

لكن غرورهم يجعلهم يعتقدون أنهم المُسيطرين على كُل شيء، وأنهم العامِل الذي يُشرف على آلة ضخمة تدور تروسها فتهبهم الحياة، غير عالمين بأنهم مُجرَّد مسمار صغير في أصغر ترس من تروس تلك الآلة.

وهذا ليس غريبًا على بني البشر، لطالما ظنوا أنهم المخلوقات الوحيدة التي تعيش على سطح هذا الكوكب، ناهيك عن جوفه، وعن ملايين الكواكِب الأخرى.

تختلِف الصراعات وتختلِف نتائجها، لكن صراعًا واحدًا منها كان له نصيب الأسد من الأولوية والأهمية.

صراع جماعة مُعيَّنة من البشر مع مجموعة من أقوى وأعتى الشياطين التي تعيش على سطحه، صراع يومي لا ينتهي ولن ينتهي أبدًا في أي وقت أو أوان قريب، صراع كفيل بتغيير كُل شيء.. وللأبد.

في كُل يوم.. ومنذ غروب الشمس، تعيث الشياطين في الأرض فسادًا، مطمئنين أن الشمس غير موجودة لتحرقهم أو لتقيّدهم وتمنعهم من القيام بآثامهم ودنسهم، لكن تلك الفترة لا تكفيهم أبدًا، ما زالت الشرور تفيض في قلوبهم لتُغرِق أرواحهم، يكادوا يختنقون من كثرة الشر في نفوسهم، ويحتاجون لبث تلك الشرور في عقول البشر وأرواحهم.

لكن الشمس تُشرِق يوميًا لتمنعهم من القيام بالأمر، يحتاجون للقليل

من الوقت ليفرضوا سيطرتهم على سائر المخلوقات، يحتاجون للقليل من الوقت ليعيثوا في الأرض فسادًا لا ينتهي، يحتاجون لتأخير شروق الشمس ولو لبضع ساعات!

ولكل حاجة وسيلة!

ولحاجتهم كان فيلق من أشر الشياطين وأسوأها طرًا، مُهمته الوحيدة هي تأخير شروق الشمس، باذلين في سبيل ذلك أرواحهم الدنسة ودمائهم النجسة، لكن البشر كشفوا مُخططهم، وحاولوا وأده في مهده، حاولوا التصدي لهم ولخطتهم الشريرة، لكنهم مهما كانت قوتهم، ما زالوا أضعف من تلك المخلوقات، تصدّوا لهم ليلة، ليلتين، شهرًا، عامًا كاملًا، لكن ماذا بعد؟

ما زالوا الطرف الأضعف في تلك المعركة رغم كونهم استطاعوا تأخير العمل لمُدة عام كامل، حتى جاءت المعركة الأخيرة.. التي انتصروا فيها لكنه كان الانتصار الأخير!

راقبوا شروق الشمس وهم يعرفون يقينًا أنه الأخير، مات قائدهم بعد أن استطاعت الشياطين أن تحصد روحه، وأسروا نائبه، أصابوا وجرحوا خيرة رجالهم دون أن يستطيعوا حتى أن يردوا لهم الصاع بمثله، حين أتى الغروب بكوا من قلوبهم، راقبهم من حولهم في حيرة، لماذا يبكون بهذه الحُرقة؟

لكن أحدهم لم يعرف الإجابة على هذا السؤال..

توقّعوا أن الشروق لن يأتي، وأنهم شهدوا للتو الغروب الأخير، لأن ما بعده ظلامًا لن يبدده شعاع نور.

لكن جماعةً من المُقاتلين الأشداء استطاعوا دحر فيالِق جيوش

الشياطين، هزموهم شر هزيمة، أذاقوهم مرارة الخسارة واليأس، ووهبوا الأرض شـروقًا آخـرًا..

ومـن يومهـا وهـم موجـودون دائمًـا في خدمـة الـكوكـب وسـاكنيه حتـى لو لم يعرفـوا عـن وجودهـم وعـن بطولاتهـم شـيئًا، منذئـذ ووُهَّـاب الشـروق في خدمـة الأرض دون مقابِل.

تطوَّر الأمر بمرور الوقت، وتطوَّرت كتائب وُهَّاب الشروق، تعلَّموا من أخطاء سابقيهم ووسَّعوا من نشاطهم، درَّبوا رجالهم ووصوهم على بذل الدم والجُهد من أجل وهب الشروق للأرض بشكل يومي، وتطوَّر الأمر من مُجرَّد زُمرة من المُقاتلين الشجعان، حتى أصبحوا «الإدارة العامة لوُهَّاب الشروق».

***

أنهى مُدير الحديقة خطبته الأولى وهو يُشير نحو الجالسين أمامه من دُفعة المُستجدين ومن إدارة المكان، رأى عيون الجميع وهي تلتمِع من فرط الحماس، شعر بالدفء يغزو قلبه فخرًا بنفسه وبالخطاب الذي ألقاه.

ابتسم هادي وهو يشعُر بقليلٍ من الضجر، كونه يسمع هذا الخطاب للمرة الثالثة، بعد أن سمعه مرتين من قبل مرة حين وصل للإدارة كمُستجَد، ومرة أخرى حين ساعَد وشارَك في تنظيم حفل استقبال الدفعة السابقة، تاه وسط خواطره قليلًا وهو يشعُر بالإرهاق، منع نفسه من التثاؤب بصعوبة، يعرف جيدًا أن التثاؤب في مثل تلك المُناسبات دليل على الملل الشديد، وهو شيء مُحرج للغاية حين يحدث بين الضيوف، فما بالك حين يتثاءب أحد المُنظمين للحدث نفسه!

لن تكون إشارة جيدة بكُل تأكيد!

سمع صوت شخص يُصفِّق بمُفرده أولًا ، أفاق من شروده وهو يبحث عنه بعينيه حتى وجدها ، ترتدي زي المُستجدين المُميّز ، كانت صغيرة الحجم قليلًا ، نحيلة الجسد ، لكن مفاتنها الأنثوية تعوّض نحولها بشكلٍ لافتٍ للأنظار ، شعرها البني الناعِم منسدل فوق كتفها الرقيق ، صفّقت بحماس بمُفردها قليلًا قبل أن تنتشِر حمى التصفيق لتُصيب كُل من حولها بالعدوى ، وخلال ثوانٍ قليلة.. كان الجميع يصفقون بحماس.

ابتسم المُدير مزهوًا بنفسه وهو يضع البطاقة التي كَتَب بها النقاط الرئيسية التي سيتحدّث بها خلال خطابه ، وأمسك البطاقة التي تليها والمكتوب فيها بقية النقاط التي سيتحدّث فيها الآن ، قبل أن يقول عبر مُكبّر الصوت المُثبّت أمامه على المنصة: « شكرًا.. شكرًا لكم»

وخلال ما يقترب من الدقيقة بدأ صوت التصفيق يخفت تدريجيًا ، حين اختفى الصوت وساد الصمت بدأ في الجزء الثاني من خطابه: « أعرف أنكم أتيتم إلى هنا من أقسام مُختلفة ، منكم من أتى من المُخابرات العامة ، المُخابرات الحربية ، المُدفعية ، وغيرها من الأقسام العسكرية ، منكم المُهندسون ، الأطباء ، العُلماء ، الصيادلة ، وبعض المُحاسبين ، أتيتم جميعًا إلى هنا لتساعدونا في استمرار وهب الشروق لكوكب الأرض ، ويجب أن تعرفوا شيئًا هامًا.. طالما أنتم هنا ، فأنتم تستحقون هذا المكان فعلًا ، لو تعلمون عدد البشر الذين يتقدمون سنويًا بطلبات للالتحاق بالإدارة العامة في جميع أنحاء العالم ، كُل واحد منكم داخله بطل.. حتى ولو لم يكُن يعرف بوجوده بعد..

نحن هنا من أجل وهب الشروق للكوكب ، وكي نفعل هذا لابد من أن نتضافر ونتعاون سويًا ، لا يوجد هنا طبقية ولا تفرقة ، كلنا واحد.. كلنا سواء ، المُحاسِب القائم على حساب المُرتبّات يحمل ذات القدر من الأهمية مع صيَّاد الشياطين ، عامل النظافة الذي يمسح الأرضيات له ذات الأهمية لرئيس المركز الطبي»

ألهب حديثه حماس الموجودين فانطلقوا يصفقون بحماس مرة أخرى، أحنى رأسه قليلًا في تواضع وهو ينتظر أن يهدئوا قليلًا، وحين هدأت الأجواء بدأ يستكمِل حديثه: «عادةً.. عادةً ينتهي الخطاب عند هذا الجُزء، قبل أن يتم تقسيمكم إلى مجموعات تتحرَّك كُل منها بصُحبة مُشرِف من قدامى الموجودين هنا للقيام برحلة أو جولة في أرجاء المكان من أجل التعرُّف عليه، بدءً من القسم الأمني، مرورًا بمخزن السلاح، قسم المُحاسبة، قسم التجارُب العلمية، قسم فك الشفرات، قسم المُهمات، مخزن الأدوات الإليكترونية، قسم التجارب الكهرومغناطيسية، حديقة الشياطين، انتهاءً بعنابر النوم»

صمت قليلًا ليُضفي بعضًا من الدراما على خطابه قبل أن يستكمل قائلًا: «لكننا اليوم نخضع لظرف استثنائي»

سرت القليل من الهمهمات بين المستجدين الذين - وبكُل تأكيد - كانوا يتوقون للقيام بتلك الرحلة، لكنه قرَّر طمأنتهم قليلًا فقال: « ستقومون بجولتكم.. لكن ليس اليوم، لأننا اليوم نتشرف باستضافة إدارتنا لزيارة هامة للغاية من أحد كِبار المسؤولين في هيئة التفتيش العامة، زيارة مثل تلك ورتبة مثل هذه جعلا الحديقة بأكملها في حالة طوارئ، رحبوا معي بالسيد آديتيا مالهوترا»

أشار بيده نحو رجل هندي يبدو هامًا للغاية، يجلس بثقة وقد أراح قدمًا فوق الأخرى فوق أحد مقاعِد الشخصيات الهامة، ابتسم بخفوت كنوع من أنواع المُجاملة قبل أن تتلاشى ابتسامته وهو ينظُر في ساعته بملل، كان يتوق للغاية إلى انتهاء هذا الخطاب السخيف من أجل بدأ تحقيقه الخاص سريعًا.

سمع صوت المُدير يستكمِل خطابه: « لكن اسمحوا لي أن أحدثكم قليلًا عن حديقة الشياطين.. أعرف أن كثيرًا منكم يُمني النفس بزيارتها

أو رؤيتها، من منكم متحمِّس لزيارتها؟»

رفع المستجدون جميعًا أيديهم للأعلى في حماسٍ بالغ، تذكَّر زيارته الأولى للإدارة، وجولته داخِل الحديقة ومدى انبهارِه وعدمِ تصديقه لما يرى بعينيه!

ابتسم للحظة قبل أن يقول: «حديقة الشياطين ببساطة هي حديقة أشبه ما يكون لحدائق الحيوان، لكن بدلًا من الأقفاص ذات القُضبان المعدنية، هنا أقفاصنا مصنوعة من الزجاج، وتحيط بها حقول من الطاقة الكهرومغناطيسية التي تشل حركة تلك الشياطين وتُمكّننا من السيطرة عليها.

لطالما مثَّل العالم الآخر لغزًا مُحيرًا لنا، لم يجرؤ على سبر أغواره سوى فئات قليلة من الباحثين، العُلماء، المُهتمين بالأمور الما ورائية، وبعض الكُتَّاب والمؤلفين القليلين للغاية.

تلك الفئات كوَّنت العديد من التجمُّعات الموجودة في مواقع ومُنتديات الإنترنت، لكنهم كانوا يخشون دومًا الإعلان عن هوياتهم الحقيقية خوفًا من اتهام الناس لهم بالجنون، خصوصًا في مُجتمعاتنا الشرقية، حيث ينظرون لنا طوال الوقت على أننا مجموعة من الحمقى والمُخرِّفين.

أتذكَّر رؤيتي ذات يوم لموضوع في أحد تلك المُنتديات السرية، ظهر حساب جديد غامض اسمه صائد الشياطين، لم يعرف أحدهم هويته الحقيقية، لكنه ظهر وطَرَح سؤالًا عن أكثر صورة حقيقية مُخيفة قد رأيتها من قبل؟

تباينت الإجابات واختلفت الصور، منهم من وضع صورًا لجلسات تحضير أرواح قديمة، أو لمقابر مهجورة تظهر بها كيانات غامضة، ومنهم من وضع صورة لمُجمّد قديم تظهر به عشرات الأجزاء المقطوعة من جُثث وقال

إنه وجدها في أحد مواقع الإنترنت المُظلِم، لكن لغرابة الأمر.. لم تكُن صورته هي أغرب صورة ولم تكُن إجابته هي أعجب إجابة، وضع صائد الشياطين صورة لكائن غريب، يُشبه القرد لكنه طويل للغاية، جسده مليء بالفرو الأسود، ذراعيه طويلين للغاية حتى يكادا يلمسان الأرض، قدميه نحيلتين للغاية حتى لتتعجَّب كيف يستطيع التوازن فوقهما!

قال إنه الشيطان الخاص بالجاثوم وأنه استطاع اصطياده!

بالطبع اتهمه العديدون بالجنون، ووصمه الكثيرون بالخبل، لكنه لم يرُد على أيهم، بعد بضعة أيام ردّ على الجميع بطريقة لا تحمل أي شك، رفع على المُنتدى مقطع فيديو له وهو يرتدي قناعًا مخيفًا يخفي ملامح وجهه، تحدَّث لهم قليلًا بصوت أجش وقال إنه قد أتاهم اليوم ومعه دليل لا يقبل الشك، حرَّك الكاميرا ليظهر شيطان الجاثوم من خلفه وهو يزأر بغضبٍ عارم!

اتهمه الكثيرون بفبركة المقطع، قالوا إنه جزء من فيلم شهير، اتهموه بأنه دجَّال ونصَّاب، لكن قليلين تواصلوا معه، قليلين طلبوا معرفة الحقيقة، والاستزادة من علمه!

وخلال أيام قليلة للغاية، مُسِحَت كافة الصور، اختفى صائد الشياطين تمامًا وكأنه لم يوجد من قبل، توقّع الجميع أنه قُتِل أو لعب بالنار كما يقولون، لكن أحدًا لم يعلم الحقيقة، الحقيقة.. أننا تواصلنا معه، أن يفعل شخص هذا الأمر دون تدريب أو تجهيز مُسبَق، فهذه عبقرية لابد من استغلالها، وبالفعل كان رجلًا مُحترمًا ووافق على الانضمام لنا.

اخترناه للعمل كصائد شياطين بعد اختبارات كثيرة وفحوص عديدة، سيداتي آنساتي ساداتي.. صفقوا لبسّام أنور، أحد أمهر صيادينا وأكثرهم حبًا وإخلاصًا للمكان.»

أنهى كلماته وهو يُشير نحو رجل أحنى رأسه وقد احمرّ وجهه خجلًا، كان المُدير قد استأذنه أن يستعين بقصته في خطابه من أجل تسهيل شرح فكرة الحديقة والإدارة للمُستجدين، بدلًا من إضجارهم بكلمات ثقيلة ولغة أكاديمية كفيلة بقتلهم مللًا.

ابتسم هادي وقد أدرك أن الفقرة الأخيرة من الخطاب قد أتت، أشار له المُدير أن يتقدَّم، هزَّ رأسه شاكرًا وهو يتحرَّك سريعًا نحو المنصة ويصعدها في رشاقة، شكر المُدير الذي ابتسم وهو يُعطيه مُكبّر الصوت في يده، تجاهل هادي دقات قلبه الوجلة وهو يواجه الحضور المُتحمِّس للغاية بعد خطاب المُدير، صمت قليلًا قبل أن يقول: «مساء الخير.. أنا.. عادةً ما أتوتَّر في مثل هذه التجمُّعات، لكن اسمحوا لي أن أعرفكم بنفسي أولًا، اسمي هو هادي طاهر، من الجيل الثاني، وهذا يعني أن أحد أقاربي من الدرجة الأولى كان من العاملين في الإدارة، في حالتي.. كان والدي»

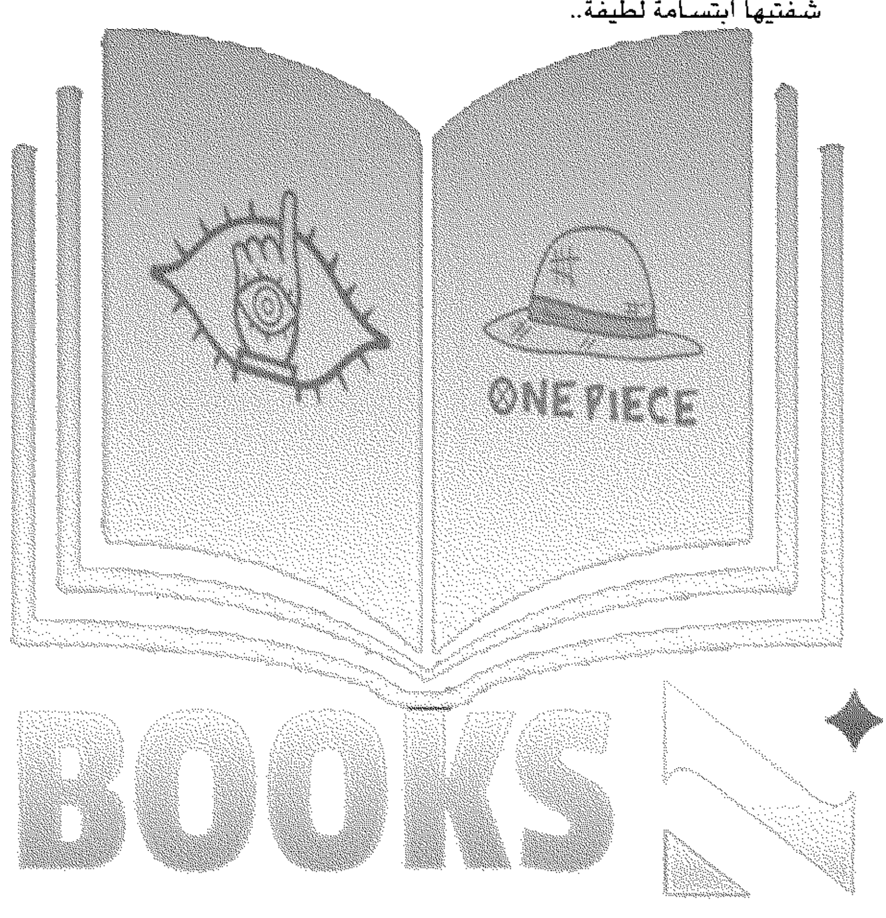
صمت قليلًا مُستمتعًا بالتصفيق له ولوالده قبل أن يستكمِل حديثه: «هذه الإدارة هي واحدة من عدة إدارات موجودة في أماكِن مُختلِفة في العالم، إدارة تعمل في صمت، لا تصنع الكثير من الضوضاء، هذه الإدارة تتشرَّف اليوم بانضمام نُخبة من أفضل الرجال والسيدات إليها»

نظر إلى مُدير الإدارة والمسؤولين بجواره وهو يقول: « سيدي المُدير، حضرات السادة المسؤولين المُحترمين.. هل تسمحوا لي أن أطلب منكم التصفيق لجنودنا الجُدد؟»

وقبل أن يُنهي كلمته كان جميع القدامى واقفين وهم يصفقون للمُستجدين في مشهد استقبال لم يكونوا يحلمون به قبل أن يسمعوا خطابه، زفر وهو يطرد توتره من صدره، ابتسم وهو يُراقِب مراسِم الانصراف الودية التي بدأت تحدُث أمامه، لم يكُن يتوقَّع أن يلقى خطابه

هـذا القـدر مـن الاستحسـان، هـبـط مـن فـوق المنصـة وهـو يتلقـى تحيـات الـكـثـيـريـن، وقـف ليلتقـط أنفاسـه وحيـدًا قـبـل أن يراهـا تقـترِب منـه..

الفتـاة الـتي أشـعلت المـكان تصفيقًـا في البدايـة، اقتربـت وهـي ترسِـم علـى شـفتيها ابتسـامة لطيفـة..



(4)

وقف هادي مُبتسمًا وهو يستمِع إلى همهمات الحضور من حوله، بين مُتحمّسين لبدأ الجولات في الغد أو المُستحسنين للتنظيم ولجودة الخِطاب الذي ألقاه المُدير لتوه، ومن بين فوضى الزحام رآها تقترب منه، الفتاة التي أشعلَت المكان بأكمله تصفيقًا في المقام الأول.

ابتسمت له وهي تقترب فعرف أنها تقترب منه، بادلها الابتسام في دبلوماسية وهو يُرحّب بها، انتظر إلى أن وصلت أمامه، كما انتظر أن تمد يدها أولًا قبل أن يمد يده ليُصافحها، قالت بصوتٍ عالٍ ضاعت ملامح حروفه وسط ضوضاء الحشد: « أنت هافم طالت؟»

اقترب منها قليلًا وهو يضع يده على أذنه دلالةً على أنه لم يسمع ما قالت للتو، اقتربت منه أكثر وهي تقول: «أنت هادي طاهِر؟»

ابتسم وهو يهز رأسه إيجابًا قبل أن يُشير لها لتتبعه، سار وهي من خلفه نحو المنصة، مُبتعدًا قليلًا عن الزحام، وبالطبع بعيدًا عن الضوضاء، ابتسم وهو يقول: « أنا هادي بشحمه ولحمه»

أشارت من حولها بيدها في إشارة للمكان وهي تقول: «مجهود رائع»

ابتسم وهو يضع يده على صدره قائلًا: «شكرًا لكِ، بذلنا قصارى جُهدنا من أجل تنظيم حفل يليق بالإدارة وبحضراتكم»

قالت وهي تُشير نحوها: «أنا ليلى عز الدين، وذلك هو يومي الأول هنا بعد أن أنهيت اختباراتي العملية والنظرية واستحققت مكاني ها هنا»

قالتها في فخر، وعلى الرغم من أنه لم يطلُب منها سماع تلك التفاصيل، لكنه كان يعرف جيدًا مدى الفخر الذي يشعُر به المرء بمُجرَّد التحاقه

بهذا المكان، قال بصدقٍ: « حسنًا فعلتِ، أنا مُتأكِّد أنكِ تستحقين مكانكِ هنا»

قالت فجأة ودون مُقدِّمات: « أنا أعرف والدك!»

رفع حاجبيه في دهشة وهو يقول: « حقًّا؟»

هزَّت رأسها، كادت تُضيف شيئًا آخرًا لولا أن اقترب رجل قمحي البشرة حليق الرأس منه، مال عليه وهو يهمس في أذنه بجُمل تشجيعية، شكره هادي وهو يشعُر بالزهو، ودَّعه الرجل، اعتذر لها قائلًا: « أنا آسف حقًا، أكملي حديثكِ، أنا أسمعكِ»

قالت بصوتٍ عالٍ بعض الشيء: « كُنت أخبرك أنني أعرف والدك! قرأت عنه وعن خدماته التي قدَّمها للمكان في الأرشيف، كما رأيت اسمه منحوتًا على حائط الشرف وسط أسماء شُهداء الواجِب»

ظهرت علامات الحُزن على وجهه للحظة، كان قد تدرَّب كثيرًا على إخفاء مشاعره عند حديث الآخرين عن والده الراحل، لكنه لا يزال يشعُر بالحزن يملأ قلبه ويطفو على روحه في بعض الأحيان، خصوصًا في أوقاتٍ مثل هذه، حين يشعُر بالإرهاق، قالت بأسفٍ: « أنا آسفة، لم أكُن أقصد أن.»

ابتسم وهو يقول: « لا عليكِ، أتفهَّم الأمر»

اطمأن قلبها حين رأت ابتسامته وإن كانت نظرته لا تزال مصبوغة بقليلٍ من الحُزن، قالت في محاولة لتخفيف وقع الأمور قليلًا على قلبه: « كان رجلًا عظيمًا»

ابتسم وهو يشكرها قائلًا: « أشكركِ»

قالت في حماس فجأة: « هل زرت حائط الشرف من قبل؟»

هزَّ رأسه وهو يقول: « أعرف أن إجابتي عادةً ما تكون مُفاجئة للعديدين، لكن على الرغم من كوني هنا منذ ما يقارِب الثلاث سنوات، إلا أنني لم أزر الحائط حتى الآن، هذا هو المكان الوحيد الذي لم أقترب منه»

فهمت شعوره، عرفت ما يعتمِر في قلبه من مشاعر، حاولت تخفيف وطء الأمور قليلًا، قالت في مرح: « هل تعرِف متى ستبدأ الجولات التعريفية؟»

نظر بطرف عينه نحو الزائِر الذي يقف في أحد الأركان وهو يتحدَّث مع مُدير الإدارة في عصبية، قبل أن ترتحِل عيناه لتقطُر لملامح المدير الذي يبدو عليه الاستياء حقًا قبل أن يقول: « كان من المُفترض أن تتم الآن كما سمعت في الخطاب، لكننا سنؤجلها إلى الغد من أجل التحضير لتلك الزيارة»

نظرت ليلى من فوق كتفها وهي تقول: «هل تعرِف ماذا يفعل هنا؟»

ابتسم وهو يقول: « لو سُمِح لنا أن نعرف.. سنعرِف»

فهمت الأمر، كادت تسأله عن شيء آخر لولا أن رأت ابتسامة تظهر على وجهه، كان يُراقِب شخصًا ما يقترِب من خلفها، نظرت ورائها ورأته، يرتدي قميصًا مفتوحًا بعض الشيء يكشف عن عضلاته كما يكشِف عن رباطٍ طبي ملفوف حول صدره الذي بدا مزرقًا بعض الشيء من تحته.

قال أكرم في مرح: « أتمنى أن تكون الأمور قد مرَّت على ما يُرام»

أشار هادي للمكان من حوله، مُشيرًا إلى نظرات الرضا التي تبدو على وجوه الجميع قبل أن يقول: « باستطاعتك أن تُراهِن على ذلك»

كاد أكرم يجيبه بشيء ما، لكن عينيه وقعتا في عيني ليلى التي كانت

تتأمله، لم ترفع عينيها عن عينيه، يتحرَّك إنسان عينها يمنةً ويسارًا دون توقُّف، ابتلَع أكرم جُملته وهو يقول: « أهلًا»

ابتسمت وعيناها ترفضان التخلي عن عينيه وهو تقول: « أهلًا بحضرتك»

قبل أن تشعُر بأنها أطالَت من النظر إليه أكثر مما ينبغي، احمرّت وجنتيها قليلًا وهي تنظر نحو هادي الذي رفع حاجبيه في دهشة وهو يتأمَّل نظراتها الغريبة، والطريقة التي يتطلَّع بها أكرم إليها، قبل أن يسمعها وهي تقول: « لا تقول.. أكرم هو الضابط المسؤول عنك؟»

ابتسم وهو يهز رأسه قائلًا: «للأسف»

قهقه أكرم ضاحكًا وهو يتأمَّل نظرة الحسرة الكوميدية التي ارتسمَت على وجه هادي قبل أن يقول: «وكأنك كُنت تحلم أن يدربك خبير مثلي..»

قالت وهي تنظر لأكرم مرة أخرى وصوتها يتهدَّج قليلًا: «أنت محظوظ للغاية!»

قال أكرم وهو يضحك: «يبدو أن صديقتنا هنا تعشق المُبالغة قليلًا»

ابتلع ريقه قبل أن يقول لهادي: « يبدو أنك مُتعَب، اذهب لتنل قسطًا من الراحة»

قال هادي وهو يُمطّط جسده: « أنا مُتعَب فعلًا، لكن بإمكاني أن..»

وضع أكرم يده على كتفه وهو يقول: «لا تُرهق نفسك، لا نريد لشخص مُجتهدٍ مثلك أن يبدو مُرهقًا في الغد، لا تقسو على نفسك واذهب لتنل قسطًا من الراحة، لديك الكثير لتفعله غدًا»

كان جسده يؤلمه بالفعل، بينما تأن عضلاته احتجاجًا على عدم نيلها

مـا يـكـفـي مـن الـراحـة مـنـذ أن اسـتيقـظ صبـاحًـا ، مـط شـفـتيه وهـو يقـول في اقتنـاع: « هـل تعـرِف.. أنـت مُحِق»

غمز بعينه نحو أكرم وهو يقول: « أراك غدًا»

ودَّعه أكرم قبل أن ينظر لليلى وهو يقول: «وأنتِ أيضًا، لنا لقاء بالغد»

تركهما وتحرَّك بخطواتٍ سريعةٍ نحو غرفته، كان من المُفترض به أن يتسلَّم غُرفة في العنابر المُجمَّعة، لكن تكريمًا لوالده.. سمحت له الإدارة بسكنى غرفة والده، وهو أمر كان مُمتن له بشدة.

نظر للخلف مرة أخيرة ليرى أكرم وليلى منهمكين في حديث ودي، وعلى شفتي كل منهما ابتسامة لطيفة.

***

كـانـت الغُرفـة مُقسَّـمة مـن الداخـل، لتحتـوي علـى غرفتـين صغيرتـين، إحداهمـا كانـت غُرفـة نـوم ضئيلـة الحجـم، بالـكاد احتـوت علـى فـراشٍ ضيقٍ بجوار ستارة داكنة اللون تحجب ضوء الشمس القادِم من النافذة التي تحرسها تمامًا، وكومود صغير يستريح فوقه مصباح نحاسي مُميّز الشـكل، بجـوار الفـراش ثلاجـة صغيرة، فتحهـا في بطء.. وجـد بداخلهـا نصف زجاجة ماء وعبوتين من عصير التُفّاح وعلبة دواء للسُعال فقط لا غير، أمـا فـوق الـكومـود فـكان يسـتريح منبِّـه مـن الطـراز القديـم ذو الأجـراس.

أمـا الغُرفـة الأخـرى فـكانـت غُرفـة مكتـب، مكتبـة ضخمـة تحتـل أحـد حوائطها مليئة بالكتب الغريبة وبعض الروايات التي انتشرت في الآونة الأخيرة، احتلت أحد رفوفها حقيبة جلدية تُشبه تمامًا تلك التي رآها مع أكـرم مـن قبـل وعـدة أجهـزة لا يعـرف هوياتهـا ، مكتـب خشـبي بنـي اللـون مُزدان ببضـع حُلـي نحاسـية اصفـرّ لونهـا قليلًا ، علـى سطحه روايـة لكاتب

شاب لم يسمع عنه من قبل اسمها «عش الخُفاش» اسم الكاتِب كان: مُصطفى خِضر، لطالما كره تلك الأسماء الغريبة، وبجوار الرواية عدة أوراق اصفرّ لونها، أمسك بالأوراق بحرصٍ وفضولٍ ليجد جُملة واحدة مكتوبة مرارًا وتكرارًا

«لتعرف الحقيقة.. عليك أن تخدع نفسك أولًا»

«لتعرف الحقيقة.. عليك أن تخدع نفسك أولًا»

«لتعرف الحقيقة.. عليك أن تخدع نفسك أولًا»

ما الذي تعنيه تلك الجملة حقًا؟ كيف ستعرف الحقيقة إذا كُنت ستخدع نفسك!

وضع الأوراق مكانها مرة أخرى وهو يتأمل الكُتب الموجودة في المكتبة، (خمائر السرائر الالهية في بواهر آيات الجواهر الفوثية)، (الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم)، (المندل والخاتم السليماني والعلم الروحاني)، و(مفاتيح الكنوز في حل الطلاسم والحروف).

أما رفوف الكتب الأجنبية فكانت تزدان بعناوين مثل (موسوعة الشياطين والعلوم الشيطانية)، (موسوعة جينيس للأرواح والأشباح)، (موسوعة مصاصي الدماء، المذؤوبين، ووحوش أخرى)، (دائرة معارِف السحر والسحرة)، و(قاموس الشياطين).

ارتفع حاجباه تلقائيًا كما يفعل كُل مرة يدلف فيها إلى تلك الغُرفة، وهو يتأمل تلك العناوين واحدًا تلو الآخر، قبل أن يستقر في قرارة نفسه على أن يقرأ أحدها إذا ما سمح له الوقت بذلك.

جلس على الفراش وهو ينتبه للمرة الأولى من الضيق الذي يكاد يخنق

صدره، شعور غريب بالحُزن الممتزج باليأس يغزو روحه، يجري الألم النفسي في عروقه مجرى الدماء، تسوّد الدنيا أمام عينيه تدريجيًا، لطالما صاحبه هذا الشعور منذ بداية الأمر لكنه لم ينتبه له حقًا في غمرة الأحداث المُتلاحقة التي لم تترك له فرصة للجلوس بمفرده قليلًا.

شعر بجدران هذا المكان تضيق من حوله كسجن ينوي خنقه هنا، شعر أنه لن يخرج من هذا المكان يومًا، حاول أن يحافِظ على هدوئه قليلًا، بدأ يتنفّس ببطء عله يستطيع السيطرة على نفسه، لكن ضربات قلبه الوجِل آلمت صدره حقًا.

أغلق عينيه وهو يزفر في ضيق، وقف وهو يتجاهل تمامًا الدموع التي ملأت عينيه، حاول ألا يُلقي بالًا لتلك الغصة المريرة التي شعر بها في مؤخرة حلقه، تجاهل تهدُّج صدره وهو يقاوم كيلا يبكي، وقف وهو يحاول التماسك، شعر بالدموع تزدحم في عينيه، واليأس يمنعه من التنفُّس بشكلٍ طبيعي، حاول أن يبتلع ريقه لكنه كاد أن يبكي حين شعر بمرارة الوحدة، أغلق عينيه وهو يتنفّس بعُمقٍ هامسًا لنفسه: «أنت تستطيع!»

بدأت أنفاسه المُتلاحِقة تهدأ قليلًا وهو يستعيد اتزانه النفسي، مسح بضع دمعات كانت قد خانته وهربت من مقلتيه بكُم قميصه وهو ينظر للكومود ويطالِع الهاتِف الذي يستقر خلف المصباح، الهاتِف الذي يحاول الهروب منه منذ وصوله إلى هنا، رفع السماعة فوجده هاتفًا غريب الشكل، به ٤ أزرار فقط، كُل زر منهم تعلوه لاصقة ورقية بيضاء مكتوب عليها شيء، مسح عينيه بيده وهو يتنهّد تنهيدة مليئة بالألم، حاول أن يقرأ ما كُتب فوق كُل زر، لكن دموعه كانت له بالمرصاد، منعته من الرؤية بوضوح، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يحاول ألا يستسلم لهذا الشعور الخانِق، بدأ في قراءة اللاصقات.

الزر الأول.. الإدارة العامة.

الزر الثاني.. المعمل.

الزر الثالث.. الأرشيف.

الزر الرابع.. البيت.

جذب الستارة قليلًا حين داهمه شعور بالاختناق، لكن مرأى الرمال الصفراء المُمتدة إلى ما لا نهاية أمام عينيه منحه شعورًا أكبر باليأس والاختناق، جذبها مرة أخرى ليسود الظلام، على الأقل يختبئ وسط الظلام من مشاعره التي لو ترك لها العنان لدمرته نفسيًا.

وضع سماعة الهاتف مكانها، وبيدٍ مُرتعِدة فتح درج الكومود ليُخرِج صورة قديمة صبغها القِدم بلونٍ أصفر وجعَّد أطرافها، أجهش بالبُكاء وهو يتأمَّل صورة والده، تهدَّج صوته وهو ينظر في عينيه، قال وكأنه يستنجِد به: «أبي.. أنا لست بخير!»



(4.5)

بدأ الأمر بجُثة..

في مؤسَّسة رسمية مثل الإدارة العامّة لوُهّاب الشروق لم يمُر الأمر مرور الكرام، كان لابُد من إجراء تحقيق رسمي وبشكلٍ موسّع، لكنهم كذلك عاملوا الأمر مُعاملة الحدث اليومي، ولم يعطوه أكثر من حجمه، هذه أشياء تحدُث في مثل تلك الأماكن والمؤسَّسات باستمرار، خصوصًا تلك المُتخصّصة في مجالات نادرة، غريبة، أو غامضة، غالبًا لا يطيق العاملون في مجالاتٍ مُعيّنة ضغوط العمل أو اختلافه، ولأن البشر مُختلفون. فردود فعلهم عادةً ما تكون مُختلفة، منهم من يسقط فريسة لليأس ويُقرّر أن يترك العمل أو يستقيل، ومنهم من يسقُط في فخ الانهيار العصبي ويهرب من المسؤولية كاملة..

ومنهم من لا يقدِر على تحمُّل كافة تلك الضغوط.. وتكون النتيجة هي الهروب الكامِل المُشبّع بيأسٍ تامٍ.

الانتحار!

لكن لأن المؤسَّسة رسمية، كان لابُد من فتح تحقيق رسمي، وكان من المُفترَض أن يُشرِف عليه واحد من المُحقّقين الموجودين في المكان والمُسجَّلة أسماؤهم ضمن قوائم فريق التحقيق التابع للقسم الأمني.

وقف المُحقّق أمام الجُثة التي غطّاها أحدهم بملاءة بيضاء اصطبغت أجزاء منها بلون الدم، حرّك رقبته يُمنةً ويسارًا ليسمع الجميع صوت طقطقة عنيف، عادة قديمة لم يستطِع التخلُّص منها، أو تُراه لم يُرِد ذلك!

اقترب من الجُثّة وتوقّف فوقها لوهلة، قبل أن ينظُر للموجودين من حوله،

بحثًا عن أي شيء غريب يظهَر على مُحيا أي منهم، لكن القلق كان السمة السائدة على وجوه الجميع، هبط وهو يرتكِز على قدميه، وأمسَك بطرف الملاءة وجذبها، وتأمَّل وجهها، كانت مليحة، كانَت خسارة في الموت، لكن قَدَّرَ الله وما شاء فعل.

تأمَّل الجرح القطعي الموجود في رقبتها، جرح غائر كافٍ تمامًا لقتلها فورًا، إن لم يكُن تأثرًا بالشرايين والأوردة التي قطعها حد السكين، فكان كافيًا لقتلها في فترةٍ وجيزةٍ من النزيف الحاد التي لن تستطِع السيطرة عليه دون تدخُل طبي فائِق الجودة.

تأمَّل السكين الذي ما زالت تُمسِك به في قبضتها التي تصلَّبت فوق مقبضه، كانت كُل الأمور تشير إلى شيءٍ واحدٍ لا يحتمِل الشك.. هي من قتلَت نفسها!

أعاد تغطية الجثة وهو يقف، حكَّ رأسه قبل أن يُحرِّك رقبته مرة أخرى ليدوي صوت الطقطقة ليجرَح الصمت المُسيطِر على المكان، نظر للجُندي الذي يقف بجواره قبل أن يسأله في صرامة: «من الذي وجد الجُثَّة؟»

أشار الجُندي نحو مجموعة من الناس مُصطفِّين حول فتاة شابة مُنهارة، تجلس فوق مقعد خشبي، وترتجِف كورقة في مهب ريح عاصِفة، قبل أن يقول: «زميلتها في السَكَن»

تقدَّم بخطواتٍ واثقةٍ ووقف أمامها، تأمَّلها في صمتٍ، كانت في حالة يُرثى لها، مسحَت دموعها وهي تتأمَّله، لم تستطِع أن تكُف عن البُكاء، قال وهو يحاوِل التظاهُر باللُطف واللين: «أقدِّر تمامًا حالتك، وأفهم جيدًا ما تشعرين به، لكن كي نتركك لترتاحي قليلًا، أحتاج للتحدُّث معكِ قليلًا، هل بإمكانِك فعل ذلك؟»

هزَّت رأسها وهي تقول: «من أجلها.. سأفعَل!»

ابتسم وهو يهز رأسه قائلًا: « شكرًا.. ماذا حَدَث؟»

صمتت قليلًا، غلبتها دموعها فغرقت في حزنها للحظات قبل أن تقول من بين عبراتها: «استيقظنا في الصباح، كأي يوم عادي، دخلت إلى الحمَّام أولًا وحين انتهيت، خرجت من أجل أن أستعِد للذهاب للعمل، بينما دلفَت هي إلى الحمَّام، بعد مرور لحظات سمعت صوتها وهي تشهَق بخوف، طرقت الباب وسألتها عمَّا حَدَث، لكنها لم تُجبني، خرجَت بعد لحظات لتُحضِر ذلك السكِّين قبل أن تعود لتقِف أمام تلك المرآة، وقبل أن أفهَم ما حَدَث..»

عادت للغرق في محيطٍ من الحُزن، لكنه لم يكن في حاجة لتركها تُكمِل حديثها، كان قد فهِم ما حدث، أشار لها نحو الحمَّام الذي سقطَت الجثة على بابه وهو يسألها: «هنا؟»

هزَّت رأسها دون أن تستطيع أن تكُف عن البُكاء، تقدَّم نحو الحمام، لم يجرؤ على أن يخطو من فوق الجُثة احترامًا للموت وتقديرًا لهيبته، فدار من حوله وهو يدلُف إلى الحمَّام، كانت دورة مياه عادية للغاية، مثلها مثل أي دورة مياه أخرى في الإدارة، يغلُب عليها الطابع الأنثوي، نظيفة، مليئة بزجاجات وعبوات لا يعلم عنها شيئًا، على عكس دورات مياه غُرف الرجال، والتي عادةً ما تُشبِه دورات المياه الموجودة في حدائِق الحيوانات!

تأمَّل المكان قليلًا، من الصعب أن تُصدِّق أن تلك الغُرفة الصغيرة قد شهدت جريمة لتوِّها، لم يجد فيها شيئًا مُثيرًا للاهتمام، سَجل ملاحظة في عقله وهي أن يجعل أحد الجنود يُفتِّش دورة المياه بحثًا عن أي شيء مُثير للاهتمام، قبل أن يتأمَّل المرآة، اتسعت عيناه بشدة وهو ينظر فيها، لم يُصدِّق ما يراه بعينيه!

ابتلع ريقه بصعوبة، حاول السيطرة على نفسه، لكن رعشة قوية سيطرت

على جسده بالكامِل، تأمله الجُندي من الخارِج بدهشة، من الصعب أن ترى رب عملك وهو يرتجِف في خوفٍ بهذه الطريقة، سأله بفضول: «هل أنت بخيريا باشا؟»

لكن المُحقِّق لم يُجِبه، ارتعد بشدة قبل أن يفقِد السيطرة على مثانته، بال على نفسه دون أن يُجيب أي شخص عن أي شيء، وقبل أن يفهَم أي من الموجودين أي شيء مما يحدُث، تحرَّك سريعًا ليُمسِك بالسكين، أداة الجريمة! مع أن ألف باء العمل الجنائي ألا يُمسِك أي شخص أداة الجريمة كيلا يلوِّث البصمات الموجودة عليها، لكن المُحقِّق - على الرغم من خبرته التي لا بأس بها في مجال العمل الجنائي - تجاهَل تلك البديهيات تمامًا وهو يُمسِك بالسكين أمام الجميع قبل أن يذبح نفسه بمُنتهى الوحشية أمام الحضور الكامل دون أن يتردَّد أو يرمِش حتى مرة واحدة!

وقبل أن يستطِع أي شخص منعه.. خرَّ صريعًا بجوارها!

توتَّرت الأجواء، انقبضت القلوب، واتسعت الأعين. نظر الجميع لبعضهم البعض بحثًا عن أي شخص يفهَم ما يحدُث، ارتعدت الأجساد واقشعرَّت الأبدان حين أدرَك الجميع أنهم سواسية، لا فارق بين جاهِل وعارِف!

تقدَّم أحد الجنود وعيناه مفتوحتان على آخرهما، دار حول الجُثتين في طريقه لدورة المياه، كان فضوله أقوى من أن يسمَح لهما بالتوقُّف في طريقه، دخل إلى الحمَّام ببطء، بلَع ريقه بصعوبة وهو يقاوِم رعدة خفيفة سرت في جسده، تجاهَل حبَّات العرق البارِد التي تكثَّفت على جبينه وهو يتقدَّم نحو المرآة، نظر إليها للحظات، لم يرَ سوى انعكاسه المتوتِّر، لكن الأمر لم يدُم سوى ثوانٍ قليلةٍ قبل أن يُدرِك الأمر.. قبل أن يُدرِك سبب ما فعلوه من قبله، ابتلَع ريقه بصعوبة مرة أخرى وهو يُمسِك بسلاحه المُمثَّل في بُندقية آلية روسية الأصل ويرفعها نحو حلقه، لم يستطِع أن

يُحرِّك عينيه عمّا يحدُث أمامه داخِل المرآة، شعر بالفوهَّة الباردة وهي تلتصِق بأسفَل حلقه، لكنه لم يشعُر بإصبعه وهو يضغَط على الزناد!

تناثر مُخه في المكان، شَّكل الدم لوحة سريالية مُخيفة فوق سقف دورة المياه، بينما غطَّت المرآة قطع صغيرة من مُخه وبضع نقاط من الدماء، سقط من فوره أرضًا دون حراك.

حينئذ أيقَن الجميع أن تلك المرآة ملعونة، وأن هناك من يسكُنها ويعيث فسادًا في روح كُل من ينظُر إليها، وفي الحقيقة. أن هذا الأمر لم يكُن مُستغربًا، لطالما آمَن البشر جميعًا في أن المرايا هي بوابات العوالم الأخرى وبوابات الشياطين.

لكن الجميع لم يتركوا فضولهم يقودهم ويحرِّكهم كدُمى صغيرة، كان هناك أحد العُقلاء في المكان، كان أحد القاطنين في إحدى الغُرف المجاورة للغُرفة التي حدثت بها الأمر، أمر الجميع بصوتٍ جهوري لا يخلو من الصرامة أن يتركوا الغُرفة ويخرجوا فورًا، وبدافع الخوف. استجاب له الجميع دون أي نقاش أو جدال، تدافعوا في طريقهم للخروج من تلك الغُرفة الملعونة، وعلى الرغم من كونه يعرف أنه ليس مسؤولًا بأي طريقة من الطرق عن أي شيء يحدُث في هذا المكان.

نادى أحد الجنود الموجودين في المكان، والذي بدا عليه أن الخوف جعله ينسى هويته الأمنية، عاد الجندي، طلب من الجار أن يُساعده، وبكثير من التردُّد وكثير من الخوف، فتحا أحد الخزانات وبحثا داخلها سريعًا قبل أن يجدا ملاءة بيضاء كبيرة، أمسكاها سويًا.. كُل منهما أمسَك بطرف، ودخلا إلى الحمَّام سويًا، قبل أن يتحرَّكا خطوة أخرى، صاح الجار بالجندي: «أغلق عينيكَ وتحسَّس طريقك»

امتثل الجندي من فوره، كان يُدرِك جيدًا أن تلك المرآة هي سبب كُل

تلك الحوادِث هي تلك المرآة الملعونة، لذلك بدأ يتحسس طريقه في حذر خوفًا من أن يطأ بقدمه جُثة زميله المسكين، ساعد الجار في تغطية تلك المرآة.

ظنّوا أن الأمر توقّف وانتهى حين غطوا تلك المرآة، لكن هذا لم يحدُث، استمرّت الحوادِث الغريبة دون أي تفسير، شكّلت المرايا لغز غريب للغاية، لم ينظر أحدهم في مرآته إلا وقتل نفسه، دون أي تفسير، دون أي تبرير، ودون أن ينبس حتى ببنت شفة ليفهم من حوله ماذا رأى في المرآة أو ما الذي دفعه لارتكاب الأمر.

استمرّت الحوادِث واحدة تلو الأخرى، دون توقُّف، دون هدنة، ودون فترة لالتقاط الأنفاس، إلى أن وصل مُدير الإدارة لحل بسيط استوحاه من فعلة الجار في الجريمة الأولى، أمر بتغطية الأسطح العاكِسة والمرايا في كافة مباني الإدارة دون أي استثناءات، على أن يستخدِم الموجودون كاميرات هواتفهم الأمامية من أجل القيام بمهامهم اليومية التي يحتاجون فيها للمرايا والأسطح العاكِسة.

وعلى غير المتوقّع.. نَجَح الأمر، توقّفت الحوادِث تمامًا، ووعدهم المُدير ببدأ تحقيق رسمي في الأمر لكن بعد انتهاء الزيارة الرسمية التي يتوقعونها خلال الساعات القادِمة.

وهو الأمر الذي لن يحدُث!

(5)

حضر الصباح..

استيقظ هادي على إثر طرقات خافِتة على باب غرفته، تثاءب وهو ينظر للمنبّه الموجود بجواره، كاد يلومه لولا أن تذكّر أنه خلع عنه بطارياته، كما خلعها من ساعة الحائط هروبًا من صوت عقرب الثواني الذي يوتّره ويثير أعصابه!

كاد يذهب لفتح الباب لولا أن تذكّر شيئًا هامًا، تحسّس وجهه ليتأكّد من شفائه من آثار البُكاء، على عكس ما توقّع.. كانت عيناه منتفختان، انتفخ جفناه مما أدى لإغلاق عينيه قليلًا، على مقياس من ١ إلى ١٠ في ملاحظة الآخرين لكونه قد انهار باكيًا لوقتٍ طويلٍ، يستحِق هادي ١٢٠!

استسلم للأمر الواقع، وتحرّك نحو الباب بجر أذيال الخزي المُمتزِج بالكسل، فتح الباب ورأى أكرم يقف على الباب، تطلّع أكرم في وجهه قبل أن يقول وهو يدخُل الغُرفة: « كلنا بكينا، لا بأس»

فقط؟!

توقّع أن يلقي أكرم على مسامعه مُحاضرة مُملة أو أن يلكزه بدعابة ساخرة أو تعليق لاذع، لكن أكرم اكتفى بتلك الجُملة وهو يسير نحو المكتبة، أمسك الرواية الموجودة على سطح المكتب، تطلّع إليها قليلًا قبل أن يقول وهو يعيدها إلى مكانها: « رواية جيدة جدًا، كُنت أنا من رشّحتها له»

نظر إلى هادي مُتسائلًا: «هل قرأتها»

هز الأخير رأسه، فأعادها أكرم للمكتب مرة أخرى وهو يقول: «لابُد

أن تفعل، هل أنت مُستعِد؟»

أمسك هادي بيد أكرم وهو ينظر في ساعته التي التفَّت حول رسغه، عظيم! ما زال يمتلك من الوقت ساعة تقريبًا كي يستعِد، وكَّل له مُدير الإدارة - بعد إيعاز من أكرم - مُهمة تعريف المُستجدين بحديقة الشياطين، وهو أمر كان شاكرًا له عليه حقًا!

تثاءب مرة أخرى قبل أن يقول لأكرم: « سأستحِم فقط ومن ثم سأخرُج لملاقاتهم»

ربت أكرم على كتفه وهو يقول: «تخلَّص من آثار البُكاء يا فتى، ستجد الفوج ينتظرك أمام بوابة الحديقة خلال ساعة بالضبط»

مدَّ يده في جيبه وهو يخرج بطاقة تعريفية مُعلَّقة من شريط أسود طويل يكفي للتعلق في رقبة حامله كاشفًا عن هويته وهو يقول: « هذه بطاقة تعريفك وتصريح دخولك للحديقة، ساري لمُدة ٢٤ ساعة فقط»

هزَّ هادي رأسه وهو يمد يده لتسلُّم البطاقة، لكن أكرم أبعدها عنه وهو يقول: « أنا في الصالة الرياضية، في حال أردت أُذنًا تُنصِت أو شخصًا تشكو له همّك بدلاً من البُكاء وحيدًا في حشا الليل»

ابتسم هادي وهو يمسك بالبطاقة قائلاً: « لا أعتقِد أنها ستتكرّر»

تحرَّك أكرم نحو الباب وهو يقول دون أن ينظُر خلفه: « لا ضرر من تكرار الأمر، لا تقسو على نفسك»

أغلق الباب خلفه تاركًا لهادي مساحته الشخصية من أجل الاستحمام والاستعداد للخروج، وهو الأمر الذي لم يستغرِق منه طويلًا.

***

علي عكس ليلة البارحة، بدا هادي مرتاحًا، وباستثناء الانتفاخ القليل الذي يظهر تحت عينيه جرَّاء البُكاء، لكن شعره كان مُصفَّفًا بعناية، ملابسه مكوية باهتمام، وتفوح منه رائحة عطره المُفضَّل (Paco Rabanne Invictus).

اقترب منهم وهو يراهم يقفون في انتظاره، نظر في ساعة يده، وصل في ميعاده، لطالما كان احترام المواعيد من سماته المُميَّزة، رحَّب بهم وهو يسألهم: «هل أنتم جاهزون؟»

رفعت واحدة منهم يدها وهي تقول: « يا أستاذ..»

ابتسم وهو يقول: «هادي، هادي دون أستاذ»

احمرّ وجهها خجلًا قبل أن تُضيف: «ليلى قادمة، لقد نسيت فقط شيئًا في الغُرفة وذهبت لإحضاره سريعًا»

اختفت ابتسامته سريعًا وهو يقول: « سنبدأ دون..»

لكنه صمت حين رآها قادمة تهرول بخطواتٍ سريعةٍ من أجل اللحاق بركب المجموعة، نظر إليها وهو يرتدي ملامح الجدية قائلًا: «أتمنى أن تكون المرة الأخيرة يا ليلى»

ابتسمت بإحراج وهي تقول: «أعدك أن تكون المرة الأخيرة»

تبدَّدت جديته قليلًا وهو يقول: «لا بأس، هيا بنا»

سمح لهم مسؤولو الأمن بالدخول بعد فحص تصريحه سريعًا.

على الرغم من تَشبُه الحديقة خارجيًا بالثكنات العسكرية، إلا أن الوضع يتغيَّر تمامًا بمُجرَّد أن تعبُر بوابة ذلك المبنى الضخم، الذي ينقسِم

مـن الداخِـل لثلاثة أقسـام.

معمـل ضخـم.. تُجـرى بـه العديـد مـن التجـارُب والتحاليـل الـتي تُسـاعد الموجوديـن علـى فهـم الأنـواع المُختلِفـة مـن الشـياطين والـكائنـات الغريبـة، الموجـود منهـا هنـا وغـير الموجـود كذلِـك.

أمـا القسـم الثاني فهو قسم خـاص بـالإدارة العامة وقسم الأرشيف، يعمل فيه المسؤولون عن هذا المكان، الأرشيف يتكوَّن من سلسلة حجرات تمتد تحت أرض المكان بأكمله، أما مكاتِب المسؤولين فهي عبارة عن مكعبات زجاجية، كي تسمح لهم بمُراقبة كُل ما يحدث من حولهم، على الرغم من كونها مُصنَّعة من زجاج مُصفَّح غير قابل للكسر ومُجهّزة بأقصى وسائل الحماية، وتحيط بها حقول من الطاقة المغناطيسية كي تحميهم شرور ما حولهم.

أما القسم الثالث.. وهو أكبرهم مساحةً، فهو الحديقة نفسها، وهي تقع في غرفة واحدة واسعة للغاية، تحتل ثلثي مساحة المبنى تقريبًا، تاركة للقسمين الباقيين الثلث المتبقي يتقاسمانه فيما بينهما.

وقـف رجـلان مـن العامليـن بالحديقـة في اسـتقبالهم بابتسـامات لطيفـة، مُمسـكين في أيديهـم بمجموعـة مـن النظـارات الخاصـة مـن صناعـة شـركة «جوجل» مـزوَّدة بالأشـعة تحـت الحمـراء، والـتي تسـمح لهـم برؤيـة مـا لا يُمكِـن رؤيتـه، وسماعـات ذات حسـاسية عاليـة للغاية من صناعـة شركة «جالاكسـي» المُتخصِّصة في صناعة السماعات ذات الحساسية الفائقة والدقة العالية، كمـا أن بها زرًا صغيرًا يسمح لك بخلق حالة من الصمت الصناعي، في حالة مواجهتك لأي شيء لا تريد سمـاع صوته، أو في أسـوأ الحـالات.. تخشـى سمـاع صوتـه.

وحرصـوا علـى تَسـلُّم كُل شخص لسماعة ونظـارة، والتأكُّـد من عملهما

بكفاءة عالية، قبل أن يسمحا لهم بالدخول من بوابة زجاجية ضخمة، مصنوعة من نوع خاص من الزجاج لا يسمح لهم برؤية أي شيء، لكن بمُجرَّد أن دخلوا.. تجمَّد العديدون في أماكنهم، قشعريرة خوف ضخمة سرت في أجسادهم، شعروا وكأن إصبعًا من الجليد البارد لمس أعمدتهم الفقرية.

أمام أعينهم.. كانت الشياطين والوحوش -التي طالما ظنوا أنها خرافية- تصطف في أقفاص زجاجية، تنظر إليهم كما ينظرون إليها، تطالعهم كما يطالعونها، الفارق الوحيد كان في النظرات، حملت أعينهم نظرات دهشة وعدم تصديق، وحملت أعين تلك الكائنات نظرات شر وحقد لا حدود لها.

***

لو حكى لهم شخص ما عمَّا يرونه بأم أعينهم الآن لظنوا أنه كلام حكايات أو قصص رُعب خيالية، أو ربما خيال مريض لشخص غير سوي نفسيًا، لكنهم ها هنا يرونهم أمامهم، يرتصون في أقفاص زجاجية ومجموعات من العُلماء والأشخاص الذين يرتدون جميعًا معاطِف بيضاء ويحملون أوراقًا كثيرة يتحرَّكون بين الأقفاص في انشغالٍ وعصبية، يكتفي كُل منهم بإلقاء نظرة سريعة عليهم حين يضطر للمرور بجوارهم قبل أن يعود للتركيز في عمله مرة أخرى.

تساءل أحد المُستجدين بصوتٍ مُرتعِد: «من هؤلاء؟»

ابتسم هادي لسذاجة ذلك المُستجَد وهو يقول: «شياطين، جان، وحوش خرافية، وكائنات أسطورية»

التفت إليه مُنعقِد الحاجبين وِهو يقول: «أنت تتحدَّث عنهم وكأنهم حفنة من الحيوانات!»

ارتفع حاجبا هادي بإعجاب وهو يقول: «أنت لا تعرف مدى مُطابقة كلماتك للحقيقة.»

مشدوهًا بما يرى، لم يقدِر أي من المُستجدين على أن ينبس ببنت شفة، لاحَظ هادي الأمر فقرَّر البدء في الجولة حالًا، في محاولة لاستغلال دهشتهم وحماسهم للأمر، قال بحماسٍ بالغ: «والآن اسمحوا لي أن أصحبكم في جولة سريعة في الحديقة كي تستعِدوا نفسيًا لما هو آتٍ»

قبل أن يعترِض أي شخص منهم أو يُضيف كلمة أخرى بدأ هادي بالتحرُّك نحو أقرَب الأقفاص إليه، بداخله استقر وحش ضخم الجثة، أحول العينين قليلًا، عيناه حمراوين مليئتان بالشر والحقد، جسده مليء بالشعر القذر المُتشابك، وكأن شعره أو فروه لم يُغسل أو يُمشَّط منذ أجل بعيد، أنفه أفطس طويل، مشوّه قليلًا، فمه واسع للغاية، وأسنانه بعيدة متفرِّقة، اقترب هادي من القفص وهو يحيي طبيبًا يقف أمام القفص يُراقِب الوحش الكامِن بداخله، تجاهله الطبيب تمامًا وهو مُنهمِك في كتابة بعض الملاحظات، ابتسم وهو ينظر لهم قائلًا في سعادة غير مُبرَّرة: «هل عرفها أيكم؟»

انعقد حاجبا أحدهم وهو يقول بدهشة: «عرفها؟ هل هي أنثى؟»

هز هادي رأسه موافقًا، فأضافت أخرى: «رباه! إذا كانت الأنثى بهذا القُبح، فكيف للذكر أن يبدو؟»

«سترونه ذات يوم، ها.. هل عرفها أحدكم؟»

هز الجميع رؤوسهم بالنفي وأعينهم مُعلّقة بالمخلوق المُرعِب الذي يبادلهم النظرات بفضولٍ شريرٍ من داخل القفص، سألهم هادي: «هل تريدون القليل من المُساعدة؟»

بدا أن هادي مُستمتعُ حقًا بهذه الجولة، هزت واحدة منهم رأسها في بطء فنطق قائلًا: «لولا سلامك سبق كلامك، لأكلت لحمك قبل عظامك!»

اتسعت عينا أحدهم بغير تصديق وهو يقترِب من القفص قليلًا وهو يقول بدهشة فاغرًا فاه: « هل.. هل هي حقيقية؟»

«ما رأيك؟»

«أمـ.. أمنا الغولة!»

«بشحمها ولحمها»

«كيف؟ كيف استطعتم صيدها؟»

***

كانت الكاميرا تهتز، كاميرا من طراز جو برو الشهير مُثبَّتة إلى رأس شخص لا تظهر هويته، لكن يديه تظهران جليًا وهو يُمسِك بواحد من أجهزة الاتصال اللاسلكي، وعلى الرغم من الظلام المُسيطر على كُل شيء، إلا أن الكاميرا كانت مزوَّدة بنظام رؤية ليلية يسمح له بالرؤية جيدًا، كما يسمح له أن يُحدِّد أماكِن زُملائه المُختبئين في أماكِن مُختلِفة، لولا نظام الرؤية الليلية ما استطاع أي شخص تحديد أماكنهم.

انهال المطر من فوق رؤوسهم، ليُغرق كُل شيء، رآها تتحرَّك وسط العاصفة، فتاة صغيرة الحجم تتحسَّس طريقها وسط الأرض المُبلَّلة بالطين، رفع جهاز اللاسلكي إلى شفتيه وهو يقول: «من ألفا إلى برافو.. الهدف يتحرَّك»

مرَّت لحظات قليلة قبل أن يأتيه صوتُ آليُ عبر الجهاز يقول: «من برافو إلى ألفا.. أتابِع الهدف»

كان صوت الرياح يصم الآذان، زخَّات المطر كثيفة لا تتوقَّف، ليلة مُظلِمة اختفى قمرها تمامًا، كما اختفى سُكَّان الواحة في بيوتهم هروبًا من المطر، وهروبًا من أسطورة قديمة يؤمن بها الأجداد والعجائز، ويصدقها الآباء والأمهات، وينكرها الأبناء والأحفاد، لكن الكُل يخشاها حتى لو لم يعتقد بحقيقتها.

رآها تتحرَّك، عبرت بجوار زميله باحترافيةٍ شديدةٍ دون أن تنظُر إليه أو تلتفت نحوه، راقب زميله وهو يرفع يده إلى فمه وسمع صوته الآلي يأتيه عبر الجهاز ليقول: «من برافو إلى ألفا.. تحرَّك الهدف نحو النقطة (ب)»

كان قادرًا على رؤيتها رغم ظلام الليل، عُمرها لا يزيد عن سنوات عشر، تلحق بها ضفيرة طويلة وهي تعدو وسط الظلام، تقاوم الطين الذي يتعلَّق بقدميها الصغيرتين وهي تحاول تفادي برك المياه الصغيرة التي ولدتها الأمطار.

اتجهت بخطوات صغيرةٍ مُرتبِكة خارج منطقة العمران، تركت البيوت خلفها وهي تتحرَّك نحو منطقة جبلية قريبة، اختفت بين الجبال وهي تتنفَّس بصعوبة، بدأ الذعر يتسلَّل إلى روحها، نظرت للسماء ورأت القمر يتوارى بين السُحب الكثيفة، حاولت أن تُهدئ من روعها وهي تُسرِع الخطى.

رفع اللاسلكي إلى فمه وهو يقول: «من ألفا إلى تشارلي.. الهدف في الطريق إليك»

أتاه الرد بشكلٍ فوري: «من تشارلي إلى ألفا.. أنا في المكان وأنتظر الهدف»

تحرَّكت الفتاة الصغيرة والظلام يحيط بها من جميع الاتجاهات، الجبال تحاصرها، بدت من حركاتها المليئة بالعصبية أنها خائفة، رغمًا عنها

بدأت ترتبِك، بدت وكأنها تُفكِّر في العودة للخلف مرة أخرى، لكنها كانت قد قطعت جزءًا لا بأس به من الطريق، تجاهلت خوفها.

سمع الصوت يقول عبر اللاسلكي: «من تشارلي إلى ألفا.. الهدف يقترِب من النُقطة (ب)»

بدأت الفتاة تتلفَّت حولها في خوف، بدت وكأن حركاتها تسكنها العصبية والتوتُّر، بدأت تركض، تناثرت قطرات الماء هنا وهناك مع خطواتها المذعورة، تطايرت ضفيرتها من خلفها بحيرة تضاهي الحيرة التي تشعر بها، بدت وكأنها تُفكِّر في الرجوع.

أتاه الصوت عبر اللاسلكي وهو يقول: «من تشارلي إلى ألفا، الهدف في نقطة الالتقاء، أكرِّر.. الهدف في نقطة الالتقاء»

وقفت في مكانها ثابتة، لا تتحرَّك، من خلفها ظهر ظلًا كثيفًا، بدا وكأنه انشق من الجبل المجاور لها، شعرت به قبل أن تراه، بدأت تتراجَع بخواتٍ بطيئة للخلف، لكن الظل بدأ يقترِب منها.

سمع صوتًا يأتيه من اللاسلكي دون أن يسمع صوت تشارلي: «الليل مملكتي والخوف خادمي.. وأنتِ يا مسكينة أضحية يقدمها لي الخوف كي أرضى»

نقلت الكاميرا صورتها وهي تتلفَّت من حولها، بدت وكأنها لا تبحث عن مهرب، كانت تبحث عن مُنقِذ.

وقفت مكانها وهي لا تجرؤ على أن تشيح بنظراتها بعيدًا، بدأت أمنا الغولة تقترِب منها، تبوَّلت على نفسها من شدة الخوف، اقتربت منها أمنا الغولة ببطءٍ شديد.

رفع اللاسلكي إلى شفتيه وهو يقول: «نداء إلى كامل الوحدات.. التحرُّك مع الإشارة، أكرِّر.. التحرُّك مع الإشارة»

عكست الكاميرا صورتها وهي تبتسِم في ثقة، ابتسامة أظهرت أسنانها المُفلَّجة، مدَّت أمنا الغولة يدها القبيحة نحوها، راقبتها وهي تمتد نحوها، أغلقت عينيها في خوفٍ ويأسٍ وقد أدركت أن الأمر انتهى تمامًا.

رفع ألفا جهازه إلى فمه وهو يصرُخ: «الآن»

وتحرَّك الجميع، اهتزَّت الكاميرا مع حركته، لم تكُن الرؤية واضحة بشكلٍ تام، لكنّها كانت كافية لتكشف للمُشاهدين ما يحدُث، سمعوا صوت البرق يشق الصمت وصوت زئير غاضب، ظهر شخصًا مُلثمًا يقف خلف أمنا الغولة وهو يُمسِك بيده مُسدسًا صاعقًا، ضغط زناده، كادت أمنا الغولة أن تسقط، لكن الكهرباء لم تكُن كافية لإيقافها، اقتربت منه، زاد من قوة الكهرباء في توتُّر، ظهر القلق في عينيه وهي تقترِب منه، يبدو أن الكهرباء لم تُضعفها، بل زادتها غضبًا فوق غضبها.

قبل أن تصل له بخطوة واحدة فقط، ظهر زميله عن يمينها وهو يقول بسُخرية نقلتها قناة الاتصال المفتوحة بينهم: «هل تأخرت عليكما؟»

كانت هذه آخر كلمات نطق بها قبل أن يضغط زرًا صغيرًا في جهازه، نَتَج عنه ذبذبات قوية لم تكُن مسموعة، لكن أمنا الغولة بدت وكأنها تسمعها جيدًا، صرخت وهي ترفع يديها وتضغط بها أذنيها في محاولة لمنع الصوت، لكن الصوت كان قويًا، ارتجّ جسدها بقوةٍ قبل أن تسقُط أرضًا دون حراك.

خلعت الفتاة الشعر المُستعار الذي يعلو رأسها، ظهرت ملامحها جيدًا دونه، كانت امرأة ثلاثينية صغيرة الحجم تتظاهر بكونها فتاة صغيرة،

خلع زميله قناعه وهو يسأله بغضب: «لماذا تأخّرت؟»

تأمل نظراته الغاضبة وهو يقول: «أردت أن أزيد الأمر حماسًا فقط»

تجاهله زميله وهو ينقل جسد آمنا الغولة داخل شبكة معدنية مُصنّعة خصيصًا لمثل هذه الأغراض وهو يسير بجوار السيدة المُرتبكة في طريق العودة نحو الواحة.

سمعاه يصيح من خلفها: «انتظراني»

لكنهما لم يعيراه أي انتباه!

***

« هل كُنت واحدًا منهما؟»

سأله واحدُ من المُستجدين هذا السؤال وهو يبتسم ابتسامة مليئة بالحماس، هزَّ هادي رأسه وهو يقول: «والآخر كان الضابط أكرم»

قال الفتى وابتسامته تتسع لابتسامة أخرى مليئة بالمرح: «لن أسأل أيكما كان الضابط أكرم، سأفترض أنه البطل الذي وَقف ليواجهها في حين أنك الآخر الذي أتى مُتأخِّرًا»

قهقه هادي قائلًا: «أظن أنك لن تعرف الحقيقة أبدًا»

تبادلا القليل من الضحكات قبل أن يشير إليهم هادي ليتبعوه وهو يقول: «ضيفنا الثاني من أصول عربية، ليس مصريًا، يمني الجنسية، حضرموتي المنشأ، هل سمعتم من قبل عن المثل الشعبي اليمني الشهير الذي يقول: إياك تخرُج بالليل.. هتشوف العظروط؟»

كرَّرت ليلى الكلمة بدهشة شديدة وهي تقول: «عظروط؟»

ابتسم هادي بثقة وهو يقول: «من دهشتك أستطيع القول أنكِ لم تسمَعي عنه من قبل في حياتك، على عكس أمنا الغولة مثلًا، رأيت خوفكِ في عينيكِ وأنا أقص عليكم كيف أمسكنا بها، وهذا أمر طبيعي للغاية.. لأنها جزء من الأساطير التي كونت وعيكم، جُزء لا يتجزأ من حكايات ما قبل النوم التي سمعتموها من آبائكم أو من أمهاتكم، حينئذ كُنتم تخافون فعلًا. لكنكم دومًا ما كُنتم تُقنعون أنفسك أنها مُجرَّد أساطير وخرافات لتستطيعوا النوم ليلًا، لكنكم لم تكُونوا تتخيَّلوا أن تلك المخلوقات موجودة دائمًا وأبدًا، ربما كانت أقدم منا على أرض هذا الكوكب»

أنهى جُملته وهو يغمز بعينه، صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «وعلى النقيض تمامًا، فأطفال اليمن يرتعبون من العظروط رعبًا لا حدود له، يخافون من أمنا الغولة؟ بالطبع! لكنهم ينامون ليلًا قريري الأعين، لكن حين تَقُص عليهم أمهاتهم قصصًا عن العظروط. تصبح ليلة ليلاء لا يعرفون فيها للنوم طعمًا»

أنهى كلماته وهو يُشير نحو قفص زجاجي جديد، نظرت إحداهن نحوه قبل أن تشهق في فزع، تمالكت نفسها حين رأت ابتسامة ساخرة ترتسِم على وجه سيدة قصيرة كانت تمر بجوارهما وهي تُمسِك بأنبوب اختبار يحتوي على سائل أحمر لزج، تطلَّعت مرة أخرى للقفص وهي تراقِب الكائن الذي يقف بداخله مُنحنيًا، طويل القامة لدرجة مُرعِبة، يقف منحني الظهر وهو يستنِد إلى الزجاج بيديه ويلصق وجهه فيه، ملامحه شبيهة بملامح قرد آتي من الجحيم، أنف أسود قبيح، شفاه غليظة تحتضن لسان أسود طويل، أعين حمراء مشقوقة طوليًا، جسده مليء بالفرو الأسود اللامِع، عظامه الصلبة لا تتحمَّل ثِقَل جسده، تظهر بوضوح وهي تكاد تخترِق جلده النحيل الشاحِب، عضلاته مُنتفِخة بشكلٍ غريبٍ.

ترك لهم هادي عدة لحظات ليستوعِبوا ما يرونه أمامهم قبل أن يقول: «هل تعرفون قصته؟»

تمتم أحدهم بصوتٍ يرتعِد خوفًا: «لا أعلم عنه أي شيء»

تنفَّس هادي بعُمق وهو يقول: «بدأ الأمر كأسطورة يمنية مُخيفة، تتناقلها الألسن وتقصها الجدات على الأحفاد في ليالي الشتاء المُظلِمة، العظروط، الجن المتوحِّش الذي ينتظِر الرجال في الطرقات الخالية والأزقة المهجورة، يسكن ظلمات الليل، ويتخِذ من الخوف صديقًا، لكن الأمر لم يتعد يومًا القصص والأساطير. حتى يوم قريب سمعنا فيه عن شيء غامِض وغريب، العديد من الوفيات الغامضة في حضرموت اليمنية، مر الأمر مرور الكِرام على الكثيرين، لكننا توقفنا عنده كثيرًا، درسنا الأمور بتركيزٍ شديدٍ، ولاحظنا أمرًا هامًا»

صمت هادي عندما وصل لهذا الجُزء، ربما ليلتقِط أنفاسه قليلًا، وربما كي يُضفي على الأمر كثيرًا من التشويق.

لم يحتمل أحدهم معه صبرًا، قال بحماسٍ شديدٍ وفضول: «ما الأمر؟»

قال هادي بهدوء: «لاحظنا العديد من الأمور المُشتركة بين تلك الجرائم، كُل القتلى من الرجال أو الشباب، لا نساء أو أطفال، جميع الجرائم وقعت بعد مُنتصف الليل، في شوارِع جانبية وأزقة مُظلِمة فقط، حينها عرفنا وأدركنا أن هناك شيطان وراء الأمر»

قاطعته واحدة منهم مُتسائلةً: «لماذا لم يشكوا في كونه قاتِل مُتسلسل؟ يستهدِف فئة بعينها، ألا وهي الرجال، ويقتلهم في الشوارِع المُظلِمة كي يتوارى في الظلام ويتخذ منه مخبئًا؟»

قال هادي بتركيز: «لأن الأمر لو كان يتعلَّق بقاتِل مُتسلسِل، لقامت

السُلطات اليمنية بالقبض عليه أو فُتح تحقيقٌ في الأمر، لكن هذا لم يحدُث»

«وما الذي حَدَث؟»

«تواصل معنا أحد صيادي الأشباح اليمنيين، السيد مختار المرزوقي في حال سَمِعتم بالاسم من قبل»

هزّ العديدون منهم رؤوسهم نافين أن يكونوا قد سَمِعوا عن السيد مُختار من قبل، تفهّم هادي الأمر، كان يعي جيدًا أن شُهرة مُختار هي مُجرّد شُهرة نسبية في أوساط المُهتمين بالماورائيات والخوارق فقط.

أكمل حديثه: «وذهبنا لليمن، وبمُساعدة مُختار استطعنا الوصول لحضرموت، وهناك. وبعد القليل من الاستجوابات والكثير من التحقيقات، فهمنا الأمر بأكمله، يقف العظروط في الأزقة الجانبية ليلًا، يتظاهَر أنه رجل مسكين مُحتاج، يطلب المساعدة ويتظاهر بالضعف، ينتقي ضحاياه من الرجال العائدين ليلًا، حين يقتربون منه بغرض المُساعدة، يتبدَّل بفضل قُدرته على الاستطالة والانتفاخ، ينتفِخ جسده بشدة، يزداد طوله بطريقةٍ مُرعِبة، يستمِر في التضخُم وهو يتسلح بقبحه المُرعِب حتى يموت الشخص الموجود أمامه من الرعب والخوف، لكن لاحظنا شيئًا هامًا.. أنه لا يقتل ضحاياه أبدًا!»

انعقد حاجبا أحدهم وهو يقول بارتباك: «لا يقتلهم؟ ألم تقُل منذ لحظات أنه يقتلهم رعبًا وفزعًا؟»

ابتسم هادي لارتباكه أمام الجملة رغم وضوحها وضوح الشمس، قال بهدوء: «لا يقتلهم بنفسه، يعتمِد على قتلهم خوفًا وفزعًا، لكن ضحيته لو لم يمُت فزعًا لن يقتله أو يعتدي عليه»

«ولماذا يفعل هذا؟»

«أغلب الظن أنه يتغذى على خوفهم، لكن الأبحاث لم تُثبِت الأمر بعد»

تأمل العظروط وهو يقول: «أعتقِد أننا سنعرف قريبًا»

كاد يتحرَّك مُنتقلًا لقفص آخر قبل أن تسأل واحدة منهم بدهشة: «ألن تخبرنا كيف أمسكتم به؟»

نَظَر هادي لساعته قبل أن يقول: «كاد وقتنا هنا أن ينتهي، اسمحوا لي أن أريكم أكبر قدر مُمكِن من الشياطين قبل أن نخرج، وسنمُر على قسم الأرشيف قبل أن نرحل عن هنا، هناك ستجدون شرائط مُسجَلة لكيفية اصطياد كُل شيطان من تلك الشياطين، غير مسموح لنا بالخروج في أي مُهِمة دون كاميرات صغيرة مُثبَّتة في خوذاتنا، لتُسجِل كُل لحظة من لحظات مُغامراتنا»

تفهَّموا الأمر، خصوصًا مع فضولهم الشديد لرؤية بقية الشياطين الموجودة في الحديقة، تبعوا هادي في صمتٍ تام.

***

قبل أن يصلوا لوجهتهم التالية، طلب منهم هادي أن يضغطوا الزر الموجود في سماعاتهم، والمسؤول عن خلق حالة الصمت الصناعي، وأن يعتمِدوا في سماعه على أجهزة الاتصال الداخلية الموجود في السماعة بدلًا من الاستماع إلى صوته مُباشرةً، وعلى الرغم من غرابة طلبه.. إلا أنه وافقوا من فورهم، كان فضولهم هو السبب في تغيُّر سلوكهم من حُب الاستطلاع والمعرفة واستبدالهما بالسمع والطاعة.

سَمِعوا صوت هادي يسألهم عبر جهاز الاتصال الداخلي: «هل تسمعونني؟»

هـزّوا رؤوسـهم في إشـارة لـكونهـم يسـمعونه بوضـوح، تحـرَّك هـادي نحـو قفـص قريـب، كـان مُختلفًـا عـن سـابقيه، لأن هـذا القفـص مُحـاط بعـدة لافتـات تنبيـه مفادهـا ضـرورة التسـلُّح بالصمـت الصنـاعـي، وعـدم عبـور الخطـوط البيضـاء المرسـومة أرضًـا.

لم يفهمـوا السـبب، لكنهـم قرَّروا ألا يسـألوا، بعـد قليل سـيعرفون كُل شيء، هـكـذا علَّمتهـم التجرُبة، تأملوا الموجود داخِل القفص بدهشـة قبل أن ينظُـروا إلى هـادي وعـدم الفهـم يتراقص في أعينهـم.

فأمامهـم تقف امـرأة جميلـة، بل ربمـا هـي أجمل امـرأة رأوهـا في حيواتهـم، شـعرهـا أشـقر مُنسـدِل فوق كـتفيهـا، عيناهـا الزرقاويتان تلمعان في نعومـة لم يـروا مثلهـا مـن قبـل، حُمـرة خدودهـا تسـبَّبت في زيـادة دقـات قلوبهـم، وابتسـامتهـا كـادت تذيبهـم داخِـل صـدورهـم، ربمـا حبسـوهـا داخِـل هـذا القفص تجنبًـا للفتنة، لكنهـم لم يجدوا سببًـا آخرًا يُفسّر وجودهـا هـا هنـا.

سـأل هـادي واحـدًا منهـم رآه وهـو يغـرق في بحـار فتنتهـا وجمالهـا: «ما رأيك بها؟»

تمتم دون أن يستطيع أن يرفع عينيه عنها: «جميلة.. وأي جمـال هـذا!!»

«راقِب فمها»

تأمَّل الفتـى شـفتيها، شـهيتين كـحبـات الفراولـة، تلتمعـان تحـت الضـوء وكـأنهمـا تستفزانه، راقبهمـا دون أن يدري أن جسـده بدأ بالارتجـاف شـوقًا رُغمـا عنـه، ويبـدو أن هـادي لاحـظ الأمـر بـدوره، لأن صوتـه هـذه المرة جـاء مليئًـا بالسُـخرية وهـو يقـول: « يـا فتـى.. هل مـا زلت معنـا؟»

حينهـا لاحـظ الأمـر، تُحـرِّك شـفتيها في إيقـاع بطـيء مُمِـل، وكـأنهـا تُهمهـم بأغنيـة بطيئـة أو لحـن هـادئ.

اعتدل في حرج وهو يُبعد ناظريه عنها بصعوبة، تطلَّع نحو هادي وهو يقول: «ماذا تقول؟»

سأله هادي في اهتمام: «ما اسمك؟»

قال الفتى من فوره: «مروان»

«اضغط زر الصمت الصناعي يا مروان واسمعها بنفسك، ربما استطعت تلبية طلبها»

تردَّد مروان لوهلة، لكن رغبته في معرفة الأمر كانت أقوى منه، ضغط زر الصمت الصناعي وسمعها للمرة الأولى، كان صوتها ساحرًا، لم يسمع من قبل صوتًا يملك بين طبقاته هذا القدر من السحر والفتنة.

هل تناديه؟

«مـ - ر - و - ا - ن»

إنها تناديه، اصطفته من بين كُل الموجودين هنا بالنداء، لأول مرة في حياته يشعر أنه محظوظ، صوتها لا يقاوَم، نسي هادي، نسي الحديقة، نسي كُل شيء باستثناء حقيقة وجودها أمامه.

«مـ - ر - و - ا - ن»

يا قلب مروان الذي تفتَّت إربًا حين سمع صوتك، يا روح مروان التي تعلَّقت بكِ منذ رآكِ، يا عقل مروان الذي سُلِب حين تبيِّن سحرك الفتَّان.

تحرَّك كالمسحور مُقتربًا منها، خطواته بطيئة ثابتة، لسببٍ مفهوم انتابه بعض الخوف، لكنهم تواروا في خلفية مشاعره وقاع أحاسيسه، بعيدًا.. حيث يُمكِن تجاهله، اقترَب منها، تجاهَل دقات قلبه التي زادَت بعُنف،

تجاهل قدميه اللتين بدأتا في الارتعاد بشدة، تجاهل كُل شيء أمام سحر صوتها الخلَّاب.

«مـ - ـر - ـو - ا - ن»

اقترب من القفص الزجاجي، عَبَر الخط الأبيض الذي حذّرته اللافتات من عبوره، اقتربت بدورها من الحاجز الزجاجي الذي يفصلهما عن بعضهما البعض، ألصقت يدها على الزجاج، فعل مثلما فعلت دون تفكير.

اقتربت بوجهها من الزجاج، اقترب قليلًا، حين شعر أنه امتلكها، وأنها تغازله، تبدّلت الأمور، تغيّر شكلها واختفى جمالها، تحوَّلت لمسخ قبيح، مسخ يرتدي فستان أبيض قذر مُمزَّق، تطفو فوق الأرض دون أن تلمسها، وشعرها المجعّد يتطاير حول رأسها في جنون، عيناها تلتمعان بشر لا حدود له، وفمها مفتوح عن آخره ليسمح بمرور صرخة كادت تصم آذانه، سمحت له تلك الصرخة برؤية أسنانها الصفراء، يكاد السوس ينخرها عن آخرها، لسانها أسود مشقوق يتراقص بين شفتيها كحية سامة، ورغم وجود حاجز يمنعها من الوصول له، إلا أن قلبه كاد أن يتوقَّف من شدة الفزع، حاول أن يتحرَّك، أن يهرب منها، لكن الخوف كان قد تمكَّن من حواسه بأكملها، لم يعد يمتلك القدرة على الهروب أو الحركة، شعر بمن يقترب منه من الخلف، لكنه لم يستطِع حتى أن يلتفت ليعرف هويته، في اللحظة الأخيرة، وقبل أن يفقد وعيه رُعبًا وهلعًا، شعر بمن يضغط زر الصمت الصناعي في سماعته.

اختفى صوتها، استعاد سيطرته على جسده فتراجع للخلف سريعًا، امتلأت عيناه بالدموع وهو يتنفَّس بصعوبة، استند على ركبتيه، نكَّس رأسه أرضًا وهو يتنفَّس بصعوبة، رأى بضع دمعات تسقط على الجهة الداخلية من نظارته، سمع صوت هادي عبر جهاز الاتصال الداخلي يأمره بصرامة: « قُل لها.. معي ملح!»

لم يفهم الأمر، رفع رأسه ونظر له من بين دموعه، كان هادي هو الذي انتزعه من بين براثِن فتنتها وسحرها، أمره مرة أخرى، هذه المرة امتزجت فيها الصرامة بالغضب، صرخ به: «قُل لها.. معي ملح!»

لم يفهم مروان السبب، لكنه قرَّر ألا يجادله كثيرًا، صرخ بها من بين دموعه: «معي.. معي ملح»

نظرت إليه قليلًا قبل أن تتراجع للخلف وهي تستعيد هيئتها السابقة، وتُخفي قبحها خلف حُسن خلَّاب وبهاء فتَّان، عادت لهيئتها الأولى التي هام بها منذ قليل، تجاهلها وهو ينظر نحو هادي ويسأله بغيظ: «لماذا؟»

ابتسم هادي وهو يرفع كتفيه بلا مُبالاة قائلًا: «لطالما اعتقدت أن التجربة العملية هي الوسيلة الأنسب للتعلُّم»

(6)

وقف هادي أمام أحد الأقفاص، بداخله كائن مشوَّه، يُشبه بشري أحدب مُثقَل بورم هائل في ظهره، طويل القدمين، ذراعه يتحرَّك بصورة مُستحيلة فيزيائيًا وكأنه مكسور ومُعلَّق في الهواء، ينظر لهم بعينين واسعتين يغلب عليهما اللون الأحمر، ابتسم هادي وهو ينظر إليه قبل أن يتأمل دهشتهم أمام القفص، سألهم في هدوء: «هل يعرف أحدكم ما هذا؟»

تردَّد الجمع قليلًا، قبل أن ترفع فتاة من وسطهم يدها وهي تقول بخجل: «هل هو الويندیجو؟»

نظر لها الجميع، بعضهم بإعجاب لأن هذا لم يكن ليخطر على بالهم إطلاقًا، وبعضهم بحسد لأنها سريعة البديهة تملك من المعرفة ما لا يمتلكونه، هزَّ هادي رأسه يمنة ويسارًا ليُخبرها أنها مُخطئة قبل أن يقول: «ليس هو.. لكنه أحد أقربائه!»

سرت همهمة دهشة بين الحضور قبل أن يقطعها هادي بصوتٍ قوي مُتسائلًا: «هل من تخمينات أخرى؟»

انتظر قليلًا وهو يطالع الحيرة التي سكنت عيونهم قبل أن يقول: «الموجود أمام حضراتكم في القفص هو الوحش الأسطوري الشهير، القادِم من حضارات الأمريكيين الأصليين قُدمًا إليكم، وحش فلكلور النافاجو، الـ **Skin-Walker**، أو كما نُطلِق عليه (المُتشبِّه) لأنه يعشق التشبُّه بضحاياه، الموجود أمامكم الآن صورته الحقيقية، لا يستطيع تغييرها بأي طريقةٍ كانت، علمًا بأنه يمتلك من تلك الطرق الكثير، لأن الموجات التي تُحيط بقفصه تُضعِف قواه»

صمت قليلًا قبل أن يبتسِم بثقة وهو يسمع بعض شهقات الدهشة والانبهار

وهـي تتدلـع مـن بـين أفواههـم، قبـل أن يسـألهم: «هل تريـدون معرفة كيف أمسـكنا بهذا المسخ؟»

وعلـى الفـور اهتـزَّت العديـد مـن الـرؤوس بالإيجاب، بالطبع يريـدون معرفة كيف أمسـكوا بمثل هذا الوحش القوي، كيف سيطروا عليه؟ وكيف انصاع لهم؟

وعلـى الرغـم مـن ضيـق الوقـت.. إلا أن هـادي كـان مُنتشيًا بانبهارهـم أمـام ثباتـه، بعلمـه أمـام جهلهم.

تنفَّس بعُمق، قبل أن يأمُر الجميع بضغط الزر الموجود في خوذاتهم، فعلوهـا جميعًا لتبـدأ أمامهـم عمليـة مُعـدَّة مُسـبقًا، ومصحوبة بالتعليـق الصوتـي للأحـداث.

***

كـان الجـو بـاردًا، خَـرَج باتريـك مـن كـوخـه الصغيـر وهـو يُمسِك بلجـام جلدي ينتهي بثلاثة أطواق، يرتدي كُل كلب من كلابه الشرسة القوية أحدهـم حـول رقبتـه، علـى الرغـم مـن سـوء الأحـوال الجويـة وتأخُّـر الوقت قليـلًا إلا أنـه كـان يعـرِف - ويُقـدِّس - تلـك الجولـة الليليـة مـن أجـل سـلامة كلابـه، لطالما تـذمَّرَت زوجتـه بهـذا كُلمـا طلبـت منـه الخـروج للتنـزُّه أو لزيارة والدتها الحمقاء، وهـي الأمور التي كان يرفضها ويتحجَّج بإرهاقه من العمل في المزرعة لساعاتٍ طويلة، كانت دائمًا ما تقول بسُخرية: «لكم أتمنى لو كُنت كلبة من كلابك، على الأقل كُنت ستصطحبني للتنزُّه»

وكـان دائمًـا مـا يجيبهـا بسُـخرية دون أن تسـمعه: «لـكـم أتمنـى لـو كُنـتِ امـرأة لطيفـة، علـى الأقـل كُنـت سـأظل بصُحبتـك بـدلًا مـن الهـروب منـكِ بصُحبـة الـكـلاب!»

راقَب البخار المتصاعِد من فمه بسبب برودة الجو، قبل أن يتحرَّك نحو الجنوب، في اتجاه الرياح، هروبًا من لسعات برودتها، تاه بين خواطِره قليلًا وترك الزمام للكلاب الثلاثة لتقوده حيثما تُريد وأينما تذهب، لم ينتبه للأمر ولم يفق من خواطره إلا حينما سَمِع صوت زمجراتهم الشرسة، يعرفها جيدًا ويحفظ أصواتها ربما أكثر من صوت زوجته، يجيد ترجمة انفعالاتهم من مُجرَّد أصوات حيوانية لمشاعِر يعرفها يقينًا، هذه المرة أدرك الأمر سريعًا.. كانوا خائفين!

وبشدة!!

توقَّف، ولم يحتج لجذب لجامهم ليتوقفوا بدورهم، راقبهم يتراجعون للخلف في خوف مُمتزج بالقلق، نظر أمامه فلم ير سوى الظلام، لكنه يثق فيهم للغاية، عرف أن هناك شيئًا ما كامن في الظلمات، الرجفة التي سَرَت في عموده الفقري أخبرته أن الأخير يراه.. ويراقبه.

فكَّر أن يدير وجهه ويعدو نحو الكوخ، لكن.. هل من الآمن أن يوليه ظهره؟

بدأ بالتراجُع للخلف ببطء، تحسَّس بندقيته المُعلَّقة على ظهره وكأنه يستمِد منها الأمان، لكن معدنها البارِد أثار قلقه، بدأ بالتراجُع للخلف في سُرعة قبل أن يسمعه!

صوت وقع أقدامه البطيئة، كان يتحرَّك نحوه، أيًا كان جنسه أو نوعه.. فها هو على وشك كشف الستار عن نفسه أمام عينيه، يتحرَّك ببطء، واثِق الخُطى كأنما ملك الكون من حوله، وقف باتريك في مكانه دون أن يقدِر على الحركة، راقبه وهو يخرُج من وسط الظلام، شعر بقلبه يؤلمه بقوة، وكأن هناك من يعتصِر قلبه بقبضة بارِدة، هل سيسقط فريسة لأزمة قلبية من شدة الخوف؟

وكأن الظلام انقشع ليظهر من داخله هذا المسخ، وكأنه تمخَّض ليلِد من الرعب ولدًا، كان يُشبه الذئب، لكن هذا - وبكُل تأكيد - أضخم من أي ذئب آخر كان قد رآه من قبل، وهو قد رأى الكثير من الذئاب!

تراجَع للخلف سريعًا وهو يشهَق، حاول أن يجد الكلمات المُناسِبة ليناجي بها الله كي يخرجه من هذا الموقِف لكنه لم يجدها، وكأن الخوف تلحَّف بها ليتركه وحيدًا في برد الرعب، تعثَّر. فسقط أرضًا، ففكَّر في الزحف فوق مؤخرته قليلًا، لكنه كان ذكيًا، علِم أنه لو لم يتصرَّف سريعًا لانتهى الأمر، لا قِبَل له بمواجهة هذا المخلوق، الذي عَرِف وتأكَّد أنه ليس ذئبًا من النظرة الأولى، أمسك ببندقيته وسحبها سريعًا، وجه فوهتها نحوه دون أن يفك حزامها عن ظهره، لوى جسده كي يتمكَّن من التصويب، كان يعرف جيدًا أن لكُل دقيقة ثمن، وأنه من سيدفع ثمن لحظات التأخُر، أطلق رصاصة واحدة قبل أن تُسقِط قوة الدفع البندقية من يده، سمع صوتًا صفيرًا يحرق أذنه من شدة قُرب الرصاصة من وجهه.

لكنها كانت كافية!

رآه ينزف من عينه وهو يعوي بصوتٍ كاد يوقِّف قلبه هلعًا، كانت كافية لتجعله يتراجَع نحو الظلام مرة أخرى، عوى ثانيةً وكأنه ينتحِب، وقف وهو يجذب لجام كلابه وانطلقوا جميعًا في العدو نحو الكوخ، دون أن ينظُر خلفه.

كان يعرف أنه لن يُطارده الآن وقد انشغل بألم جرحه.

لكنه كان يعرف جيدًا أنه لن يكون لقائهما الوحيد!

***

سمع صوت الطرقات على باب كوخه الخشبي، انتفض من نومه، هكذا حاله منذ لقاء ذلك المسخ، أصبح يرتجِف كالورقة طوال الوقت، مُثقَل بأعصاب اهترأت من قسوة التوتُّر، سمع صوت الطرقات مرة أخرى، مد يد مُرتجِفة نحو المنضدة الخشبية الموجودة بجوار سريره ليتناول كوبًا من الماء، شرب منه قليلًا علَّه يبتلِع القليل من توتره قبل أن يسأل بصوتٍ مُرتجِف: «من بالباب؟»

سمع صوتًا أجشًا يقول في تلعثُم: «أنا غريب ضلَّ طريقه، يبحث عن سقف يبيت تحته، ورغيف خُبز يسد جوعه، فهل لك.. أن تساعدني؟»

رفع حاجبيه في دهشة!

غريب!

هنا!

لم يرَ أغراب في هذه المنطقة منذ سنين عدة، وقف وهو ينظر لبندقيته المُعلَّقة على الحائط، كانت الكلاب قد سافرت لمزرعة كلود، شقيقه الصغير، لأنها في الفترة الأخيرة لم تتوقَّف عن النباح طوال الوقت وهو أمر زاد من توتّره، بينما سافرت زوجته إلى أهلها لتقضي عندهم عدة أيام، تراجَع في اللحظة الأخيرة قبل أن يتجه نحو الباب، أمسَك بمصباحه من فوق المنضدة المجاورة للباب وهو يفتحه.

رأى الغريب يقف مُبتسمًا، يبدو غامضًا، يغطي عينه اليسرى بقطعة من قماش أسود اللون، ابتسم لوهلة حين مرّ بخاطره أنه يُشبه القراصنة، قبل أن يُخفي ابتسامته بعيدًا وهو يبتعد عن الباب سامحًا للغريب بالدخول.

قال بصوتٍ تشوبه بعض الصرامة: «كدت أحضر بندقيتي لكنني قرَّرت أن أؤجِّل هذا القرار»

كانت معلومة لا هدف منها سوى تنبيه الغريب أنه يمتلِك بندقية في الكوخ، علّه يتراجَع عن أي أفكار سيئة، هذا في حال امتلك بعضها بالطبع، ابتسم الغريب وهزَّ رأسه دون أن يُعقِّب، حين اقترب الغريب لاحظ شيئًا غريبًا، كأنه كان سمينًا وفقد الكثير من وزنه، أو.. أو كأن جلده واسِعًا عليه بعض الشيء، هزّ رأسه وهو يطرد ذلك الخاطر السخيف عن رأسه، سأله في رفق: «هل تريد القليل من الحساء؟»

هزَّ الغريب رأسه في موافقة وهو يبتسِم امتنانًا، توجَّه نحو القِدر وهو يُشعِل النار تحته، قبل أن يسمع صوت زمجرة خافتة من خلفه، نظر للخلف وهو يتوقَّع أن يراه جالسًا على المنضدة، لكنه كان واقفًا خلفه!

كيف وصل إلى هنا بهذه السُرعة؟

قبل أن يجد إجابة لسؤاله رأى المُتشبِّه وهو يمزق الجلد من فوقه، حينها عَلِم أنه يواجِه متشبِّه بالفعل! سمع الكثير من القصص من جده وجدته عن المُتشبهين وعن طرقهم في التنكُّر، قالوا له أن بإمكان المُتشبِّه تغيير ملامحه بشكلٍ يكاد يُطابِق البشر، لكن عينيه دائمًا ما تفضحانه، أو أن المُتشبِّه قادرُ على أن يسلك طريقًا أصعب قليلًا، لكنه يحبه ويستمتع به، بأن يقتل بشريًا ويسلخ جلده عن لحمه قبل أن يرتديه وكأنه زي رسمي!

شعر بالمُتشبِّه وهو يمد يديه ليُمسِك به من ذراعيه، رفعه عاليًا وهو يفتح فمه عن آخره، وكأن مفصلاته مصنوعة من المطاط، وجد فمه يتسِع للغاية وكأنه سيبتلعه، شاهد أسنانه النخِرة وهي تلتمع بفعل لعابه المُتساقِط، صرخ فزعًا: «أنقذوني!»

ابتسم المُتشبِّه في سُخرية وهو يقول: «من الذي سينقذك من بين براثني أيها التافِه؟»

سمع صوتًا يقول من حلمه: «أنا!»

وصوت آخر عن يمينه يقول: «وأنا أيضًا!»

انتفض المُتشبِّه في فزع وهو يُلقي بباتريك نحو الموقد المُشتعِل، سقط فوقه وهو يعوي ألمًا بسبب وعاء الحساء الساخِن الذي انسكَب فوق جلده، لكن الأمر - بالتأكيد - كان أفضل قليلاً من الموت بين أنياب هذا اللعين.

من خلف المُتشبِّه. وقف رجلان متجاورين، أحدهما كان أكرم والآخر كان هادي، بدا أكرم شرسًا متأهبًا لبدء القتال وهو يمسِك في يده برُمح بدائي، وهو الأمر الغريب. كون هادي يقف بجواره ممسكًا بمُسدَّس معدني من طراز قديم يلتمع بسبب ضوء المصباح الموجود بجواره.

هاجمهما المُتشبِّه فافترقا وكل منهما يبتعِد في اتجاه، ابتسم المُتشبِّه وهو يعيد الكرة، لكن هذه المرة جذبه هادي نحوه بعد أن تظاهر بالتعثُّر في أحد المقاعِد، ظنَّه المُتشبِّه فريسة سهلة فقرَّر أن يركِّز عليه مُتجاهلًا أكرم الذي كان ينتظِر هذه الفرصة، وخزه بطرف الرمح، حاول أن يطعنه لكنه كان بعيدًا عن مجاله فاكتفى بوخزه، وكان الأمر كافيًا لأن يصرخ الأخير بألم ويتصاعد دخَّان أبيض اللون من جرحه.

وقف بجوار الباب مُرتجفًا، كان يُفكِّر في الهروب، وهي الخطة التي توقَّعها أكرم فورًا فقال مُحذرًا: «لا تحاول.. العديد من زملائنا ينتظرونك بالخارج»

نظر المُتشبِّه نحو جرحه الذي لا يزال يتصاعَد منه الدخَّان، قبل أن يقرِّر أنه لا بد من القتال، وقبل أن يتحرَّك من مكانه قرَّر هادي أن يضع حدًّا للأمر، أطلق رصاصة واحدة نحو قدمه اليسرى، سقط المُتشبِّه أرضًا وهو يصرخ بألمٍ لا حدود له، نظر له أكرم نظرة مليئة باللوم وهو يقول: «لم

تترك لي الفرصة لأستمتع قليلًا!»

قبل أن يُخرج من جيبه جهازًا صغيرًا يضغط زره لتخرج من مقدمته شبكة رقيقة مُكهربة، أحاطت بالمسخ واحتوته داخلها وهو يرتجِف جراء التعرُّض لشحنة كهربائية كافية لإفقاده وعيه دون قتله.

قبل أن يفقد المسخ وعيه طقطق بفمه ثلاث مرات مُتتالية بصوتٍ عالٍ، وكأنه نداء استغاثة يُشبه ذلك الموجود دائمًا في روايات وأفلام الفضائيين، ثم فقد وعيه وخمدت حركته تمامًا.

سمعا صوت باتريك يسألهما من الخلف: « لماذا لم تقتلاه؟»

ابتسم أكرم بسُخرية وهو يقول: «نحتاج للحديث معه قليلًا، هل نقودك بحوزتك؟»

هزَّ باتريك رأسه وهو يحاول مسح الحساء عن جسده بألم، قبل أن يقول هادي: «شكرًا لك يا مستر باتريك»

حملا المسخ فاقد الوعي وهمّا بالخروج، قبل أن يسمعا باتريك يسألهم: «ماذا كُنتما ستفعلان في حال قرَّر الهروب ولم يجد أي شخص بالخارِج»

قال أكرم بمرح: «على الأرجَح كان سيعود لقتلنا جميعًا، لكن يبدو أنه كان أحمق بما يكفي ليسقط في فخ خدعتي»

صافَح هادي أكرم على طريقة الـ **High-Five** الأمريكية الشهيرة وهو يقول مُبتهجًا: «كانت خدعة موفقة»

قبل أن يخرُجا ويُغلقا الباب من خلفهما.

***

انتهى المقطع المصوَّر الذي يُعرَض عليهم، كان المُعلِّق الصوتي حريصًا على سرد كُل التفاصيل بالكامِل بشكلٍ يتماشى مع الصورة، نظر إليهم هادي وهو يتأمَّل لمعات الانبهار المتلألئة في أعينهم، قبل أن يتنفَّس بعُمق وهو يسألهم: «هل لدى أحدكم أي أسئلة؟»

رفعت واحدة منهم يدها وهي تتقدَّم للأمام وسط زحام الجمع، ثم ظهرت ملامح ليلى من وسطهم وهي تبتسم قائلةً: «لدى العديد من الأسئلة»

نظر هادي في ساعته، ما زال لديهم وقت لا بأس به من أجل سؤال أو اثنين، أشار لها أن تبدأ في طرح أسئلتها، ابتسمت بتباكرةٍ وقالت: «لماذا كان الرُمح يحرقه؟»

اتسعت ابتسامته وهو يقول: «أنتِ ذكية، كُنت أنتظر هذا السؤال»

اتشحت بالخجل وهي تتظاهر بكتابة شيء ما في دفترها، بينما نظر هادي لهم وهو يقول: «هذا لأن نصل الرمح المعدني كان مُغطى بأكمله بالرماد الأبيض، ومن المعروف أن من المُستحيل قتل المُتشبّهين إلا بنصلٍ معدني أو رصاصةٍ مغطاةٍ بالرماد الأبيض، وهنا يأتي دور نصيحة هامة.. لا تبدأ قتال لا تمتلِك فيه زمام الأمر، في حال هاجمنا أنا والضابط أكرم ذلك المسخ دون أن نعي نقطة ضعفه ونتجهَّز للأمر، لتجرعنا مرارة الخسارة وربما خَسِر أحدنا حياته على يد ذلك المسخ اللعين»

رفعت ليلى يدها مرة أخرى، أشار لها مانحًا إذنه لتطرح سؤالها، قالت بحماس: «ألم يأتي في بال أحدكم أن تلك الطقطقة المُتتالية التي أطلقها حين سقط فريسًا لشباككما، كانت شيفرة من نوعٍ ما، أقول هذا بناءً على دراستي الـ..»

قاطعها هادي وهو يقول: «وما هي دراستك يا ليلى؟»

قالت وقد بدأ ينتاب صوتها بعض الغضب جرّاء مُقاطعتها: «أنا مُتخصّصة في فك الشفرات والـ..»

للمرة الثانية قاطعها، هذه المرة لم يحاول أن يُخفي سُخريته وهو يقول: «لا أظن أن الشياطين لديها شيفرات ولا أسرار لتخفيها يا ليلى..»

شعرت ليلى بالضيق، لم تحتمل أن يُقلِّل أحدهم من الشيء الذي تعشقه، لم تحتمل أن يسخر أحدهم من دراستها ومن علم عظيم مثل علم التعمية، لم تُفكِّر كثيرًا، وانطلقت من فورها تقول: «علم التعمية كما يعرفه الخُبراء من أمثالنا، أو علم التشفير كما يعرفه الهواة وغير الدارسين وهو دراسة ومُمارسة التقنيات من أجل تأمين عملية التواصل بوجود أشخاص آخرين مثل الأعداء، وهو علم هام للغاية، يعتمد بشكل أساسي على تحويل البيانات من شكلها الطبيعي المفهوم إلى شكل غير مفهوم، لا يفهمه سوى من يملك طريقة فك التشفير فقط، وقبل أن يخبرني أي شخص أن هذا العلم مثل كثير من العلوم بدأ ونشأ في الغرب، اسمح لي يا سيد هادي.. واسمحوا لي جميعًا أن أخبركم أن أقدم شيفرة معروفة في التاريخ كانت هنا، في أرض الكنانة، في مصر.. أول دليل معروف على استخدام التشفير كان في نقش منحوت حوالي العام ١٩٠٠ قبل الميلاد، هل تعرف يا سيد هادي أين كان وماذا كان؟»

شعر هادي بقليلٍ من الحرج كونه لا يعرف تلك المعلومة، لم تنتظر ليلى إجابته، كان غضبها هو وقود حديثها الذي لا يتوقّف.

استكملت حديثها: «كانت في قبر النبيل خنومحتب الثاني، استخدم الكاتب وقتئذٍ بعض الرموز الهيروغليفية غير العادية هنا وهناك من أجل تغيير شكل الرسالة ومضمونها بطريقةٍ كريمةٍ، وعلى الرغم من كون ذلك النقش ليس نوعًا من أنواع الكتابة السرية إلا أنه تضمَّن تحويلًا في النص الأصلي، بعض الناس الذين أظنهم مثل حضرتك يا سيد هادي

سيقولون إن هذا ليس نوعًا من التشفير، فاسمحوا لي أن أخبركم أن التشفير كما يجب أن يكون حدث في عام ١٠٠ قبل الميلاد، هل تعرف يوليوس قيصر يا سيد هادي؟»

كاد يجيبها لكن قطار غضبها دهس محاولته وهي تقول: «بالطبع تعرفه! أول تشفير احترافي معروف في التاريخ كان تشفير قيصر والذي كان يستخدمه من أجل نقل الرسائل السرية إلى جنرالات جيشه الذين تم نشرهم في جبهة الحرب، وكان يعتمد بشكلٍ أساسي على تحول بمقدار ٣ تشفير، أي تغيير كُل حرف بـ ٣ أماكِن، فتجد أن الحرف «أ» يتم استبداله بالحرف «ث»، و«ب» بـ «ج»، وهلم جرًا، في النهاية تدور الحروف في النهاية فتجد أن الحرف «ي» يتم استبداله بالحرف «ت»»

أنهت حديثها وهي تلهث قليلًا قبل أن تقول: «أما بالنسبة لتعليق حضرتك الساخِر عن شيفرات الشياطين فسأكتفي بالإشارة للرسالة التي أملاها الشيطان على راهبة إيطالية في القرن السابِع عشر، زعمت الراهبة آنذاك أن الشيطان هو من أملاها تلك الرسالة المُشفَّرة والتي ما زلنا حتى الآن لم نستطِع فك كامِل تشفيرها، فردًا على حضرتك.. أجل.. الشياطين لديها ما تُخفي، ومن أجل ذلك.. تستعمِل الشيفرات!»

شعر هادي بالغضب، حتى لو كانت مُحِقة، فهو أقدم منها في الإدارة، وعليها أن تحترِم أقدميته حين تُخاطِبه.. لكن قبل أن يجيبها سمعوا جميعًا صوت باب الحديقة يُفتَح بعُنف، ومن خلفه ظهروا جميعًا.

المُفتش الهندي الغارِق في نوبة غضب تبدو كبيرة، ومن خلفه المُدير الذي يبدو عليه الضيق الشديد، ربما لأنه لا يحتمِل ثورة غضب المُفتِش، أو لأنه مُتعاطِف معه ويشعُر بغضبه، أما أكرم فكان يسير خلفهما متأخرًا ببضع خطوات.

اتسعت عيناه وهو يرى هادي ومجموعة المُستجدين، أشار نحو ساعته بغضب وهو يرمق هادي بنظرة لم يرها من قبل، وقبل أن يسمح له بتبرير موقفه أو شرح الأمر -حتى ولو بالإشارة- أشار له أن يصرف المجموعة، هزّ رأسه قبل أن ينظُر للمجموعة وهو يقول بكثيرٍ من التعجُّل: «حسنًا، انتهى وقتكم هنا اليوم، عليكم أن تذهبوا..»

حاولت ليلى أن تحتج وهي تقول: «لم تنتهي أسئلتي بعد، لا زال لدى بعض الـ..»

قال هادي بغضبٍ وبلهجة آمرة: «حالًا، أطيعوا الأمر»

شعروا بتوتُّر الأمور، فقرَّروا جميعًا التزام الصمت وإطاعة الأمر، توجَّه هادي بخطوات سريعةٍ نحو الباب الرئيسي وهو يتأكَّد من خروجهم جميعًا، قبل أن يعود بخطواتٍ سريعةٍ نحوهم، ابتسم وهو يمد يده نحو المُفتِّش: «أهلًا بك يا سيدي!»

لم ير نظرة عدم التصديق التي تظهر في عيني أكرم، أو نظرة القلق التي ظهرت في عيني مُدير الإدارة، نظر إليه المُفتِّش بغضب دون أن يمد يده قبل أن يقول بثورةٍ: «ومن هذا أيضًا؟ هل تشعرون أننا بالفعل نمتلك الكثير من الوقت من أجل أن نضيعه مع أحد المُستجدين الحمقى!»

شعر هادي أن الأمور لا تسري كما خطَّط لها، حاول تبرير وجوده في هذا المكان بتعريف نفسه، علَّ المُفتِّش يُدرك أنه ليس مُستجدًا، استمرَّ في مد يده وهو يقول: «أنا هادي طاهر ابن طاهر الـ..»

أصدر المُفتِّش صوتًا ينم عن الاعتراض، قبل أن يصرخ بغضبٍ شديدٍ ولعابه يتطاير في وجوههم: «ابن الخائن!»

(7)

وكأن كلمته كان إذنًا بفتح بوابات الجحيم على الجميع!

لم يُصدِّق هادي أذنيه، للوهلة الأولى ظن أنه أخطأ السمع أو شيء من هذا القبيل، سأله مرة أخرى بغير تصديق: «ماذا قُلت؟»

كان سؤاله هو القشة التي قصمت ظهر غضب المُفتِّش، الذي بدأ بالصراخ مرة أخرى: «ابن الخائن! أولا يكفيكما عدم التعاون الذي تظهرونه بالفعل؟ والآن.. تأتون لي بابن الخائن من أجل عرقلة التحقيق! يبدو أن هذا المكان لا يتسم بالجدية!»

قاطعه المُدير قائلًا: «أنا لا أسمح لك..»

قال المُفتِّش بغضب وهو يضغط على أسنانه: «لا تقاطعني مرة أخرى، وإلا قدمت تقريري في الحال، وأنت تعرف.. إذا ما عرفت الإدارة العامة بأن ابن الخائن لا يزال يعمل، ولم يتم إيقافه عن العمل حتى الآن، وليس هذا فقط! بل إنه يحاول التدخُّل في تحقيقي! ناهيك عن عدم مُساعدتكما لي حتى الآن بالشكل الكافي أو حتى المُرضي!»

كانت عينا هادي مُتسعتين في صدمة، بدا وكأنه تحوَّل إلى تمثال أو أنه انفصل عن الواقِع، لا يتحرَّك، لا يتنفَّس، ولا يرمش، يقف ثابتًا ينظر نحو المُفتِّش، يستمِع لكُل ما يقوله عن والده، يراه وهو يُلطِّخ سُمعة والده أمامه ويصمه بالخيانة، ولا يقدِر على الرد حتى من شدة الصدمة.

احمرّ وجه المُفتِّش للغاية وهو يصرُخ بصوتٍ عالٍ: «يجب أن يتم إيقافه عن العمل في التو واللحظة، هذا وإلا..»

لم يعُد هادي قادرًا على التحمُّل، لم يعُد قادرًا على التزام الصمت، ولم

يعُد أسيرًا للصدمة بعد الآن، اندفع نحو المُفتّش وهو يُمسِك بياقة قميصه ويجذبه نحوه صارخًا بغضب تجلى في عروق رقبته التي نفرت وكادت تنفجِر، قرَّبه من وجهه وهو ينظر في عينيه، تطلَّع المُفتِّش لشياطين الغضب التي تتراقص بجنون في عيني هادي وهو يقول بشراسة: «وإلا ماذا أيها الوغد؟ وإلا ماذا؟ هل ستنعتهما بالخيانة مثلما فعلت مع والدي المسكين؟ هل ستلوِّث سمعتهما بما لم يفعلانه مثلما فعلت مع والدي؟ أنت وغد.. هل تعلم ذلك؟ أنت وغد وأنا لن أرحمك، وسأريك ماذا سيفعل بك ابن الـ.. ابن أنظف من عمل في هذه الإدارة»

صاح به مُدير الإدارة وهو يحاول أن يُبعِده عن المُفتِّش، لكن هادي كان مُتمسكًا به، وكأنه سر بقائه على قيد الحياة، استكمل ثورة غضبه غير عابئ بمحاولات المُدير المستمرة وهو يقول: «اسمعني جيدًا أيها النجس.. لو تحدَّثت عن والدي مرة أخرى سواء كان بالخير أو بالشر.. سيكون آخر يوم في حياتك العفنة الرخيصة، هل تفهمني؟»

في تلك اللحظة لم يعُد المُدير يحتمل الأمر أكثر من ذلك، شعر هادي وكأن ذراعًا حديدةً تُمسِك بيده، قوة لا قِبل له بها كانت تُبعِده، لم يعرف من الذي أبعده لكنه ترك ياقة قميص المُفتِّش مُرغمًا، صاح المُدير بأكرم غاضبًا: «أكرم.. خذه من هنا»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «الآن!»

أمسك به أكرم، وضع جسده بينه وبين المُفتِّش، الذي ابتسم بسُخرية وهو يُخرِج دفترًا صغيرًا من جيب بدلته الداخلي، فتحه وكتب به شيئًا ما وهو يقول: « شكرًا أيها الساذج.. لقد ساعدتني في إثبات وجهة نظري»

كاد هادي يُجيبه لكن أكرم كتم فمه بيده وهو يجره جرًا للخارِج، كان أقوى منه.. فلم يحتمِل معه صبرًا ولم يقدر على مقاومته، انقاد

كالشاه التي تُساق إلى قدرها، بينما صاح به المُفتِّش وهو يُعدِّل من وضع قميصه قائلًا: «هادي.. لدى رسالة أريد أن أبلغها لـ..»

ابتسم بسُخرية قبل أن يُضيف: «لوالدك النظيف! لكنني لا أتذكَّر ماذا كانت، دعني أتذكَّر للحظة، أها.. لقد تذكرتها»

لم يتوقَّف أكرم، كان يجذب هادي للخارج بكُل ما أوتي من قوة غير عابئ بحديث المُفتِّش المليء بالسُخرية، أكمل الأخير جُملته: «أخبره أن يتعفَّن في الجحيم.. جحيم الخونة!»

نظر بعدها للمُدير وهو يقول بسُخرية: «هل نستكمل تحقيقنا؟»

تجاهل نظرة المُدير المليئة بالغضب وهو يتحرَّك، لم يترك له خيارًا آخرًا سوى اللحاق به وكأنه تابع له، بينما جذب أكرم هادي دون توقُّف حتى خرجا من المكان بأكمله، وقفا في الساحة المزدحمة، لم ير أحد ما حدث بالداخِل، لكنه لم يكُن مشهدًا مُعتادًا أن يجذب أحد الضُباط القدامى ضابط جديد من ملابسه وهو يكتم أنفاسه بيده!

نظر أكرم من حوله، قبل أن يأمر الجميع بالعودة لأشغالهم بعيدًا عنه، امتثلوا جميعًا كونه أحد القدامى، قبل أن يترك هادي وهو يقول: «ما الذي فعلته؟»

صاح به هادي وهو يقول: «أولم تسمع ما الذي قال عن والدي؟»

قال أكرم بغضب: «سمعت، لكن هذا ليس التصرُّف الصحيح»

بسُخرية أجابه هادي: «وما التصرُّف الصحيح؟ أتركه يلوِّث سُمعة والدي وأقف مُتفرجًا!»

عض أكرم شفته السُفلى في غضب وهو يقول: «التصرُّف الصحيح هو

أن تعرِف الأمر منذ بدايته، كي تستطيع مُجادلته بالحُسنى، تعال معي..»

سار دون أن يترك له الفُرصة للاعتراض أو يترك له مجالًا للنقاش، بعد عدة خطوات قال دون أن يتوقَّف: «بالمُناسبة يا هادي، حتى إشعار آخر.. أنت موقوف عن العمل ومحوَّل للتحقيق!»

***

جلسا سويًا في غُرفة هادي، كان هادي غاضبًا بحق، غاضب للدرجة التي جعلته لا يقوى على الجلوس ساكنًا، أخذ يجوب الغُرفة ذهابًا وإيابًا وكأنه نمر حبيس يتوق إلى حريته، بينما جلس أكرم على أحد المقاعِد وهو يتأمله في صمت، مر القليل من الوقت، لم يهدأ هادي ولم يستكن، كما لم تنطفئ نيران غضبه.

سأله أكرم بفضول: «ماذا بعد؟»

تجمَّد هادي في موقعه وهو ينظُر إلى هادي بغير تصديق، أراد أن يصرُخ به، لكنه يعرِف جيدًا أن لا ذنب له على الإطلاق، ابتلع صدمته وهو يسأله بكثيرٍ من العصبية: «ماذا تُريدني أن أفعل؟»

«تهدأ! ما رأيك بهذه الفكرة؟»

قالها أكرم دون تردُّد، وكأن الأمر بديهي للغاية ولا يحتاج لسؤال، للمرة الألف خلال دقائق قليلة يُفكِّر هادي في ترك عنان غضبه كي ينطلق، لكنه كان يعرف أن غضبه في هذه اللحظة جامح، لن يُفرِّق بين عدو وحبيب، سيأكل أخضر المشاعِر ويابسها، وسيقضي على أوصال الود بينه وبين من يقِف في طريقه، لكنه هذه المرة - وعلى الرغم من كونه يستشيط غضبًا - ترك زمام الأمر كاملًا لعقله، عارفًا أنه سيسيطر على كُل الأمور خير السيطرة.

تنفَّس بعُمق، حاول أن يُطفئ نيران غضبه بسيل من الهدوء وهو يسأله: «لماذا نَعَت هذا الوغد أبي بالخائِن؟»

نظر إليه أكرم دون أن يجيبه، لكن هادي كان مُصممًا وهو يُكرِّر سؤاله: « لماذا نَعَته بالخائن؟»

في النهاية.. لم يجِد أكرم بدًا من الحديث، نظر في الأرض وكأنه يحاول الهروب من نظرات هادي قبل أن يقول: «ليس كُل ما يُعرَف.. يُقال!»

كان هادي يعلم هذا جيدًا، كما كان يعلم أن أكرم يفوقه في الرتبة وبالتالي يعلم الكثير مما لا يعلمه هادي، وكان يحترم هذا للغاية طوال الوقت.

لكن هنا.. والآن.. وسُمعة والده تلوَّث أمام الجميع!

لا مجال لمثل هذه الأحاديث الرسمية البارِدة.

جلس أمام أكرم، حاول أن يهدأ، قال وهو يستجديه عطفًا: «أكرم، أنت كُنت أعز أصدقائه وأقرب رفقائه.. هل كان خائنًا؟»

دون أن يُفكِّر أكرم ولو للحظة واحدة قال من فوره: «لا.. لم يكُن والدك خائنًا يومًا، بل كان نعم الناس»

تنهَّد بارتياح للمرة الأولى، عدم تردُّد أكرم وسُرعته في الإجابة على السؤال طمأنت قلب هادي كثيرًا، وأطفأ هذا الهدوء الكثير من نيران غضبه، قال وهو يحاول التماسُك: «إذن.. لماذا نعته هذا الوغد بالخيانة؟»

تنهَّد أكرم للمرة الثانية وهو يُكرِّر جُملته: «ليس كُل ما يُعرَف يُقال يا هادي!»

قال هادي سريعًا: «أعرف هذا.. أعرف هذا جيدًا»

وضع يده على كتف أكرم وهو يقول: «لكن.. من أجلي.. ومن أجل والدي.. صديقك المُقرَّب.. أخبرني بالسبب»

رفع أكرم عينيه وهو يقول: «لا أستطيع، عليك أن تعذرني. لكنني لا أستطيع»

وضع هادي يده الأخرى على كتفه، كان يعرف جيدًا أنه صادِق، عيناه تعكسان صدقه، كما كان هادي يثق في والده، وطالما وَثِق والده في أكرم. فهادي سيثق به ثقة عمياء مهما حَدَث، كان يتعمَّد لمس أكرم من أجل خَلق حالة من الحميمية والود، صمت أكرم، وصمت هادي احترامًا لصمته.

كان يعرف أن عدم الرفض القاطِع هو خبر جيد، ما زال هناك أمل، ما زالت هناك طريقة لجعل أكرم يعدِّل عن رأيه، عليه فقط أن يجد تلك الطريقة.

قال وهو يقترِب منه قليلًا حيث أراده أن يشعُر بصدق رغبته في معرفة الأمر كاملًا: «أكرم.. أستحلفك بكُل ما هو غالي أن تضعني على الأقل على بداية الطريق»

وقف أكرم وهو ينظر إليه بلوم، عَرف هادي أن حديثه قد لمس شيئًا بداخله، وأن محاولة أكرم للرحيل الآن ما هي إلا محاولة هروب من ضعفٍ يخشى أن يسيطر على مكنوناته فيسر له بأمر لا يريد إفشائه، عليه أن يستمِر بالضغط، عليه أن يستمِر بالإلحاح، عليه أن يكون لزجًا مُزعجًا!

حاول أن يُمسِك بكتفي أكرم مرة أخرى، لكنه تملَّص منه وهو يبتعِد،

سار بخطواتٍ سريعةٍ نحو الباب، بدا وكأنه يهرب فعلًا، لم يعُد هادي يعرف ما الذي سيفعله، وكمحاولة أخيرة.. مدفوعًا باليأس.. صاح وأكرم يفتح الباب: «ألا يستحِق أبي هذا؟!»

تجمَّد أكرم في مكانه، مرَّت عدة لحظات وهما يسبحان وسط صمت تام، قطع أكرم هذا الصمت وهو يقول دون أن ينظُر خلفه: «قسم الأرشيف.. عملية الشيطان الأقبض»

ودون أن ينتظِر ردًا خرج وأغلق الباب، تاركًا هادي خلفه، هذه المرة لم يكُن وحيدًا، كان بصُحبة ابتسامة رضا وتنهيدة ارتياح!

لقد فعلها!

لقد وجد أول الخيط.. وما عليه الآن سوى سحبه بين يديه.

دون تردُّد.

***

كان وصوله لقسم الأرشيف سهل للغاية، خصوصًا في مثل هذا الوقت الذي يُعتبَر بمثابة فترة راحة للكثيرين، يستغله الكثيرين في تناول طعام الغذاء في صالة الطعام الضخمة المُلحقة بالإدارة ومن ثم نيل ساعتين من النوم أو من الاسترخاء، استعدادًا لبقية اليوم وما فيه من أعمال.

وقف أمام باب الأرشيف وهو يتأمَّل اللافتة المكتوب عليها بخطٍ كبير: «الأرشيف»

رسم على شفتيه ابتسامة لطيفة حاول أن يجعلها مُقنِعة قدر الإمكان، طرق الباب وانتظر إلى أن سَمِع كلمة: «ادخُل»

كان يعرف هذا الصوت جيدًا، صوت الأستاذ عبد المنعم.. أحد أصدقاء والده ومن حُسن حظه أنه كان يعرفه جيدًا، على الرغم من أن قدوم هادي إلى هنا لم يكُن بمحض الصُدفة، كان بإمكانه أن يأتي إلى هنا مبكرًا، خصوصًا وأن حديثه مع أكرم كان قد انتهى منذ ساعتين أو ثلاث، لكنه طَفَق ينتظِر حتى رأى خروج الأستاذ من غُرفته، راقبه من بين خصاص شيش غُرفته وانتظر قليلًا حتى ينغمس في عمله، كان يعلم جيدًا - من حديث والده السابق - أنه بمُجرَّد أن ينغمِس الأستاذ في عمله، ينسى العالم وما فيه ويغرق بين الملفات القديمة التي ما زال مُتمسكًا بها رغم أنها تُعتبَر طرازًا قديمًا، لكنه استطاع السيطرة على الأمور جيدًا، حافظ على الملفات الورقية القديمة ذات الأوراق الصفراء والأطراف المثنيَّة، واستطاع مواكبة الواقِع والتكنولوجيا عن طريق أرشفة كُل شيء على خوادِم خاصة بالإدارة من أجل سهولة الوصول إليها.

دخل إلى الغُرفة وهو يتأمَّل الأستاذ، كان سمينًا بعض الشيء، يرتدي بنطالًا أسود اللون وقميصًا أبيض تمرَّد على قيود البنطال وفر منه ليبدو وكأن الأستاذ يرتديه منذ وقت طويل، يحافظ على تمسُّك بنطاله به عن طريق حمالات يُعلِّقها على كتفيه مُتجاهلًا مُزاح زملائه له وتشبيههم له بأحد الإعلاميين المعروفين، أصلع الرأس من المُنتصف، بينما تُحاصِر صلعته نتف من شعرٍ أبيض اللون يأبى أن يُمشَّط أو يستكين فوق رأسه.

كانت نظارته قديمة الطراز تستريح على أرنبة أنفه وهو مشغول بمُطالعة ملف قديم من فوقها، لاحظ هادي أنه لم ينظُر نحوه، بادره بالقول: «كيف حالك يا أستاذ؟»

أشار له الأستاذ بإصبع واحدٍ فيما معناه أن ينتظر قليلًا، بدا مشغولًا في قراءة فقرة بعينها، تحرَّكت شفتيه دون أن تُصدِرا صوتًا، أمسك هاتفه وهو يضع الملف على المكتب أمامه، صوَّر تلك الفقرة قبل أن يهمس لنفسه: «أحيانًا يغفلون عن بعض التفاصيل التي من شأنها أن تغيِّر مسار

كُل شيء»

نظر لهادي من فوق نظارته قبل أن تتفرج أساريره وهو يقول مُرحِّبًا: «يا أهلًا يا أهلًا بالغالي ابن الغالي، كيف حالك يا ولدي؟»

اتسعت ابتسامة هادي وهو يستشعِر الدفء من خلال ترحيب الأستاذ به، قال سريعًا: «أنا بخير يا أستاذ والله، لكن..»

كان قد تدرَّب على الأمر طويلًا قبل أن يأتي إلى هنا، خطَّط جيدًا للأمر، كان يعرف أن قسم الأرشيف لا توجد به شبكة، وبالتالي لا نَفع من هاتف الأستاذ المحمول، لذلك لن يعرف أنه حُوِّل للتحقيق بحلول هذا الوقت، بينما كان الأستاذ يعرِف والده جيدًا ويحبه، وهذا هو الوتر الذي سيستغله هادي ويلعب عليه ألحان خدعته المحكمة، قال: ولكن.. وصمت طويلًا ليُضفي تأثيرًا لا يُستهان به على حديثه.

ظهرت أمارات القلق على ملامِح الأستاذ المُكتنزة وهو يسأله باهتمام: «ولكن ماذا يا ولدي؟ تحدَّث، أنا مثل بابا»

ابتسم هادي وهو يقول مُتظاهِرًا بتأثره بكلمات الأستاذ: «بابا.. بابا أوحشني جدًا»

اعتلى الحُزن ملامح الأستاذ وسكن الوجع عينيه وهو يقول: «أوحشنا جميعًا يا ولدي صدقني»

قال هادي سريعًا: «كُنت أفكِّر في..»

صمت مرة أخرى متظاهرًا بالندم، سأله الأستاذ باهتمامٍ: «فيم كُنت تُفكِّر يا ولدي؟ أخبرني..»

« لا، لا.. كانت فكرة غبية على أي حال، أنا آسف لإزعاج حضرتك،

اسمح لي بالانصراف»

تظاهر بأنه على وشك الانصراف من المكان بأكمله، أدار وجهه وهو يُمسِك بمقبض الباب، لكن الأستاذ ناداه بصرامةٍ أبويةٍ: «تعالى هنا يا ولد، أخبرني.. ما الأمر؟»

ابتسم بخُبثٍ قبل أن يبتلع ابتسامته وهو يتظاهر بالحزن مرة أخرى قائلًا: «كُنت أفكّر.. كُنت أفكّر في استعارة أحد عملياته من أجل..»

صمت وهو يتظاهر بأنه دموعه قد غلبته، ابتسم الأستاذ في حنو بالغ، قام بصعوبة وهو يربت على ظهر هادي قائلًا: «فقط؟! اعتبر أمرك مُنفَّذ يا ولدي، لكن..»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف في لهجةٍ تحذيريةٍ: «البطل هذا سرًا بيننا»

تهلّلت أسارير هادي وهو يقول: «أعدك يا أستاذ، أعدك من كُل قلبي»

عاد للجلوس على مكتبه مرة أخرى، أمسك بفأرة حاسوبه المحمول وهو يطالع شاشته من فوق نظارته كالعادة، فتح بعض الملفات وهو يقول: «وجدتها.. قام والدك بعملية في ليبيا مع أحد الطناطِل، لكنه كان بطلًا واستطاع الانتصار عليه بعد عملية صـ..»

قاطعه هادي في حماس وهو يقول: «هل يُمكنني استعارة عمليته مع الشيطان الأقبض؟»

نظر له الأستاذ بشك، شعر هادي أن حماسه كاد يودي به، حاول تبرير موقفه قائلًا: «أخبرني أكرم أنها كانت عملية قوية»

قال الأستاذ بقليلٍ من التردُّد: «لكن تلك العملية تحديدًا..»

قاطعه هادي مُتظاهرًا بالتأثُّر: «أعلم.. غير مسموح لي بالاطلاع عليها، كُنت أعرف أنها فكرة حمقاء، سامحني يا أستاذ»

شعر الأستاذ بتأنيب الضمير وهو يقول: «تعالى يا ولد، أنا غير قادِر على لعب الأطفال هذا»

أمسك بجهاز يُشبه الخوذة وهو يعطيه له، قبل أن يخرج ذاكرة تخزين (**Flash Memory**) من الحاسوب ويعطيها له.

نظر إليه قليلًا قبل أن يقول: «أنت تعرف بالطبع كيف يعمل الجهاز؟»

هزَّ هادي رأسه وهو يحاول أن يُخفي حماسه، شكره كثيرًا قبل أن يرحل، قطع الطريق إلى غُرفته بخطواتٍ سريعةٍ من أجل قضاء الليلة مع والده في تلك العملية، عليه أن يفهم كافة التفاصيل من أجل تبرئ ساحة والده!

***

كانت غرفة مكتب عادية للغاية، مُربعة الشكل، تحتل مكتبة ضخمة أحد جدرانها الأربعة، بينما تزيِّن ثاني عدة براويز تحوي بين أحضانها شهادات تقدير وأوسمة تميُّز وساعة حائط عادية جدًا، من الطراز المألوف الذي يُزيِّن أغلب البيوت، الثالثة كانت خالية تمامًا إلا من برواز مُطرزة به سورة من قِصار السور بخيط ذهبي اللون، والرابعة كانت ترتكِن إليها مروحة ومدفأة، أحدهما للصيف والأخرى للشتاء، في منتصفها مكتب خشبي ضخم بني اللون، يستقر على سطحه لوح زجاجي بسُمك ١٠ مللي، بينما يسترخي خلفه كُرسي مكتب أسود اللون يبدو مُريحًا.

وقف طاهِر على باب الغُرفة يتأملها قليلًا، بدا وكأن الصورة تتوقَّف قليلًا، بينما على جانِب الشاشة ظهرت بعض المعلومات العامة عن القضية

الاسم: أنور الأنور.

المهنة: مُفكِّر، كاتِب، باحِث في أمور الماورائيات.

ظروف الحادث: أنهى السيد أنور طعام غذائه مع أسرته بشكلٍ طبيعي، قبل أن يدلف إلى مكتبه ويُغلِق بابه من خلفه، كان يعمل على بحث عن أحد أبناء إبليس، شيطان يدعى الأقبض، اختفى من غُرفته دون أن يترُك أثرًا، بعد ثلاثة أيام وجدوا جُثته في المغرب، وهو البلد الذي لم يزُره يومًا أو يدخله أبدًا.

الانطباعات المبدئية: لم يدخُل أحد إلى الغُرفة، ولم يخرُج أحد منها، الجاني كان بالداخِل، ظروف الحادِث تُنبئ بأن الأمر ينتمي للعالم الآخر.

ظهرت تحتها جُملة تومض قليلًا، نظر هادي نحوها:

لمعرفة المزيد من المعلومات عن الأقبض.. اضغط هنا.

كانت خوذة واقِع افتراضي، لذلك كان اختيار الضغط مجازيًا للغاية، يكفي النظر لكلمة «هنا» من أجل أن تتم عملية الضغط، وهو الأمر الذي فعله هادي سريعًا.

بدأت الكلمات تتراص بجوار بعضها البعض لتُكوِّن معلومات مفيدة.

الاسم: أقبض.

الفصيلة: شيطان.

الواجِب: وضع البيض، يضع في اليوم ثلاثين بيضة، عشر في المشرِق، عشر في المغرِب، وعشر في وسط الأرض.

الهدف: يخرج من تلك البيوض أنواع مُختلِفة من الجان والشياطين، وجميعها أعداء للإنسان.

لمعرفة المزيد.. اضغط هنا.

للعودة للعملية.. اضغط هنا.

لم يُثِر الأمر فضوله، لم يهتم بمعرفة المزيد عن ذلك الشيطان، اختار العودة للعملية مرة أخرى، تأمَّل والده وهو يفحص الغُرفة بعينيه، أثار الأمر حنينًا في قلبه لكنه تغلَّب عليه سريعًا، عليه أن يُسرِع قليلًا قبل أن يكتشِف الأستاذ أمره..

عاد لمُشاهدة العملية التي تحدث أمام عينيه، شاهد والده وهو يدخُل المكتَب، تأمَّل الموجودات بداخله قليلًا، أخبر أحد الموجودين بالخارِج بأمرٍ ما لم يتبينه جيدًا، قبل أن يُغلِق الباب من خلفه، ابتسم بسُخرية وهو يقول بصوتٍ عالٍ: «أعلم جيدًا أنك موجود هنا، مثلك لن يرحَل قبل أن يطمئن أن خُدعته قد نجحت»

انتظر قليلًا قبل أن يضم معطفه إلى صدره، يبدو أنه شعر بالبرد فجأة، اتسعت ابتسامته وهو يقول: «يبدو أنك قرَّرت أخيرًا أن تُعلِن عن وجودك، أين أنت إذا؟»

بدأ طاهِر يتلفَّت حوله يمنةً ويسارًا، وكأنه يبحث عن شيء مخفي بعناية وليس عن شيطان مريد، قبل أن يجد ضالته بدأت البراويز المُعلَّقة على الحائط في الطيران صوب رأسه واحدًا تلو الآخر، تفاداها ببراعة، كاد أكثر من واحد منها أن يصيبه، لكنه كان رشيقًا سريع الحركة وهو يبتعِد عن طريقهم، اصطدموا بالحائط من خلفه، تناثرت شظايا الزجاج في كُل مكان.

قال طاهِر بلهجة انتصار: «كُنت أعرِف أنني مُحِق، أنت ما زلت هنا، ولن تُغادِر المكان أبدًا أيها الأبله»

بدأ لوح الزجاج الضخم في الارتجاف، كان مشهدًا يشيب لهوله الولدان، لكن ابتسامة طاهِر الساخرة لم تهتز أبدًا، ارتفع في الهواء أمامه، كان ضخمًا، يبدو من حجمه أنه ثقيل للغاية، وقف أمامه وهو يرتجف، قبل أن يتفتَّت لقطعٍ صغيرة، وتبدأ واحدة تلو الأخرى في مُهاجمة طاهِر الذي بدأ في تفاديها، بدا على ملامحه أن الأمر صعب، اختفت ابتسامته، قطَّب حاجبيه في تركيز وهو يتفاداها، خناجِر زجاجية تحاول قتله، وعليه أن ينجَح في الهروب منها داخل غُرفة ضيقة.

كان الأمر صعبًا للغاية.. لكنه لم يكُن مستحيلًا أبدًا.

نجح في الأمر، بعد أن أصيب بالعديد من الجروح، والكثير من الخدوش، لكنه في النهاية وقف وهو يتأمَّل الشظايا الزجاجية المُلقاة أرضًا، قبل أن يتحرَّك من مكانه بدأت الشظايا في الطيران مرة أخرى، بدا على ملامحه أنه توقَّع أن تعيد الكرة مرة أخرى، لكنها لم تفعل.. بدأت بالتكدُّس فوق بعضها البعض بطريقةٍ غريبةٍ، لوهلة شعر هادي أنها تكوِّن شكلًا شيطانيًا!

وكأن.. وكأن شيطانًا خُلِق من شظايا الزجاج ويقِف الآن في مواجهة والده!

لكنه لم يكُن يتخيَّل.. كان الأمر حقيقيًا!

قال والده بسُخرية، لكن القلق ظهر فيها جليًا: «ها أنت ذا أيها الوغد، عليّ أن أحذِّرك، لا تحاول أن تهرب لأن كُل مداخِل ومخارِج تلك الغُرفة مُغلقة بملح خشن، لن تستطيع الهروب منا، لذا يبدو وكأن الاستسلام هو خير..»

قبل أن يُكمِل جُملته رأى هادي اليد الزجاجية وهي تتحرَّك لتصفَع والده على وجهه، شهق وهو يرى الجروح العميقة التي ظهرت على وجنة والده، الذي بدا وكأنه لا يشعُر بالألم، مد يده في جيبه وهو يقول: «نسيت أن أخبرك.. أنا الآخر أحمل ملحًا خشنًا في جيبي»

سمع هادي صوتًا شيطانيًا يقول في غضب: «لا أهتم، لتكُن نهايتنا سويًا..»

فتح والده زجاجة الملح الصغيرة، بينما اندفع الشيطان الزجاجي نحوه، ألقى بالملح في وجه الشيطان، سمع الجميع صوت صرخاته، كان يصرُخ بألم وكأنه يحترق حيًا، لكنه لم يتوقَّف، استمر في اندفاعه نحو طاهِر الذي شعر بأنه مُحاصر، لم يجد سبيلًا للهروب، بدا وكأن الاصطدام لا مفر منه..

قبل أن يحدث التصادُم، صرخ طاهر في خوف، وصرخ الشيطان في ألم..

لكن شيئًا لم يحدُث!

اسودَّت الشاشة فجأة وجُملة: «انتهى التسجيل» تظهر بخط أبيض في مُنتصفها!

أعاد هادي الكَرَّة ظنًا منه أن الأمر مُجرَّد خطأ تقني، لكنه لم يكُن!

انتهى التسجيل هنا، لم يعرف ما حدث بعد ذلك!

لابد أن يعرف! لابد أن للتسجيل بقية! كان والده حيًا.. وهذا يعني أنه نجا من الأمر، لكن كيف؟ كيف ينجو المرء من هجوم كهذا؟

إلا إذا...

(8)

جلس أكرم أمامه والنوم ما زال يسكُن عينيه، لم يفُق بشكلٍ كاملٍ بعد، كان هادي قد اتصل به وأيقظه من نومه، قبل أن يطلُب منه القدوم لرؤيته، حاول أكرم أن يُقنِعه بأن يتقابلا في الكافتيريا أو حتى في غُرفة أكرم، لكن هادي رفض الأمر تمامًا درءً للشبهات، لا يريد أن يُسبِّب أي مُشكلات لأكرم، خصوصًا وأن المُفتِّش يعتبره ابن خائن، وأن أكرم حوَّله للتحقيق، وهو الأمر الذي عَرِفه المُدير على الأرجح.

لذلك كان لقاؤهما في مثل هذا الوقت المُتأخِّر مُجازفة، وهو الأمر الذي اقتنع به أكرم بعد قليلٍ من الإلحاح.

نظر في ساعته وهو يقول بكسل: «هل تعرف الساعة الآن؟»

هزَّ هادي رأسه دون أن يعلِّق، نظر أكرم إلى ساعة الحائط، لكنه لاحظ أن عقرب الثواني مُصاب بالشلل، حرَّك ناظريه نحو المنبِّه الصغير الموجود فوق الكومود، ورأى بطارياته مُلقاة بجواره بإهمال، قال بتهكُّم: «أرى أنك لا تستخدِم أي ساعة!»

ابتسم هادي بحرج وهو يقول: «يعود الأمر لقصة قديمة ربما أقصها عليك يومًا ما.. لكن صوت عقرَب الثواني ودقَّاته الخافتة هو أمر يوترني كثيرًا، وأحيانًا يصيبني بالضيق والفزع!»

رفع أكرم كتفيه وهو يقول: «لكُل منا مخاوفه، وطالما لم أرتدِ حذائك.. فلن أحكُم عليك»

ابتسم هادي قبل أن يشعُر بأن الوقت قد أضحى مُناسِبًا للبدء في حديثه، تململ على مقعده في توتُّر وهو يقول: «هناك شيء خاطئ!»

اعتدل أكرم وهو يقول: « هناك العديد من الأشياء الخاطئة، عليك أن تكون أكثر تحديدًا!»

قال هادي: « ذهبت إلى الأرشيف واستعرت عملية الأقبض، لكنها غير كامِلة.. هناك خطأ في الملف الموجـ..»

قاطعه أكرم سريعًا: «لا يوجد أي أخطاء، هذا فعلًا حيث انتهى الأمر!»

قال هادي محاولًا تبرير موقفه: «لكن العملية ليست كاملة، يبدو أن..»

قاطعه أكرم للمرة الثانية: «هل تعلم من كان شريكه في تلك العملية؟»

هزَّ هادي رأسه نافيًا معرفته بالأمر وهو يقول: «رأيته يُخاطب شخصًا ما لم يظهر في الكاميرات، ناهيك عن كون تلك العملية مصوَّرة من كاميرا مُراقبة عادية، وليس من الكاميرات التي عادةً ما تصحبها معنا في المُغامرات الخارجية، وهو الأمر الذي قلَّل جودتها للغاية!»

أشار أكرم إلى صدره وهو يقول: «كُنت أنا شريكه في تلك العملية، وهي أغرب عملية خُضتها مع طاهر -رحمة الله عليه- مع العلم بأننا خُضنا سويًا مئات العمليات»

اعتدل هادي في مقعده وهو يميل للأمام قليلًا في دلالة على اهتمامه بالأمر، لاحظ أكرم الأمر، استرخى قليلًا قبل أن يقول: «كانت ظروف تلك العملية غريبة للغاية، صمَّم والدك على دخول مكتب السيد أنور بمُفرده، رغم أن قوانين السلامة العامة ترفض هذا الأمر تمامًا، كما أن الكاميرا الخاصة به لم تعمل -بشكلٍ غامض- رغم أنه حَرِص على بدء التسجيل أمامي قبل أن يدلف إلى الغُرفة، وهو أمر غير مفهوم على الإطلاق»

انعقد حاجبا هادي قبل أن يقول: « لهذا استعنتم بالتسجيل الخاص بكاميرا مُراقبة السيد أنور من أجل توثيق ما حدث؟ لكن.. أليس غريبًا أن يزرع السيد أنور كاميرا مُراقبة في غُرفة مكتبه المُلحقة بمنزله؟»

ابتسم أكرم وهو يهز رأسه قائلًا: «هذا الشبل من ذاك الأسد، هذا نفس السؤال الذي طرحه والدك حين عَرف بأمر الكاميرا، لكن زوجة السيد أنور أخبرتنا أنه كان من النوع المُتشكِّك، كان يشعُر طوال الوقت أن هناك شيئًا شريرًا يسكُن مكتبه، وحرص على تركيب تلك الكاميرا من أجل مُراقبة المكتب طوال الوقت»

رفع هادي حاجبيه وهو يقول: «يبدو أنه كان مُحقًا طوال الوقت»

قال أكرم بحزن: «للأسف.. أثبت هذا بالطريقة الصعبة، أثناء حدوث الأمر كُنت أقف بجوار الباب الخارجي بعد أن حصنته بالملح الخشن، سمعت صرخاتهما، استللت مُسدسي وانتظرت إشارة للتدخل، لكن الصمت التام سيطر على كُل شيء، سمعت صوت ارتطام جسد ثقيل بالأرض، حاولت فتح الباب مرارًا وتكرارًا لكنه أبى أن ينصاع، قرَّرت أن أكسره.. لكنني لم أستطِع، رغم أنني قوي البنيان كما ترى»

كان صادقًا، أكرم كان قويًا بالفعل، لديه عضلات لم يكن هادي يعلم بوجودها في الجسد البشري من قبل!

استكمَل حديثه: «بعد دقائق قليلة فُتح باب الغُرفة بشكل طبيعي، خرج والدك وهو يبدو مُنهكًا، لكنه كان مُختلفًا، أخبرني أنه قتل الشيطان، وأنه - كالعادة - تبخَّر بعد وفاته، دخلت إلى الغُرفة بعده، لم أجِد أثرًا للشيطان على الإطلاق»

صمت هادي قليلًا، لاحظ أن أكرم يتثاءب، يعلم جيدًا أن الوقت متأخِّر، لكن بعض الأمور لا تحتمِل التأجيل، سأل أكرم بعد قليل: «لم تر جُثة

الشيطان أو بقاياه؟»

هزَّ أكرم رأسه يمنة ويسارًا نافيًا الأمر، فكَّر هادي قليلًا وهو يحك رأسه قبل أن يسأل مرة أخرى: «إذا كيف عرفت أن الشيطان قد قُتِل؟»

تنهَّد أكرم وقد أيقن أن ليلته طويلة، وأنه لن يستطيع التملُّص من قبضة هادي في وقتٍ قريبٍ، استند بظهره إلى ظهر مقعده وهو يضع قدمًا فوق الأخرى قبل أن يقول: «الرائحة.. للموت رائحة مُميَّزة، لا تستطيع أن تخطئها أو أن تتجاهلها، حين دلفت إلى الغُرفة شممتها من فوري، في حالة الشياطين.. فالموت يعني رائحة بيض فاسِد مُحترِق، رائحة كفيلة بقلب معدتك رأسًا على عقِب، بمُجرَّد أن تشمها.. تتمنى لو أن بإمكانك فك أنفك وغسله من الداخِل، رائحة تصبغ روحك بالظلام، لا تستطيع التخلُّص منها بسهولة، كما أنني رأيت أثره المُحترِق على الأرض، كاد يخترق الأرضية لولا أن المقاوِل الذي بنى البيت كان يتمتع بضميرٍ مُستيقظ»

صمت قليلًا قبل أن يقول في سُخرية: «مثلما أنا مُستيقظ الآن دون سبب مفهوم»

كانت دلائل لا تقبل الشك، من المُستحيل تمامًا أن يزوِّر والده الرائحة وشكل الاحتراق، هذا أمر شبه مُستحيل تقريبًا.

تجاهل هادي تعليقه الساخِر وهو يسأله بفضول: « لكن هل هذا كافٍ؟»

قال أكرم بهدوء: «ولو لم يكُن كافيًا، فيكفيك أن تعرف أنني لم أجد داخِل الغُرفة أي شيء يصلح كسكنى للشيطان، بمعنى أن المرآة أو الأسطح العاكسة عمومًا، تصلُح كأماكِن لهروب الشياطين، وهي أمور نعرفها جميعًا وأعتقِد أنك سمعت عن الأمر في مُحاضراتك الأولى، كما أنك بالطبع سمعت عن التحقيق الداخلي الذي يدور بشأن حالات

قتل المرايا التي انتشرت هنا لتحصُد عددًا لا بأس به من الأرواح قبل أن نُغطي المرايا الموجودة في الإدارة بالكامل كما ترى»

هزَّ هادي رأسه دون أن يُعلِّق على الأمر، كان يرغَب في ترك المساحة الكاملة لأكرم دون أن يُقاطعه، وهو الأمر الذي نَجَح فيه.. لأن أكرم استكمل حديثه دون توقُّف: «في ظل عدم وجود أي مكان يصلُح كسُكنى للشياطين، والأدلة المادية مثل شكل الاحتراق، والأدلة المؤقتة مثل الرائحة الكريهة، والدليل الذي - من وجهة نظري - لا يقبل الشك وهو شهادة والدك. كان الأمر مُنتهيًا، خطأ بسيط حدث في تلك العملية، لكن..»

صمت قليلًا، شعر هادي بالفضول وهو يسأله: «ولكن؟ ماذا؟»

صمت قبل أن يقول: «خالف والدك قانونًا آخرًا، كان مُتعبًا مُنهكًا، ففضَّل الذهاب لمنزله أولا، خصوصًا وأن منزل السيد أنور كان قريبًا من منزلكم، على الرغم من أن القوانين تقتضي عادةً الذهاب للإدارة أولًا من أجل كتابة التقارير وانهاء الأعمال المكتبية، وتسليم الشيطان في حال نجحنا في الإمساك به حيًا قبل العودة للمنازل»

قال هادي بدهشة: «لكن في حالة موت الشيطان.. لم يكُن هذا أمر جلل، أليس كذلك؟»

قال أكرم: «من وجهة نظري، نظرك، ونظر الإدارة بالكامل.. أجل، لم يكُن هذا أمر جلل، لكن مُخالفة عدة قوانين بتلك الطريقة مع عدم عمل الكاميرا الخاصة به، ذلك المقطع المصوَّر المبتور.. جعل الهيئة العامة لوهَّاب الشروق تتشكك في الأمر»

سأله هادي في حيرة: « لكن.. ما الاتهام الموجَّه له تحديدًا؟ أنا لا أفهم الأمر؟»

قال أكرم بعد قليل من الصمت: «يتهمونه بالعمالة والخيانة، يقولون إنه أدخل أحد الشياطين إلى الإدارة بشكلٍ سري، وهذا الشيطان حر طليق في الوقت الحالي، ربما كان هو من يسكُن المرايا ويقتل الأبرياء، ويحاولون فهم الأمر الذي دَفَع والدك للقيام بذلك الأمر رغم كونه أمرًا مُخالِفًا للسياسات العامة»

وقف أكرم وهو يقول: «لم أعد أقدر على الاستمرار أكثر من هذا، أظن أنني أجبتك على كامل أسئلتك، لكنني فعلًا أشعر بالإرهاق. أحتاج لنيل قسطًا من الراحة، لديّ عمل شاق في الصباح الباكر، تصبح على خير يا هادي»

قال هادي: «سؤال أخير.. هل كان والدي خائنًا يا أكرم؟»

قال أكرم دون تردُّد: «لا، كان والدك بطلًا»

هزّ هادي رأسه مُمتنًا وهو يقول: «وأنت من أهل الخير، شكرًا يا أكرم»

ابتسم أكرم وهو يقول: «طاهِر يستحق يا هادي.. طاهِر يستحق»

أغلق الباب خلفه وذهب لينم قليلًا، لكن هادي بالداخِل كان يُفكِّر في أمر آخر!

تردَّدت كلمة أكرم الأخيرة في ذهنه: «طاهِر يستحِق!»

أجل طاهِر يستحِق.. يستحِق أن يُثبِت ابنه براءته! وهو ما سيفعله!!

***

تظاهرت بالنوم في حشا الظلام، كان ليلًا بهيمًا، لا أجرؤ على فتح عيني، أصب جام تركيزي على محاولة التنفُّس المُنتظم ليوحي لأي شخص

يتفقدني أنني أسير نوم عميق، أحافِظ على حركة عينيّ المُغلقتين، أخشى أن تفضحني دقّات قلبي المُضطرِبة، لكنني لم أقوَ على إعلان استيقاظي! لم أجرؤ على كشف سري الصغير!

اليوم الأربعاء.. وهو يوم مُميَّز بالنسبة لي لو تعلمون، اليوم.. تعرض شاشة التلفاز الصغير الموجود في حجرة أبي وأمي برنامج (اخترنا لك).

عادةً لا يسمحون لي بمُشاهدة البرنامج لأنه يبدأ في وقتٍ مُتأخرٍ من الليل، وهو أمر يُعارِض - بطريقةٍ ما - مواعيد استيقاظي المُبكِّرة من أجل الذهاب للمدرسة.

خلال الأسابيع القليلة الماضية كُنت قد جرَّبت كل شيء، جرَّبت التوسُّل، حاولت التظاهر بالمرض، غضبت، صرخت، بكيت، رجوت، وحطَّمت القليل من الأشياء - غير ذات القيمة - لكن الأمر عاد عليَّ بطريقةٍ سلبيةٍ، تسبَّب التحطيم الأحمق في عقاب مزدوج، حرمان من مُشاهدة التلفاز لعدة أيام وحرمان من (المصروف) اليومي لمُدة أسبوع كامِل.

كُنت قد فقدت الأمل في مُشاهدة البرنامج، لكن الولد رشاد أخبرني أن الليلة، سيعرض البرنامج فيلم رعب يتحدَّث عن عناكب عملاقة تُهاجم البشر من أجل قتلهم، أنا أعشق الحشرات! كُنت مُتحمِّسًا للغاية!

لكن أن أطلُب من أبي أو أمي أن يسمحا لي بمُشاهدة البرنامج أمر، وأن أطلُب منهما أن يسمحا لي بمُشاهدة فيلم رُعب في مثل هذا الوقت المُتأخِّر أمر آخر!

كان عليّ أن أجد حلًا آخرًا غير طلب الأمر بطريقةٍ مُباشرةٍ، على أن أنقِّب في سلة الأفكار الموجودة في عقلي الصغير.

لم يَطُل الأمر.. وجدتها سريعًا!

سأتظاهَر بالنوم، والدتي تنام مُبكرًا لأنها من المُستيقظين مُبكرًا، تصحو مع آذان الفجر لتُصلي ثم تقرأ وردها اليومي، قبل أن تبدأ في تجهيز طعام الغد وتنظيف البيت، ثم تجلِس في الشُرفة بصُحبة فنجان قهوتها وساندويتش الجبنة الرومي بالخيار الذي لا يتغيَّر أبدًا، أما أبي.. فيبدو أنني كُنت محظوظًا، لأنهم اتصلوا به من العمل وأخبروه أن يذهَب من أجل أمر طارئ، وهي فُرصة أتتني في الوقت المُناسِب، ولابد لي من استغلالها حق الاستغلال.

اقترب الليل من الانتصاف، في أوقات الانتظار تمُر الدقائق ببطء، كُنت أسمع صوت عقرب الثواني وهو يتحرَّك ببطء.

تيك.. تيك.. تيك.. تيك..

ما زلت أسمع صوتها تتحرَّك في غُرفتها، بعد قليل ستخلد إلى النوم، لابُد أنها مُتعبة - على الرغم من قيلولتها اليومية - سمعت صوت التلفاز وهو يُغلَق، عام البيت بأكمله في الصمت، إلا من صوت حركة عقرب الثواني المُمِل، بعد قليل سأسمع صوت شخيرها المُنتظِم، وهو إشارتي من أجل بدء الجزء الثاني من خطتي العبقرية!

سمعت الصوت، لكنني فضلت الانتظار قليلًا إلى أن ينتظِم، كي أتأكَّد أنها دخلت في مرحلة النوم العميق، قُمت بعدها من فراشي بخفة لص عتيد، تحرَّكت في المنزل على أطراف أقدامي، شعرت أنه سيكون أمرًا مُسليًا لو أنني وفقت بين دقات عقرب الثواني وخطواتي الصبيانية الصغيرة، تسلَّلت إلى حجرة أمي، والآن.. الجزء الثالِث والأخطر من خطتي الطفولية.

سيكون عليّ أن أفعل أمران في نفس الوقت، وبمُنتهى التركيز، لأنه

لو تأخَّر أحدهما عن الآخر ولو لجزءٍ من الثانية سيُكشف أمري، على أن أفتح التلفاز بيد، وأخفض الصوت باليد الأخرى، كانت يدي تهتز، كقط يوشك على سرقة قطعة دجاج شهية، فتحت التلفاز وأنا أضغط بيدي على زر خفض الصوت، لكن.. لكنني تأخرت لجزءٍ من الثانية، على صوته للحظات كانت كفيلة ليختفي صوت شخيرها!

انتظرت قليلًا وأنا أنظر نحوها، شلّ الخوف حركتي تمامًا، تجمَّدت في موضعي، خشية أن أقلق منامها أو أنتزعها منه، فتضربني أو تعاقبني، أو حتى تُخبر أبي، لكن يبدو أن اليوم كان يوم سعدي، لأنها سُرعان من انقلبت على جانبها وعلا صوت شخيرها مرة أخرى!

يا إلهي!

كان هذا وشيكًا!

خفضت الصوت وجلست على الأرض أراقِب شاشة التلفاز، والعناكِب الضخمة تهدم الجدران وتقتل الأبرياء، كان فيلمًا مُرعِبًا حقًا، شعرت بقلبي يؤلمني من شدة التوتُّر والخوف، لكن -والحق يُقال- كان الفيلم يستحِق!

بعد انتهاء الفيلم أغلقت التلفاز وذهبت للنوم، استلقيت في سريري أفكر في أقدام تلك العناكِب وهي تسحق السيارات، في فكوكها وهي تسحق الأجساد، في كمية الدماء التي سالت في ذلك الفيلم، لم أستعْد سيطرتي على دقات قلبي بعد، كان صوتها عاليًا، للدرجة التي جعلتني أكاد لا أسمع صوت عقرب الثواني الرتيب!

الصوت الذي كان يُصيبني بالملل من قبل، أصبح الآن يثير خوفي وتوتري لأقصى الحدود.

لكن المُشكلة الحقيقية الآن لم تكُن في تأخُّر الوقت، اضطراري للاستيقاظ مُبكرًا دون أن أنال قسطًا كافيًا من النوم والراحة، أو حتى في عقرب الثواني المُخيف الذي يُثير أعصابي!

المُشكلة الحقيقية كانت في أنني أحتاج للذهاب إلى دورة المياه!

وبشدة!

فكّرت في القيام لدخول دورة المياه، لكن هذا لم يكُن قرارًا سهلًا أبدًا، رأيت عنكبوتًا صغيرًا منذ عدة أيام أثناء قضائي لحاجتي، والآن، بعد مُشاهدة الفيلم أضحيت أشعر بالخوف منهم.

كما أنني لا أريد أن أموت وأنا أقضي حاجتي!

هذا أمر لا نقاش فيه!

لكنني كبرت كذلك على التبوُّل على نفسي!

عليّ أن أجد حلًا!

لكن بعد أفكار عديدة ومحاولات كثيرة، لم أجد سوى حلًا واحدًا، أن أستجمع البقية الباقية من شجاعتي وأذهب لقضاء حاجتي في الحمّام كأي طفل كبير يحترم نفسه.

وقفت وقدميّ ترتعدان بشدة، أقنعت نفسي أنني أرتعِد من البرد وليس من الخوف، رغم أن الجو لم يكُن باردًا لتلك الدرجة، سرت في الممر الضيق المؤدي للحمّام في خطوات سريعة، أوافِق بين خطواتي وبين صوت دقّات عقرب الثواني الرتيب.

تيك.. تيك.. تاك.. تيك.. تيك.. تاك..

تاك!

هناك صوت إضافي!

صوت خطوتي وصوت دقة عقرب الثواني وصوت آخر!

صوت خطوة إضافية. هناك من يتبعني!

أسرعت الخطى قليلًا، لكنني أسمعه بوضوح، صوت دقة عالية يتبعني، يحاول أن يوفق بين صوت خطواته وصوت خطوتي، لكن.. لكن هناك شيء غريب في تلك الخطوة، وكأنها خطوة حيوانية، أو كأنه.. كأنه حافر!

توقفت في مساري، لا أقوى على الحركة، حاولت السيطرة على مثانتي، لكنها خانتني، شعرت بالسائل الدافئ يتسلل على فخذي ليلوّث قدمي وملابسي، نظرت للبقعة التي بدأت تكبر على ملابسي مثل خوفي الذي بدأ يكبر ويحتل جزءًا كبيرًا من روحي.

سمعت صوت الخطوات يبتعد عن صوت عقرب الثواني!

وكأنه يتحداني!

وكأنه.. وكأنه عرف أنني علمت بوجوده!

لم يعُد يخشى الظهور، أغلقت عيني، مسحت دموع الخوف التي تسلَّلت من عينيّ، دُرت للخلف وبدأت بالركض كالمجنون، أردت الصراخ.. أردته حقًا! لكنني لم أجد صوتي! تواري من شدة الخوف بدوره!

لكن دموعي لم تفعل!

كُنت أبكي دون سيطرة على نفسي، ركضت في الممر مرة أخرى، لكن في الاتجاه المُعاكِس، في اتجاه الغُرف، سمعت صوت خطواته من خلفي، اصطدمت بالحائِط، آلمني كتفي وأجبرني على فتح عيني، شعرت بالبرودة، كان الجو باردًا، سمعت صوت أنفاسه الخشنة من خلفي، صوت خطواته القبيح، وصوت عقرب الثواني الرتيب!

نظرت نحو الساعة، هل.. هل فُتح باب بنادولها الصغير؟ أم تُراه كان مفتوحًا طوال الوقت؟

مسحت الدموع عن عيني سريعًا لتتسنى لي رؤية واضحة، وجدت نفسي أمام خيارين، أن أدلف إلى غرفتي وأصبح فريسة وحيدة، أو أن أسرع إلى غُرفة أمي بحثًا عن أمان ودعم أجدهم بين أحضانها!

كان قرارًا سهلًا!

ربما كان أسهل قرار اضطررت لاتخاذه طوال تلك الليلة!

أسرعت الخطى نحو غُرفتها، صرخت بها بمُجرَّد دخولي للغُرفة: «ماما!»

وخلال ثواني قليلة وقبل أن تجيبني.. كُنت بجوار فراشها، أمسك يدها السمينة بيديّ الصغيرتين وأهزُّها بشدة، أصرخ كالمجذوب: «ماما! ماما! استيقظي يا ماما!»

تقلَّبت فوق فراشها دون أن تفتح عينيها، قالت بكسل: «ماذا تُريد؟»

قبل أن أجيبها، قبل أن أفتح فيه، سمعت صوت خطواته وهو يقترِب من باب غُرفتها، الآن بت محاصرًا في الغرفة، لابد لي من أن أجد مكانًا أختبئ فيه، لن أصل للخزانة بسهولة، لا أمل لي سوى.. سوي بالاختباء تحت فراشها، وهو الأمر الذي فعلته سريعًا!

زحفت تحت الفراش وأنا أرتعِد، بردًا وهلعًا، خوفًا ورعبًا، نظرت نحو باب الغُرفة وأنا أسمع صوت خطواته يمتزِج مع صوت دقّات عقرب الثواني.

تيك.. تاك.. تيك.. تاك..

ورأيت قدميه، لن أنساهما ما حييت، كانتا كحوافر الشاه، قذرتين بشكلٍ غير طبيعي، تعلوهما قدمان نحيفتان، لكنهما.. لكن.. لكن ركبتيه كانتا تنثنيين للأمام لا للخلف، عكس أقدام البشر، جلده مُترهِّل مليء بالجروح القديمة، التي يتساقط منها صديد لزج يسيل على قدميه، تخرُج من أطرافها ديدان سوداء قذرة، اقترب من فراشها ببطءٍ، وقف أمامي، بصوتٍ أجشّ قادم من الجحيم قال: «أعرف أنك تسمعني.. وهذا يعجبني!»

بدأ بالانحناء، وقبل أن أرى وجهه.. فقدت وعيي تمامًا!

لم يقدر قلبي على الانتظار، غلبني الظلام.

استيقظت على صوت فوضى غير طبيعية، البيت مُزدحِم، اعتقدت أنني سأكون تحت الفراش، لكنني كُنت على الأريكة، وفوق جسدي -الذي لا يتوقَّف عن الارتعاد بشكلٍ لا إرادي لا دخل ليّ فيه- غطاء صغير يسترني، فتحت عينيّ ببطء ورأيته، كان والدي يقف أمامي باكيًا، لم أر بكائه.. لكنني وبكُل تأكيد رأيت آثاره على وجهه، عينيه محمرتين، أنفه يرتعِد، يُمسِك منديلًا مُبلَّلًا بين يديه، ناديته بصوتٍ خفيضٍ: «بابا؟ ماذا حدث؟»

ركض نحوي وهو يقول: «هادي؟ هل أنت بخير؟ هل رأيت ما حدث؟»

سمعت صوت دقّات عقرب الثواني، رأيت شُرطي يقترب مني بخطواتٍ بطيئة، دقّات كعبه الصلب على الأرض ذكّرتني بخطوات ذلك الشيء

الذي رأيته، خشيت أن يكون هو.. خشيت أن يكون يُراقبني، اضطررت للكذب، ابتلعت ريقي بصعوبة وأنا أقول: « لا! لا لم أر شيئًا! ما الذي حدث؟»

قال وهو يمنع دموعه: « لا شيء!»

سألته وقلبي يكاد يخترق ضلوعي: «أين ماما؟»

انهار في البكاء وهو يقول شيئًا لم يتبيّنه، لكنه لم يكُن في حاجة للشرح أو للتوضيح، نظرة واحدة نحو الفراش كانت كافية كي أتبيَّن الأمر بأكمله، الدماء المُنتشِرة في كُل مكان كانت دليلًا واضحًا لا يحتمِل التأويل!

لكن.. لكن كيف وصلت الدماء للسقف؟

كيف بدا صوت دقّات عقرب الثواني السخيف وكأنه ضحكة شيطانية بطيئة؟

هل يسمعها غيري؟

إنه يسخر مني!

يعرف بخوفي!

أنا أكره هذا الصوت!

أكرهه بجنون!

أنا أكره الساعات!

***

هبَّ هادي من نومه مذعورًا ، وكأن حية قد لدغته ، لكن هذا لم يكُن الأمر الذي انتزعه من نومه المُضطَرِب، وإنما كان الكابوس الذي حَلِم به ، كان عقله الباطِن قد طوَّر استراتيجية على مر كُل تلك السنين ، أهم آليات عملها هي دفن تلك الذكرى بعيدًا ، في أعمق أعماق الذكريات التي لا يرغب في استعادتها أبدًا!

قضى بعد كُل تلك السنين فترة عصيبة ، لام نفسه مرارًا وتكرارًا على موت أمه ، شعر أنه السبب وأنه المسؤول عن وفاتها بتلك الطريقة ، حتى لو كان هذا بطريقةٍ غير مُباشرة ، أرسله والده ليعيش عند خالته ، امتنع عن الحديث لسنواتٍ طويلة ، ظنًا منه واقتناعًا أن والده قد تخلص منه عقابًا على موت والدته ، لكن هذه لم تكُن الحقيقة. كانت الحقيقة أن والده قد فقد لتوه حُب عمره وشريكة حياته ، وفي محاولة منه للتغلُب على خناجِر الحزن التي انغرست في قلبه بعد فقدها ، قرَّر دفن نفسه في العمل حتى لا يتسنى له أي وقت فراغ يُفكِّر فيه بها أو يسترجِع فيه ذكرياتهما سويًا.

لم يخرُج من حالة الإنكار تلك إلا حين فقد هادي النُطق ، وقتها شعر أنه على وشك خسارة كُل شيء ، أخذ أجازة طويلة من عمله ، وذهب معه لسلسلة طويلة من الأطباء النفسيين ، بدءً من الأطباء الجُدد الذي اتخذوا من هادي فأر تجارب صغير يطبقون فيه ما درسوه طوال سنين الدراسة بشكلٍ عملي ، مرورًا بهؤلاء الذين يطلبون جلسات طويلة واحدة تلو الأخرى دون فائدة تُذكَر.. لكنهم يفعلونها من أجل مزيد من النقود ، انتهاءً بطبيبة نفسية ماهرة رشَّحها له أحد أصدقاء أكرم وأخبره أنها كانت مسؤولة عن تأهيله نفسيًا بعد جريمة قتل بشعة مُتهمها الأول كان طفلًا متوحدًا كان يُحقِّق بها ، وتلك.. كانت المنشودة!

كانت بارِعة في عملها حقًا.. للمرة الأولى منذ شهور طويلة يسمع طاهِر صوت ضحكات ولده المُصاب بخرسٍ اختياري ، اعتقد أنه قضى أسعد

يوم في حياته حين وُلِد هادي للمرة الأولى، لكن فرحته في هذا اليوم كانت أكبر وأشمل!

بدأ طاهِر من بعدها في تقسيم وقته بين العمل وبين رعاية ابنه الوحيد، وحدَّد لنفسه هدفًا أن يجعل من هادي خليفة له في عمله، بدأ بتأهيله منذ سن مبكِّر، وفي الحقيقة.. جعل هادي المُهمة سهلة للغاية برغبته في التعلُّم، إلى أن أنهى دراسته في أحد الكُليات العسكرية والتحق بالإدارة كعامل من الجيل الثاني، وهو الأمر الذي يعني وجود أحد أقربائه من الدرجة الأولى في الهيكل الوظيفي الموجود داخِل الإدارة.

مدّ هادي يده وهو يتحسَّس سطح الكومود الموجود بجوار فراشه بحثًا عن كوب ماء يروي به ظمأه، تجاهل العرق البارد الذي ملأ جسده بالكامِل وهو يتجرَّع الماء في جرعة واحدة دون تردُّد أو توقُّف، لكن.. لكن كان بالغُرفة شيئًا مُختلِفًا..

يشعر بالأمر، يثير حنقه أنه لم يستعِد وعيه بشكلٍ كاملٍ، فلا يستطيع أن يُحدِّد ماهيته.

اعتدل في الفراش وهو يمسح بعض قطرات العرق البارِد التي تكثَّفت فوق جبهته وشفته العلوية، أنصت السمع وسط الظلام، هناك شيء خاطئ!

تيك.. تيك.. تيك.. تيك..

اللعنة!

إنه صوت عقرب ثواني لعين، مد يده وأمسك بالمنبِّه الموجود فوق الكومود المجاوِر لفراشه، كان عقرب الثواني يزحَف بين الأرقام في بطء مُمِل، لكن.. لكن كيف حدث هذا؟

حَرص هـادي علـى خلـع البطاريـات منـذ دخَـل إلى تلك الغُرفـة هروبًـا مـن صوت دقات العقرب، كان مُتأكدًا أن المنبِّه لم يكُن يعمَل قبل أن ينام، فكيف لـه أن يعمل الآن؟

حـاول خلـع البطاريـات، لكـن بابهـا كـان مُغلقًـا بشـدةٍ، علـى الرغـم مـن كونها قطعة بلاستيكية رقيقة إلا أنها رفضت الاستماع لأوامره، حاول مـرارًا وتكـرارًا أن ينزعهـا كـي يتخلَّـص مـن البطاريـات، لكـن الأمـر كـان صعبًـا!

لم يجـد حـلًا واحـدًا للتخلُّص مـن الأمـر سـوى أن يُلقي بالمنبِّه بكـامِل قوته نحو الحائط، تحطَّم وهو يسقط أرضًا شظايا بلاستيكية.

ظنَّ هـادي أنه تخلَّص من الأمر، لكن الصوت لم يتوقَّف!

تيك.. تيك.. تيك.. تيك..

اللعنة! اللعنة!

لم يتوقَّف الصوت!

بحث هـادي بجنون عن مصدر الصوت، كانت ساعة الحائط اللعينة المُعلَّقة في غرفة المكتب المُلحقة بغرفته، اللعنة.. كان يعرف أن الأمر سيتكرَّر، كان يعرف أنه لن يستطيع خلع بطاريات الساعة بسهولة، أمسك بعصا مكنسـة قديمـة كانـت تسـتنِد إلى الحائـط وهشَّـم بهـا السـاعة، لكـن الصوت ظلَّ مُستمرًا، لم يتوقَّف!

فقد أعصابه!

تيك.. تيك.. تيك.. تيك..

كان الصوت موتِّرًا للأعصاب، هادمًا لسلامه النفسي، أمسك بالعصا وبدأ يهشِّم كُل شيء تطاله يداه، هشَّم الساعة، بعثر محتويات المكتبة، هشَّم الموجودات فوق المكتب، عاد للغرفة الرئيسية، دمَّر الهاتف الأرضي، جذب الستارة أرضًا، مزَّقها وهشَّم حاملها، لم يترُك شيئًا في مكانه.

لم يكُن الأمر مُتعلِّقًا بصوت دقَّات العقرب التي توقَّفت منذ هشَّم الساعة، لكنه كان مُتعلقًا بالشرخ الذي تركه اتهام والده بالخيانة داخله، مُتعلِّقًا بالكابوس الذي استرجع فيه ذكرى حرص على تناسيها طوال الوقت، مُتعلِّقًا بسُمعة والده التي على وشك الانهيار!

لكن..

مثلما وقف والده بجواره حين دخل في حالة الصدمة وفقد النطق بشكلٍ كاملٍ، سيتحتَّم عليه أن يقف بجوار والده الآن -حتى ولو لم يكُن موجودًا- من أجل أن يبرئ سُمعته بشكلٍ كاملٍ!

وكي يفعل هذا.. سيتحتَّم عليه أن يُخالِف الكثير من القوانين، إما أن يُثبت براءة والده أو..

أو يصبح خائنًا بدوره!



(9)

عبوة بسكويت بالشوفان مفتوحة، قطعتان من البسكويت المُستدير ساقطتان منها دون اكتراث حقيقي، كوب شاي ينقصه النصف تقريبًا، مُكعَّب سُكر، والكثير من الفتات على سطح منضدة خشبية يقبع خلفها كُرسي صغير فارغ.

تحرَّك هادي في ممرات الإدارة، يقطع الطريق في خطواتٍ سريعةٍ يبتغي بها الوصول لوجهته سريعًا، لم يستطع النوم بعد نوبة الغضب التي هاجمته وأرّقته، نظّف الغُرفة كيفما اتفق قبل أن يجلس لتناول قليل من الطعام، لولا قرصة الألم التي هاجمت معدته لما تذكّر أنه لم يتناول أي نوع من الطعام منذ يوم أو يزيد قليلًا.

سمع صوت طرقات كعب حذائه وهو يتردَّد في الممر الخالي، نظر في ساعة هاتفه المحمول، ما زال الوقت متأخرًا، وعلى الرغم من وجود بعض العاملين الموجودين في الإدارة، وبعض الجنود المُلتزمين بالخدمات المسائية، إلا أن الإدارة كانت هادئة تمامًا.

تجاهل صوت حذائه وهو يمُر مُسرعًا في الممر، تُحاصره الأبواب المُغلقة من الجانبين، يمنةً ويسارًا، سمع صوت قهقهات هامسة من خلف بعض الأبواب، وسمع صوت شخير عالي من خلف أبواب أخرى، تلك هي عنابر المُستجدين كما يُطلقون عليها تيمنًا بعنابر جنود الجيش، كُل غُرفة من تلك الغُرف التي تختبئ خلف تلك الأبواب كانت مسكنًا لأحد المُستجدين، ربما كانت تلك ستكون غُرفته، أو ربما هي تلك، لولا أن والده كان من القدماء هنا، وهو الأمر الذي جعله يسكُن غُرفته خلفًا له.

راجَع أرقام الغُرف وهو يتذكّر رقم الغُرفة التي يُنشِد الوصول إليها، حسنًا.. يبدو أنها ليست في هذا الممر، لكنها في الممر الموجود جهة اليمين،

عليه فقط أن ينحرِف يمينًا عند الناصية التالية وسيجد نفسه أمام بابه المنشود.

وهو الأمر الذي فعله قبل أن يتوقَّف فجأة، وكأنه.. وكأنه تجمَّد في مساره، وكأن قدميه أبتا أن تطيعان الأمر الذي أصدره عقله لهما باستكمال المشي.

فأمام عينيه كان باب الغُرفة يُفتَح، والشخص الذي على وشك الخروج منها، كان آخر شخص توقَّع أن يجده في هذا المكان، كان أكرم يخرُج من الغُرفة وهو يعدِّل من وضع حزامه، ومن خلفه خرجت ليلى محمرَّة الخدين، كانت تبتسِم في حنو بالِغ وهي تحتضنه من الخلف، شعر أكرم بالدهشة من لمستها فانتفض جسده وهو يتلفَّت يمنة ويسارًا في سُرعة، لكن هادي كان أسرع منه، توارى خلف الجدار سريعًا وقلبه يكاد يخترق ضلوعه، حاول أن يسيطر على نفسه وهو يدعو الله ألا يكون أكرم قد رآه، لكنه كان يعرف يقينًا أنها رأته.. تلاقت عيناهما لجزءٍ من الثانية تأكَّد فيه كلاهما من أن الآخر رآه.

انتظر إلى أن هدأت ضربات قلبه قليلًا، قبل أن يميل قليلًا وهو ينظُر بطرف عينه نحو الباب مرة أخرى، كان أكرم يقف أمامها مُبتسمًا قبل أن يطبع قبلة رقيقة على شفتيها وهو يودعها ويتحرَّك في الاتجاه المُضاد.

توقَّع أنها ستُغلِق الباب، أو أنها ستتظاهَر بأنها لم تره، تذكَّر حين كان صغيرًا، أراد أن يجرب النرجيلة أو الشيشة بعد أن حاول أحد أصدقاء السوء إقناعه بأنها من تمام الرجولة، وأنه من دونها لن يكون رجلًا، دخل بصُحبة صديقه إلى أحد المقاهي الموجودة في منطقة نائية قليلًا، وهو يتلفَّت حوله كما لو كان على وشك السطو على المكان، كان صديقه يتحدَّث دون توقُّف، يقول شيئًا عن كون هذا الـ (كافيه) كما كان يُطلِق عليه يُقدِّم الشيشة للجميع دون أن يسأل عن السن أو بطاقة الهوية،

وهـذا مـا يجعلـه مقصـدًا للعديـد مـن الأطفـال الذيـن ينشـدونه مـن أماكِـن عديـدةٍ ومـدارس كثيرةٍ.

كـان الطلبـة ذوو القمصـان البيضـاء والسـراويل كحليـة اللـون يجلسـون والشيشة بين أيديهم، يقرقر مائها في سعادة ودخانها يتسلَّل إلى صدورهم الصغيرة ورئاتهم البريئة، لكن هذا لم يكُن الأمر الذي جذب انتباهه، كان الرجل النحيف أشيب الفودين الجالِس مع فتاة صغيرة تبدو في المرحلة الثانوية، صبغت أطراف شعرها الذي يحاول التظاهُر بكونه ناعمًا بماء أكسجين حوَّل لونه للأصفر الفاقع، صفَّفته في ضفيرتين، استقرَّت كُل واحدة منهما على كتف من كتفيها، بينما تستقر يدها الصغيرة ذات الأصابع التي يلوِّنها طلاء الأظافر المقشَّر في يد الرجل النحيف، نظر كلاهما للآخر نظرة استغرقت لحظات قليلة، لكنها كانت كالدهر لكليهما.

ابتسم له الرجل وهزَّ رأسه ليحييه قبل أن ينادي الولد المسؤول عن الصالة كما كانوا يطلقون عليه، انحني الولد في اهتمام وهو يستمع لسيل الكلمات الذي صبَّه النحيف في أذنه قبل أن ينظر نحوه وهو يهز رأسه متفهمًا.

سار الولد نحوه سريعًا، فكَّر في الركض هروبًا من المكان، لكن الأوان كان قد فات على الفرار، رآه النحيف وبالتأكيد عَرف السبب الذي أتى به إلى هنا، كما رآه هو ورأى يده تُمسِك بيد الفتاة وعَرِف سبب وجوده هنا، اقترب منه الولد الأسمر، راقب وجهه القاسي والجرح القديم الذي شقَّ وجنته وصولاً لحاجبه، يبدو أن عينه نجت بأعجوبة من تلك الضربة، قال له الولد باحترام: «أستاذ نجيب سيدفع حسابكم كاملاً مهما كانت طلباتكم»

ابتسم له نجيب النحيف وهو يهز رأسه، لكن عينيه عكستا فزع لا

حدود له، رغم كونه حاول التظاهُر بالتماسُك ورباطة الجأش، اقترب منه صديقه دون أن يرفع عينيه عن الولد الأسمر هامسًا: «هل تعرفه؟»

همس لصديقه مُجيبًا دون أن يعرف السبب الذي يجعله يبادله الهمس: «زوج عمتي»

سرح صديقه وهو ينظر نحو النيل، تحديدًا نحو كومة من القمامة يهيم حولها الذباب في عشوائية وهو يقول بسعادةٍ حقيقيةٍ: «سنستغل الفُرصة.. لنطلب شيشة ليمون نعناع بدلًا من الشيشة العادية»

عاد زوج عمته لمُغازلة الفتاة وهو يتظاهر أنه لم يره، وجرّب هادي الشيشة للمرة الأولى أمام زوج عمته وهو يتظاهر أنه لا يراه، وحتى اليوم.. لم يتحدَّث أحدهما عن الأمر.

هكذا توقَّع أن يسير الأمر، لكن هذا لم يحدُث، بعد أن ودَّعت أكرم وقفت لتنظر نحوه وكأنها لا تخشاه، أو ربما كانت لديها استراتيجية مُعيَّنة في التعامُل مع مثل تلك المواقِف.

خرج من مخبأه وهو يتقدَّم نحوها، حاول أن يتسلَّح باستراتيجيته التي تعلَّمها من زوج عمته وهو يحييها مُبتسمًا قبل أن يقول: «أعتذِر عن قدومي في مثل هذا الوقت المُتأخِّر، لكنني أحتاج حقًا لمُساعدتِك»

ابتسمت وهي تقول: «ألن تحدثني عن الفيل الموجود في الغُرفة كما يقول الأمريكيون؟»

تلفَّت حوله بطريقةٍ مسرحيةٍ قبل أن يقول: «لا أرى أي فيلة في المكان!»

قالت وابتسامتها تزداد: «لكن أنا رأيتك، وأعرف كذلك أنك رأيتني»

شعر أنها تتحدَّاه، غضب قليلًا لكونه قد توقَّع ارتباكها أو محاولة

تضليله، لكنها لم تفعل لا هذا ولا ذاك، قال وهو ينظر في الاتجاه الذي اختفى به أكرم: «لا أهتم يا ليلى، لا أهتم حقًا بنوع العلاقة الموجودة بينكما، لا أهتم للسبب الذي جعله موجودًا في غُرفتك في مثل هذا الوقت، أو للسبب الذي جعله يتلفَّت يمنة ويسارًا حين احتضنته خوفًا من أن يراكما أحدهم، لا أهتم للقُبلة التي طبعها على شفتيك، ولا أهتم لعدد القبلات التي سبقتها، لا أعرف كيف نشأت شرارة علاقتكما، وكي أكون صريحًا.. لا أهتم حقًا بالأمر، هناك أمر واحد يهمني.. هل ستساعدينني؟»

كادت تجيبه، لكنه قال سريعًا: «وقبل أن تجيبي، في حال وافقتِ سأخبرك بكُل شيء عن الأمر وبكُل التفاصيل، وفي حال رفضتِ لن أخبر أحد بما رأيته هنا، فلا تخشِ الرفض خوفًا من إفشاء سركما»

نظرت له دون أن ترتبك، وأجابته دون أن تتردَّد: «أنا موافقة، سأساعدك.. لكن ليس خوفًا من إفشاء السر، بل انتصارًا لكرامتي التي أهنتها حين سخرت مني ومن مجال دراستي، والآن.. هل تريد الدخول للتحدُّث في القليل من التفاصيل»

نظر للغُرفة قليلًا وهو يُفكِّر.. هل يريد أن يكون موجودًا في مكان ارتُكِبت فيه خطيئة منذ دقائق؟ وقرَّر أن لا، لا يُريد الأمر حقًا، قال وهو ينظُر مرة أخرى في الاتجاه الذي اختفى فيه أكرم: «سأخبركِ بكُل شيء في الطريق إلى هناك»

سألته بفضول وهي تُغلِق الباب من خلفها: «إلى أين؟»

قال دون تردُّد: «إلى حديقة الشياطين!»

***

اقتربا من الحديقة بخطواتٍ سريعةٍ رشيقةٍ، كأنهما يتقافزان في خفة، وصلا إلى بوابة الحديقة، كان هناك رجل أمن يقف أمام البوابة وهو يُدخِّن واحدة من السجائر المحلية في استمتاع غير مُبرَّر، أشار هادي لليلى أن تختبأ خلف مجموعة من الصناديق المُرتكِنة إلى حائطٍ قريب قبل أن يقترِب من الرجل الذي شعر بالارتباك للحظة قبل أن يُلقي سيجارته أرضًا ويدهسها بحذائه، جذب سلاحه المُعلَّق على كتفه والذي كان في الوقت الحالي يسترخي خلف ظهره، جذب أجزاءه وهو يقول بصرامة: «اثبت محلك.. محلك اثبت»

أشار له هادي بيديه أن يهدأ قبل أن يتقدَّم خطوة للأمام ليتبيَّن رجل الأمن ملامحه، هدأ اضطرابه قليلًا وبدأت دقَّات قلبه في الاستقرار وهو يبتسِم قائلًا: «كدت توقف قلبي هلعًا»

قال هادي وهو يضحك: «كنت أظن أن الخطر موجود بالداخِل وليس بالخارِج»

نظر رجل الأمن من فوق كتفه وهو يتمتم بشيء لم يسمعه هادي قبل أن يقول: «عادةً ما يكون الأمر كذلك.. لكن في هذه الأيام هناك إشاعة مُنتشِرة أن..»

صمت الرجل دون أن يستكمِل حديثه، شعر هادي بالحنق، شعر بنيران خافتة تلدغ وجنتيه من الداخِل وكأنه سرب من نمل يزحف من داخله، حاول التظاهُر بالتماسُك وهو يرفع حاجبيه في دهشة قائلًا: «أي إشاعة؟»

قال الرجل في قليلٍ من التردُّد: «أن - اللهم احفظنا - هناك شيطان طليق في الإدارة، ذلك الذي غطوا المرايا من أجله»

لم ينس أن ينظُر من فوق كتفه نحو باب الحديقة مرة أخرى، وكأنه يتأكَّد من أن بابها لا يزال مُحكَم الإغلاق، ابتسم هادي للحظة قبل أن

يُخفي ابتسامته، لاحظ الرجل فقال في جدية: «لماذا تبتسِم؟»

تظاهر هادي بالجدية وهو يقول: «لا شيء»

ظهرت علامات التحفُّز على وجه الرجل وهو يقول: «هل تسخر مني؟»

أجابه هادي مُسرعًا: «لا، أبدًا.. الأمر وما فيه فقط أن تلك الإشاعة مصدرها الإدارة»

رفع الرجل حاجبيه في دهشة وهو يقول: «لكن لماذا؟ لا أفهم الأمر! لماذا تخرُج مثل تلك الإشاعة من الإدارة؟ لماذا تسبَّبوا في بدء تحقيق داخلي في المكان طالما أن الأمر ليس صحيحًا؟»

تظاهر هادي عند هذا الحد بأنه يقهقه ضاحكًا، ينفعل من قلبه وكأن جنية السعادة مسَّته وهو يقول: « لا.. أنت صدَّقت الأمر؟ إنه.. هاهاها.. إنه مُجرَّد مُمثِّل فقط، ويبدو أنه مُمثِّل بارع، لأنه أقنعك!»

شعر الرجل بالإحراج قليلًا وهو يقول: «بصراحة.. لقد اقتنعت، لكنني لا زلت لا أفهم السبب الذي دفعهم للقيام بالأمر واستئجار مُمثِّل؟»

تلفَّت هادي حوله وهو يبدو كأنه على وشك إخباره بسرٍ لا يعرفه سواه، أراد أن يُحكِم الأمر قليلًا، فاقترب منه هامسًا: «في الفترة الأخيرة شعرت الإدارة بقليلٍ من التكاسُل والكثير من التخاذُل من بعض العاملين هنا، بينما رئيس الإدارة - كما هو جليٌ - رجل واضح لا يريد ولن يعترف بفشله في إحكام سيطرته على موظفيه، لذا فكَّر قليلًا مع رجاله في طريقة يعيدون بها إحكام سيطرتهم على الأمر، ووجدوا هذه الفكرة»

ظهرت علامات الانبهار على وجه الرجل وهو يقول: «وبصراحة.. كانت فكرة مُذهلة.. أنت لا تتخيَّل، أصبحنا كُلنا أكثر تركيزًا وأشد انتباهًا

أثناء تأديتنا للخدمات»

ربت هادي على كتفه وهو يقول: «أتي الأمر ثماره، المُهم.. أتيت إلى هنا كي..»

أمسك بكتف الرجل بقوة، ترنَّح قليلًا وهو يتنفَّس بصعوبة، كادت ركبتاه تخونانه لولا أن أمسك به الرجل بقوة، سأله في اهتمام: «ماذا بك؟»

وجد هادي صعوبة في التحدُّث، قال من بين أنفاسه المُتلاحقة: «نسيت.. أن آخذ.. دوائي!»

سقط بين يدي الرجل الذي ساعده على الجلوس بجوار باب الحديقة مُستندًا إلى الحائط، أمسك الرجل بجهاز اللاسلكي الموجود معه وضغط على زره وكاد يرسل رسالة صوتية، لكن هادي أمسك بيده سريعًا وهو يقول: « لا.. داعي.. لإثارة القلق.. هل.. يُمكنك أن.. تحضر.. لي الدواء؟»

أنهى جُملته وهو يُمسِك بمفتاح غُرفته أمام الرجل، تردَّد الرجل وهو يقول: «لكن.. الخدمة؟»

قال هادي وهو يسعل: «الوقت ضيق.. لنا.. هنا.. مكانك.. ريثما.. تعود»

سعل مرة أخرى وهو يغلق عينيه ويُطلق آنة ألم، جعلت الرجل يخطف المفتاح من يده وهو يسأله: «أين الدواء؟»

قال هادي: «خلف مرآة الحمَّام، الرف الثالث، كبسولة برتقالية»

قالها دون تردُّد أو تقطيع، دون ألم أو سعال، لكن الرجل لم يلحظ الأمر في غمرة قلقه على هادي، قطع الطريق خروجًا من المكان بخطوات

سـريعةٍ وقودهـا القلق علـى هـادي، خـرجت ليلـى من مخبئها وهـي مُبتسِـمة، اقتربت مـن هـادي الـذي اعتدل وهو ينفض الغبار عن ملابسـه، قالت وهـي تضحـك: «حيلة ذكية»

ظهـرت علامـات الضيق علـى وجـه هـادي وهـو يقـول: «أعـرف أن مـا أفعلـه خاطئ لكنني مُضطرًا للأمـر»

اختفت ابتسامتها وهي تقول: «أعرف هذا»

تردَّد قليلًا وهو يسـألها: «أنا لست إنسانًا سيئًا، أليس كذلك؟»

لم تتردَّد هي ولو للحظة قبل أن تقول: «الدوافع هي الشيء الرئيسـي الذي يُحدِّد مدى سوء الأفعال، نفس الفعل بإمكانه أن يكون جيدًا وأن يكون سيئًا، ما يُحدِّد الأمر حقًا هو الدافع، بإمكان نفس الشخص أن يصبح جيدًا أو سيئًا حسَب الدافِع الذي يدفعه للقيام بالأمر، فسارق رغيف من أجل إطعام مجموعة من الصغار الجائعين ليس شخصًا سيئًا، على الرغم من كون السـرقة أمر سـيء، لكـن الدافِع كان نبيلًا، والطبيب الذي يغش في جرعات العلاج الكيماوي الذي يستخدمه الأطفال المصابين بالسـرطان من أجل أن يُزيد صفرًا في حسابه البنكي شخص سـيء، لأن دافعه ليس نبيل، أنت تفعل كُل هذا من أجل تبرئة سمُعة والدك. هدفك نبيل، وبالتالي دافعك نبيل، وأنت شخص لطيف»

كان كلامها مُقنِعًا للغاية، أعجبه الأمر.. أجل.. أنا رجل نبيل، أفعل كُل هذا من أجل هدف نبيل، لرجلٍ نبيل، رجل يستحِق أي شيء، وكُل شيء!

***

لم يكُن بإمكان هادي استخدام شارته من أجل الحصول على تصريح دخول لحديقة الشياطين، وذلك لسببين هامين، أولهما أنه يحتاج لموافقة

رئيس الإدارة على التصريح، وهو الأمر الذي يتطلَّب تقديم طلب رسمي مُرفَق بتوضيح للسبب الذي يحتاج من أجله دخول الحديقة، مثل التصريح الذي دَخَل به للحديقة بصُحبة المُستجدين من أجل الجولة التعريفية، وهو التصريح الذي انتهت مُدة صلاحيته، وثانيهما أنه محوَّل للتحقيق في الوقت الحالي وبالتالي لا يملك حتى شارته من أجل تقديم طلب رسمي.

لهذا السبب استعان بليلى، التي كانت قد سبق وأخبرته أنها مُختصَّة في فك الشفرات، وهو الأمر الذي سخر منه كثيرًا، لكنه وجد نفسه بعد بضع ساعات قليلة في أمس الحاجة إليه.

وهو الدرس الذي تعلَّمه بالطريقة الصعبة!

وقفت ليلى أمام جهاز الإنذار المزوَّد بلوحة مفاتيح مُزيَّنة بالأرقام، تنفَّست بعُمق وهي تقول: «هذا النوع من الأنواع المتطوِّرة للغاية، وللأسف.. لدينا ثلاث محاولات فقط لا غير، قبل أن يُطلِق جهاز الإنذار جرسًا تحذيريًا ليكشف أمرنا لكُل الموجودين في المكان»

نظر هادي خلفه بتوتُّر، في الاتجاه الذي أسرَع إليه الرجل ليجلب له الدواء، ظنًا منه أنه سيأتيه بالدواء الذي سيُنقِذ حياته، بينما هو في حقيقة الأمر ذهب ليجلب له نوع من الحبوب المُساعدة على الهضم فقط لا غير!

همس لها بقلق: «هل بإمكانكِ أن تُسرِعي قليلًا؟»

هزَّت رأسها وهي تقول: «لدينا دقائق لتخمين كلمة سر مكوَّنة من ٦ أرقام، هو الأمر الذي عادةً ما يستغرق قُرابة الـ ٢٢ ساعة تقريبًا، هذا في حال كانوا قد استخدموا أرقام عشوائية فقط، لكن في حالة استخدموا الحروف أو الرموز فربما استغرق الأمر ١٢ عامًا أو يزيد»

نظر لها في غباء وهو يقول: «هل تحاولين طمأنتي؟»

ابتسمت بعصبية وهي تقول: «لا.. أحاول فقط أن أخبرك بمدى صعوبة الأمر»

نظر نحو الطريق مرة أخرى وهو يتوقَّع رؤية الرجل يقترِب في أي لحظة قبل أن يقول متوتِّرًا: «هل يُمكِنك أن تسرعي قليلًا؟»

همست لنفسها: «عادةً ما يستخدم الأشخاص واحدة من أكثر كلمات السر شيوعًا، وعددها هو عشر تركيبات رقمية، لكننا في هذه الحالة لا نمتلك رفاهية تجربتها كُلها، لذلك سيتحتَّم عليَّ تجربة أول اثنتين فقط لا غير، ومن ثم سأترك المحاولة الثالثة إلى النهاية»

قال هادي بنفاد صبر: «هيا.. هيا.. هيا..»

تنفَّست بصعوبة وهي تقول: «لنجرِّب المحاولة الأولى: 123456»

نظر لها بدهشة وهو يقول: «هل تتوقعين أن يكون الأمر بمثل هذه السهولة؟»

شعرت بالحنق وهي تُراقِب الضوء الأحمر الذي ظَهر، والصفارة التحذيرية المُستفزَّة التي أخبرتها أن محاولتها ما هي إلا محاولة خاطئة، قبل أن تقول في محاولة للدفاع عن نفسها: «يجب أن تعرف أن ١١٪ تقريبًا من سُكَّان العالم يستخدمون هذه التركيبة»

عضَّ على أسنانه وهو يقول بغضب: «لكنها خاطئة، حاولي مرة أخرى»

رمشت بعينيها عدة رمشات سريعة في توتُّر وهي تقول: «لنُجرِّب الثانية: 654321»

اتسعت عيناه غضبًا وهو يرتعِد قليلًا قبل أن يقول: «حقًا؟ حقًا؟ الفكرة العبقرية التي أتَتَ في ذهنك مباشرةً، هي فقط عكس الأرقام اللعينة؟»

أنهى كلمته واللون يتحوَّل للون الأحمر والصفَّارة التحذيرية اللعينة تحذرهما أن تلك المحاولة أيضًا كانت خاطئة، سمعوا صوت آلي يقول برتابة وملل: «لديك محاولة واحدة فقط! لديك محاولة واحدة فقط!» نظر لها حنقًا وهو يقول: «حقًا؟»

همست لنفسها وهي تكاد تبكي قائلة: «لكن ١٪ من سُكَّان العالم يستخدمونها!»

تنفَّس ببطءٍ وهو يحاول أن يتمالك أعصابه قليلًا ويسيطر على مشاعره، قال وهو لا زال ينظر بقلق نحو الطريق باحثًا عن رجل الأمن وهو يقول: «ليلى.. عزيزتي.. محاولة واحدة..»

لم يستطِع تمالك أعصابه أكثر من هذا، صَرَخ بها بغضب: « فكِّري في شيء آخر بعيدًا عن التركيبات الرقمية الشهيرة اللعينة.. فكِّري خارِج الصندوق»

كادت تبكي، حاولت أن تسيطر على نفسها قليلًا، أغلقت قبضتها لتمنع رعشة ظهرت وهي تنتهك يدها، أخرجت من جيب بنطالها كشَّاف إضاءة صغير، أنارته ووضعته في فمها، قبضت عليه بأسنانها لتمنعه من الحركة، اقتربت من لوحة المفاتيح وهي تتأمَّل الأرقام عن قُرب قبل أن تُغلِق عينيها وهي تقول: «المحاولة الأخيرة»

صمتت وهي تحاول أن تبتلع ريقها بصعوبة قبل أن تقول: «2..6..8..2..4..7»
همس هادي لنفسه: «عشوائية تمامًا، يبدو أنني أخطأت حين أتـ..»

قبل أن يتم جُملته سمع صوت أزيز خافِت، ورأى الإضاءة الخضراء المُريحة للعين وهو يسمع صوت التكة الإليكترونية المُميَّزة والتي أخبرته أن التركيبة الرقمية الأخيرة كانت صحيحة.

صاحت ليلى بسعادة: «فعلتها.. لديّ خبر جيد.. لقد فعلتها»

قال هادي بخوف وهو يتحرَّك سريعًا قائلًا: «وأنا لديّ خبر سيء»

نظرت للخلف فرأت رجل الأمن يتحرَّك نحوهما سريعًا، كانا قد ضيعا من الوقت ما يكفي ليذهب رجل الأمن ويأتي سريعًا، كان عليهما أن تكون أكثر خفة وأكثر سُرعة، لكن أوان الندم كان قد فات.

أمسك رجل الأمن بسلاحه وهو يُلقي بشريط الدواء جانبًا ويركض نحوهما، تبادلا النظر سويًا وهما يدركا أن خطتهما قد فشلت!

قبل أن تبدأ!

(10)

اكتشف رجل الأمن الخُدعة حين أمسَك بشريط الدواء، يعرفه جيدًا ولا يتيه عنه، لطالما كان رفيقه بعد وجبات الغداء بشكلٍ شبه يومي، قبل أن يتطوَّع لأداء الخدمة العسكرية ككثيرين من أبناء قريته، قبل أن يتميَّز عنهم ويلحظ مرؤوسيه نباهته وذكائه المُتقِد فيوصوا بانتدابه إلى هذه الإدارة، كان يعيش في واحدة من القرى الفقيرة في بيت من الطوب اللبِن، يفتقِر لسقف صلب، لكن والده العجوز قرَّر أن يتحايل على الأمر قليلًا، ففرد قطعة من (المشمَّع) وثبَّتها في أركان الجدران الأربعة صانعًا سقفًا مؤقتًا إلى أن تزورهم واحدة من تلك الجمعيات الخيرية لتساعدهم في بناء سقف يستر رؤوسهم ويقيها شرور البرد والمطر، كان طعام غدائهم اليوم يتمثَّل في وجبتين، أرز وعدس، أو أرز وفول نابت، وفي الحقيقة كان يحب كلاهما فلم يكن يُمانِع، على عكس أخته الصغيرة التي طالما تذمَّرت من طعام الفقراء.

لكن قولونه لم يكُن يُحب العدس، في كُل مرة يتناول فيها العدس كان بطنه ينتفِخ بشكلٍ ملحوظ، يجد صعوبة في التنفُس بشكلٍ طبيعي وكأن هناك حجرًا يستريح فوق معدته، كان يزور الوحدة الصحية هناك، ليستقبله الطبيب المبتسِم دومًا ويعطيه شريطًا من هذا الدواء بشكلٍ مجاني، كان الطبيب يعرف أن الفقر وقلة الحيلة ضيوف دائمين على مُعظَم سُكَّان تلك القرى، لذا لم يطلُب مقابلًا ولو حتى كان الجُنيه الواحِد الذي وضعته وزارة الصحة كتعريفة مُقابل صرف هذا الدواء.

كان يتناول حبتين بعد كُل وجبة يُصاب فيها بالثِقل أو عُسر الهضم كما سَمِع الطبيب يقول ذات يوم، لذلك كان الدواء مألوفًا له في اللحظة التي أمسَك به فيها، ناهيك عن عدم وجود أي أدوية أخرى في الغُرفة، حينها ربط الخيوط سريعًا في رأسه، كاد يُخطِر مسؤول الأمن عن

الأمر، لكنه صمَّم على افتراض حُسن النية، خصوصًا وأن هادي من اللُطفاء ذوي السُمعة الجيدة في المكان، وأثبت هذا مرارًا وتكرارًا في الفترة التي قضاها هنا منذ وفاة والده، لذلك صمَّم أن يذهب بالشريط لهادي، عل الأخير يمتلِك تفسيرًا لما يحدُث.

لكن بمُجرَّد اقترابه من محل خدمته الذي عض أطرافه من الندم على تركه، ورؤيته لليلى وهي تضغط الأزرار في سُرعة قبل أن تنجح في فتح الباب، وجد نفسه حائرًا بين أمرين، إما أن يضرب كلاهما بالرصاص كما تقتضي الأوامر، لكن مكانه ومكانهما كان سيثير الكثير من الشُبهات، لماذا كانوا عند الباب أو في محل خدمته بينما لم يكُن هو هناك؟

تخيَّل عتاب رؤسائه له ولومهم له قبل تحويله للمُحاكمة العسكرية بتُهمة ترك محل الخدمة ومُخالفة الأوامر العسكرية، وهو الأمر الذي لم يُحبِّذه كثيرا!

لذلك لم يجد أمامه سوى الحل الآخر، وهو الحل الوحيد الذي بدا منطقيًا في تلك الأثناء، أمسك بجهاز الاتصال اللاسلكي الخاص به وهو يتصل بمسؤول الأمن ويبلغه بكُل شيء، بينما يركض نحوهما شاهرًا سلاحه -دون أي نية في ضرب أيهما بالرصاص- لعله يثير خوفهما أو فزعهما فيتراجعان عما ينتوياه.

لكن هذا لم يحدُث!

كان هادي سريعًا، بينما تجمَّدت ليلى في مكانها فاغرة الفاه تُراقبه وهو يقترب، كان هادي يركض ليعبُر الباب وهو يُمسِك بيدها ويجذبها للداخل، تركته يقودها حيثما أراد، شلَّتها الصدمة جسديًا وعقليًا، لم تقدر على الحركة، ولم تستطع التفكير في أي شيء في تلك اللحظة

سوى شيء واحد!

لقد ضيَّعت الكثير من الوقت في العديد من المحاولات الفاشلة!

بمُجرد عبورهما للباب، ضغط هادي الأزرار من الجهة الأخرى ليُغلِق الباب سريعًا. كان رجل الأمن يقترب شاهرًا سلاحه، هذه المرة كان مُستعدًا لإطلاق النار دون رحمة أو هوادة وهو الأمر الذي فعله بعد أن تلقى أمرًا مُباشرًا من مسؤول الأمن، لكن رصاصاته تأخَّرت كثيرًا، أصابَت الباب المعدني الصلب وارتدَّ بعضها على الأرض بينما انغرست البقية وتمسَّكت بالباب، الذي أكمل عملية الإغلاق دون أن يكترث نهائيًا لما يحدث أمامه! أو لما هو على وشك أن يحدث خلفه!

***

سقط كلاهما على الأرض، كانا يتنفسان بصعوبةٍ بالغةٍ، قلباهما يدقان بقوةٍ حتى ليكادان يخترقان صدريهما، ابتلعت ليلى ريقها بصعوبة وهي تقول: «فعلتها!»

نظر لها هادي بإعجاب وهو يقول: «كُنت أثق بكِ!»

على الرغم من أن هذه لم تكُن الحقيقة، وظهر هذا جليًا في عصبيته وتوتَّره في الخارِج، سألها في توتُّر: «هل هناك طريقة نمنَع بها دخولهم إلينا إلى أن ننتهي من الأمر؟»

هزَّت رأسها إيجابًا قبل أن تقول: «لن يمُر ما فعلنا على خير!»

حاول أن يبتسِم ليُخفي عصبيته وهو يقول: «أعلم هذا جيدًا يا صديقتي، لكن ما حدث قد حدث، لا داعي للبُكاء على اللبن المسكوب»

كرَّرت جُملتها وهي تنظُر نحو الباب وكأنها لم تسمعه: «لن يمُر ما فعلنا

على خير!»

وقبل أن يجيبها هادي أو يُعقِّب على أي شيء توجَّهت بخطوات شبه آلية وهي تبدو تائهة نحو لوحة المفاتيح الموجودة بجوار الباب من الداخِل، سألها في اهتمام: «ماذا ستفعلين؟»

التفتت لتواجهه، لكنها في الحقيقة لم تكُن تنظر إليه. بدت غارقة في أفكارها، نادمة على ما اقترفَت، قبل أن تقول: «سأدخِل كلمة السر بطريقة خاطئة ثلاث مرَّات، وهذا سيمنعهم من الدخول إلينا لربع ساعة، وفي حال لم ننتهي فبلئذٍ سأعيد إدخالها مرة أخرى بشكل خاطئ مرة أخرى وستطيل مدَّتنا هذه المرة لنصف ساعة كاملة!»

ودون أن يجيبها التفتت مرة أخرى بطريقة آلية نحو الباب وهي تضغط الأزرار في سُرعة وتوتُّر، اقترب منها بعد أن انتهت، أمسك بها برفقٍ من كتفيها وهو ينظر في عينيها قائلًا: «أعرِف أنني ورطتكِ في أمر لا قِبلَ لكِ به، لكنني سأخبرهم أنني هدَّدتك بالقتل ما لم تطيعين أوامري، وأنكِ كُنتِ مُجبرة على ما فعلتِ»

هزَّها برفقٍ ليُخرِجها من حالة الصدمة التي وقعت فريسة لها، لكن هذا لم يُجدي نفعًا، فكَّر في أمر ما، ابتعد عنها خطوة ونظر إليها، كانت لا تزال غارقة في أفكارها، صفعها بقوة متوسطة كما رأى طبيبًا نفسيًا يفعل في أحد الأفلام، لكنها صفعته بقوة على وجهه، وهو الأمر الذي لم يحدُث في الفيلم!

أمسك بوجنته في غير تصديق ونظر إليها وهي تسأله: «لماذا صفعتني؟»

أجابها سريعًا: «كُنتِ في حالة صدمة!»

ظهرت عليها علامات الغضب وهي تقول: «لم أكُن في حالة صدمة،

كُنت أفكِّر في الأمر وتبعاته فحسب»

تحسَّس وجهه وهو يقول: «أنتِ قوية!»

نظرت لكفها في إعجاب وهي تقول: «جرِّب مُمارسة فك الشفرات لسنواتٍ طويلةٍ وربما تُصبح أكثر قوة، أنت تصفع مثل الفتيات.. هل تعرف هذا؟»

شعر بالغضب، لكنه كان يستحق الأمر، هو من بادر بصفعها أولًا، لن يُصدِّق الأفلام مرة أخرى، هكذا قرَّر وهو يهز رأسه، قالت في نبرة تحذيرية: «لو صفعتني مرة أخرى.. مهما كان السبب.. سأقتلك! والآن.. لماذا نحن هنا؟»

ابتسم وهو يشير بيده نحو شيطان بعينه، ينظر لهما من خلف قفصه الزجاجي وكأنه يُراقب ما يحدُث، بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة مُخيفة، كان يعرِف جيدًا أنهما قدما من أجله.

قال الشيطان بصوتٍ أجشٍ: «كُنت في انتظاركما!»

***

كيف تخدع شيطانًا يقرأ أفكارك؟

كُل شيء تُفكِّر فيه.. يعرفه، كُل قرار تأخذه.. يحيط به علمًا، وكُل خطوة تريد أن تخطوها.. سيسبقك فيها!

كان واحدًا من أكثر الشياطين صعوبة، ليس لقوته، واجه طاهر وأكرم شياطين أكثر قوة وأشد بأسًا، لكن شيطان يقرأ الأفكار.. هو شيطان يسبقك بخطوة!

وخطوة في عوالم الشياطين.. تساوي محيطًا في عالمنا!

كانت مُهِمة صعبة، حتى أنه خُيِّل لهما أنها ستكون مُهمتهما الأخيرة، كان الشيطان قاسيًا، لم يكتفي بمقاومتهما أو حتى محاولة الهروب من قبضتيهما، شعر بقوته، وأحس بضعفهما، أراد أن يختير الأمر بنفسه، فوجده أسهل مما تخيَّل، ثار، هاج، ماج، ضرب، وحاول قتلهما، ولولا دفاع كُل منهما عن الآخر كأنه يحمل بين جنبات صدره قلبه وروحه ما خرجا من تلك المواجهة سوى جُثتين هامدتين.

سقط طاهر أرضًا مُسجى إلى حائط تهدَّم، بينما كان أكرم في قبضة الشيطان، يكاد يفصل رأسه عن جسده، عَرف وأيقن أنها لحظاته الأخيرة، اغرورقت عيناه بالدموع، لم يكُن أبدًا ضعيفًا ولم يُخلَق مُستسلِمًا، لكنه شعر بالشوق لابنه الوحيد، لن يتركه بعدما ماتت والدته وتركته، كان يشعر بقليلٍ من الذنب، تذكَّر آخر يوم في عطلته الرسمية قبل العودة للإدارة، وكيف قضيا الوقت يتحدثان قبل أن يطلب منه هادي أن يساعده في عبور مُهمة مُعيَّنة في إحدى ألعاب الفيديو، حاول مرارًا وتكرارًا أن يتغلَّب على الوحش، لكنه كان يقرأ أفكار الشخصية التي يلعبان بها.

ابتسم لسُخرية القدر، لكنه شعر أن هناك ما يدفعه لإزاحة أطلال الألم عن عقله، أن يُفكِّر بشكلٍ أعمق، لم يعرف السبب، لكنه دائمًا ما كان يثِق بحدسه، وهو الذي لم يخذله أبدًا.

حاول ضرب الوحش بيد الشخصية.. لكنه تفاداها، حاول ركله بقدميه.. ابتعد عنه، حاول الالتفاف من خلفه فوجده في انتظاره!

أعاد المحاولة عشرات المرات، لكن جميعها باءت بالفشل، لم يجد بدًّا سوى التظاهُر بدخول الحمَّام، ترك ذراع التحكُّم لهادي الصغير ليحاول بمفرده ريثما يعود، دخل الحمَّام وبحث على شبكة الإنترنت فوجد حلًا لم ينتبه له أحد، أن يغيِّر مكان ذراع التحكُّم ويوصله بالمخرج الثاني لا

الأول، حينئذٍ لم يستطِع الوحش أن يتوقَّع تحركاته أو يقرأ أفكاره.

عندما وصلت أفكاره لهذه المنطقة، توقَّف قليلًا، شعر بضرورة التمهُّل بعض الشيء، عليه ألا ينساق لتسلسُل أفكاره، كان يعرف أن تلك حيلة ابتدعها عقله ليلهيه قليلًا عن الألم الضارِب الذي ينهَش جسده دون رحمة أو توقُّف، تردَّد صوت زمجرة أكرم، كان يعلم أنه يُعاني، فجأة.. أنار مصباح من المعرفة عقله ليُبدِّد ظلامه، ظهرت الجُملة في رأسه بغتة وكأنه غير مسؤول عن ظهورها

«كي تخدع الآخرين، عليك أن تخدع نفسك أحيانًا»

صرخ بها بصوت عالٍ، سمعه أكرم من بين زمجرات ألمه المُنبعثة من بين شفتيه، فهمها وأدرك ما يرنو إليه طاهِر، وفورًا بدأ بتنفيذ الأمر، عادةً ما كان يُفكِّر كلاهما بطريقةٍ منطقيةٍ، يُحلِّل الموقف أولًا، يستعرض سريعًا حلوله، يختار منها الحلول القابِلة للتنفيذ فقط مُتجاهلًا البقية، يُجرِّب تلك الحلول في رأسه باحثًا عن أنسبها وأكثرها فائدة، قبل أن يبدأ بمرحلة التجريب.

لكن هذا لم يكُن متاحًا في الوقت الحالي، أعطاه طاهِر الفكرة دون أن يُناقشا حيثياتها سويًا، تاركًا له حرية التصرُّف كيفما اتفق، ومن بين موجات الألم العارِم وجد أكرم نفسه يتجاهل موقفه تمامًا ويُفكِّر في حالة طاهر وعلاقته بابنه، قبل أن يتخذ قراره فجأة ليصدم الشيطان الذي وجد نفسه فجأة يندم على قراره باستعراض قوته، لربما كان من الأفضل أن يهرب من هنا حين أتيحت له الفُرصة.

وخلال دقائق قليلة.. كان الشيطان في أحد الأركان مُغطى بشبكة معدنية تصدر هسهسات كهربائية ويمر عبرها برق أزرق صغير خُلِق من الموجات الكهربائية لينتفِض الشيطان وهو يأن في ألم.

قهقها وهما ينظران إليه قبل أن يستنِد كلا منهما على الآخر وهما يخرجان من المكان نحو سيارة الإسعاف التي حضرَت إلى هنا مع الدعم الذي طلباه بعد أن انتهيا من الأمر، وعلى الرغم من ارتفاع صوت سارينة سيارة الإسعاف، إلا أن صوت ضحكاتهما كان أعلى!

فقد نجحا في خداع نفسيهما قبل أن ينجحا في خداع الآخرين!

***

قصَّ على ليلى الأمر سريعًا كما سمعه، كانت إحدى قصص والده وأكرم المُفضّلة، لذا كان قد سَبَق وسمعها منهما عشرات المرات على الأقل، وفي كُل مرة كانت تعلَق إحدى تفاصيلها في ذهنه، في النهاية.. كان يحفظها عن ظهر قلب، وهو الأمر الذي ساعده على قصّها على ليلى سريعًا، بينما كانت هي مشغولة بالنظر للباب كُل بضع ثواني، وكأنها تتوقّع أن يقتحموا الباب في أي لحظة، لاحظ هو نظراتها القلِقة، فسألها بعد أن أنهى حديثه: «هل بإمكانهم فتح ذلك الباب بأي طريقة كانَت؟»

أيقنت أنها أثارت قلقه، فحاولت الابتسام في ارتباك وهي تقول: «لا، وهذه واحدة من عيوب التكنولوجيا الحديثة، لهذا أمقتها حقًا»

تنهَّد في ارتياح وهو يُطالِع الشيطان الذي يُراقِبهما من خلف القفص الزجاجي، سألته وهي تنظر نحو الشيطان بقلق: «ماذا ستفعل؟»

أشار لها نحو القفص وهو يقول: «حين كُنت هنا البارحة لمحت واحدة من العُلماء وهي تفتح قفصه من أجل أن تدلف إليه لقياس بعض الأشياء عن قُرب، بالطبع حينئذ وضعوا شبكة من الموجات الكهرومغناطيسية بينهما ليقوا تلك العالمة شرور هذا اللعين، لكن أنا سأضطر للمُجازفة بمواجهة مُباشِرة معه، بالمُناسبة.. لديّ سؤال! لكن أولًا هل لدينا وقت كافي؟»

نظرت في ساعتها قبل أن تهز كتفيها في لا مُبالاة وهي تتحرَّك نحو لوحة المفاتيح الموجودة خلف الباب مرة أخرى، ضغطت عدة أزرار عشوائية قبل أن يريا الضوء الأحمر ويسمعا صوت نفير الاعتراض، نظرت في ساعتها مرة أخرى وهي تقول: «الآن لدينا نصف ساعة تقريبًا»

ابتسم وهو يقول: «إذًا سأكون سريعًا، كيف خمنتِ كلمة السر المُعقدة تلك؟»

ظهرت عليها إمارات الزهو والفخر وهي تقول: «لاحظت أن بعض الأرقام ممسوحة أكثر من غيرها، وهذا لأن الزيوت الطبيعية الناتجة من بشرتنا تمحوها تدريجيًا دون أن نشعُر، تمامًا مثل لوحة مفاتيح حاسوبك المحمول التي تُمحى بمرور الوقت، لكنهم كانوا خمس أرقام وليسوا ستة، وبالتالي.. علِمت أن هناك رقمًا يتكرَّر في تركيبة كلمة السر، ولأن الرقم (٢) كان أقلهم وضوحًا، علِمت أنه الرقم المنشود، بدأت بمحاولة ترتيب الأمر إلى أن قرَّرت المُجازفة.. ونجحت»

قهقه وهو يقول: «وأي نجاح يا ليلى، يبدو أنني كُنت مُخطئًا بشأنكِ بعد كُل شيء!»

قالت في لا مُبالاة ممتزجة بقليلٍ من الغرور: «أعرِف هذا»

نظرت في ساعتها قبل أن تقول: «والآن.. لنُسرِع قليلًا!»

هزَّ رأسه مُتفهمًا وهو يُسرِع الخُطى نحو القفص، مُشيرًا إليها أن تتبعه سريعًا، كان الشيطان قبيحًا من بعيد، لكن من هذه المسافة ومن هذا القُرب كان أكثر قُبحًا! لكن هذا لم يردع هادي أو يعيده إلى رشده، كان إصراره على تنفيذ خطته طاغيًا، للدرجة التي جعلته يتحدى جميع قوانين الإدارة مُجازِفًا بمُستقبله هو وليلى، ضغط الأزرار في سُرعة وهو يُمسِك بمقبض الباب قائلًا في لهجةٍ آمرةٍ: « أغلقِ الباب من خلفي فورًا يا

ليلى»

تردَّدت قليلًا ، ربما قلقًا عليه وربما بسبب الضغط النفسي الذي تشعُر به في الوقت الراهِن بسبب ما يحدث من حولهم!

صاح بها في صرامة: «فورًا»

هزَّت رأسها وهي تتحرَّك من خلفه لتُغلق الباب فور أن دخل إلى القفص، وجد نفسه في مواجهة شيطان قبيح يبلغ طوله حوالي الثلاثة أمتار، كان طول هادي يصل إلى وسطه حرفيًا ، نظر إليه هادي في تحدي، وعلى الرغم من الخوف الذي يعتمر في قلبه إلا أنه قال في لهجة ساخرة: «والآن.. بما أننا صرنا وحدنا ، هل تسمح لي بهذه الرقصة؟»

زمجر الشيطان وهو يمد يده نحو هادي محاولًا الإمساك به، لكن هادي ابتعد في سُرعة وهو يقول في سُخرية: «تريد أن تقود الرقصة أنت؟»

صاح به الشيطان في غضب: «ماذا تريد أيها البشري؟»

ابتسم هادي وهو يقول: «رائع! لقد بدأنا في تبادل الألقاب المُميَّزة، حسنًا.. أنت اخترت أن يكون لقبي البشري، وأنا سأختار.. أن يكون لقبك كيس القمامةالشيطاني»

نظر نحو ليلى التي كانت تراقبه في قلق من خلف القفص الزجاجي وهو يقول مُبتهجًا : «هل رأيتِ هذا؟ سُرعان من أضحينا أصدقاء!»

وتلك كانت غلطته الكُبرى!

أمسك به الشيطان، كانت يده قوية ، أصابعه طويلة ، لفَّ يده على وسط هادي وهو يرفعه عاليًا ، وكأنه دُمية في يد طفل شقي غاضِب، ضرب به الأرض في قوة قبل أن يقول له: «ألا تعرِف أنني أعرِف مكنونات صدرِك؟»

قال هادي ساخرًا محاولًا ألا تبدو عليه إمارات الألم: «لم أكُن أعرِف أنك تعرِف أنني أعرِف؟»

ابتسم الشيطان في حنق وغضب وهو يضرب به الأرض مرة أخرى، شعر هادي بعظامه تأن ألمًا، كان يعرف يقينًا أنه لن يتحمَّل ضربة ثالثة، قال في ألم: «حسنًا.. حسنًا.. هو سؤال واحِد فقط وسأرحَل من هنا وأتركك وحيدًا!»

زمجر الشيطان كاشفًا عن أسنان نخرة تعبث بها ديدان سوداء صغيرة وهو يقول: «وماذا ستُقدِّم لي في المُقابل؟»

تظاهر هادي أنه يبحث في جيوبه قبل أن يقول: «دعني أرى هنا! وفي هذا الجيب! حسنًا.. أظن أنني لا أملك أي شيء لأقدمه لك في المُقابِل!»

ألقاه الشيطان لأعلى ليصطدِم في سقف القفص، تاركًا عليه لطخة دموية من أنفه الذي لم يعُد يتحمَّل كُل تلك الصدمات المُتتالية، وقبل أن يسقط أرضًا ضربه بقوة نحو الأسفل موجهًا إياه نحو الأرض في صدمة أخرى، سعل هادي وهو يتأمل الدماء التي تسيل من أنفه ومن شفته السُفلى، وقف بصعوبة وهو يبتعد عن الشيطان، كان يعرج على قدمه اليُسرى التي آلمته حقًا حين اصطدم بالسقف ثم بالأرض، التصق بالقفص الزجاجي وهو يقول: «أنا صادِق معك، أريدك أن تجيبني على سؤال واحِد فقط وسأرحل!»

قال الشيطان بصوتٍ جحيمي: «أجل!»

نظر له هادي باهتمام وهو يقول بفضول: «أجل؟ ماذا تقصد؟»

قال الشيطان وهو يقترِب منه، قبل أن ينحني ليُلصِق وجهه في وجه هادي، وهو الأمر الذي مكَّن الأخير من أن يشم رائحة أنفاسه العَفِنة وأن يرى

انعكاس الجحيم المُستعِر بداخله في عينيه، قبل أن يزأر بقوة، تناثرت بعض قطرات من اللعاب على وجه هادي، الذي بدأ يشعُر وكأنها قطرات من الحمض، لكنه لم يجرؤ على رفع يده أو مسحها، لم يجرؤ على التنفُّس حتى، سمع صوت الشيطان الجحيمي وهو يهز كيانه: «أجل.. كان خائنًا!»

سَمِع هادي شهقة ليلى من خلف السور الزجاجي، ولولا خوفه من التنفُّس حتى لشهق مثلها. كان يتوقَّع أن ينفي الشيطان الأمر، وبالتالي كان سيجد طريقة ليُبرئ ذمة والده، لكن.. لكن الشيطان ربما كان كاذبًا!

من الذي يثق في الشياطين على أي حال؟

أمسك الشيطان برأسه بين يديه وهو يعتصرها بقوة، شعر هادي أن رأسه على وشك أن ينفجر، قبل أن يسمعه يصرُخ: «يا لغبائك أيها البشري، هل نسيت أن بإمكاني قراءة أفكارك؟ طالما أنك لا تثق بنا.. فنحن لا نثق بجدوى حياتك!»

صرخ هادي بألم وهو يشعر أن جمجمته على وشك التصدُّع: «قليل من المُساعدة؟»

ضغطت أزرار لوحة مفاتيح القفص في سُرعة، كانت قد رأت هادي وهو يفتحها منذ قليل وحفظتها، فُتِح الباب، دخلت إلى القفص دون أن تدري ماذا ستفعل! لم تُفكِّر في الأمر حقًا!

لكنه لم يكُن الشيء الوحيد الذي لم تُفكِّر فيه!

أغفلت ليلى أن بإمكان هذا اللعين قراءة أفكارها، وهو الأمر الذي اكتشفته سريعًا حين ركلها الشيطان بقدمه، طار جسدها الرقيق ليصطدِم بالحائط المُقابِل للقفص، قبل أن يخلع الباب الزجاجي بيدٍ

واحدةٍ، وهو لا يزال يُمسِك برأس هادي بين أصابعه مُستمرًا في السحق، حاولت ليلى أن تقف لكنه ألقى الباب الزجاجي نحوها، شهقت وهي تغطي وجهها بيديها قبل أن يصطدِم بها الباب الزجاجي ليسحقها في الحائط قبل أن يتهشَّم وتتناثر شظاياه الزجاجية من حولها، بينما استقر جسدها فوق الأرض دون حراك!

لم يرَ هادي ما حدث، كان رأسه مستقرًا بين قبضة الشيطان، يقاوم فقدان الوعي، ويدعو الله ألا تتهشَّم جُمجمته لأن هذا سيعني موته، لكنه حين سمع صوت صراخها وصوت الزجاج وهو يتهشَّم، عَرِف جيدًا أنه خسرها مؤقتًا، وعليه أن يستكمِل تلك المعركة وحيدًا، وهو في أضعف وأسوأ حالاته البدنية والمعنوية!

ترك رأسه وهو يحكم إغلاق قبضته الأخرى على رقبته، مانعًا الهواء من أن يجد سبيلًا يصل به إلى رئتيه اللتين بدأتا تصرخان بألم طلبًا للهواء، رفعه ببطء عاليًا والشر يتجمَّع في عينيه، لم يحتمِل هادي نظرة الشر والحقد التي يراها في عيني ذلك الشيطان.

حاول أن يتنفَّس، أن يعترِض، أن يتحدَّث.. لكنه لم يستطِع.

فتح الشيطان فمه فوجد هادي نفسه مُرغمًا على فتح فمه رغمًا عنه، لم يملك القدرة ولا القوة للسيطرة على نفسه أو على جسده، رأى طيفًا أبيض اللون يخرج من فمه ليدخُل إلى فم الشيطان، مُمتزجًا بطيف أسود داكِن يخرُج من فم الأخير وصولًا إلى فمه، شعر بالبرودة التي اكتنفت جسده والرعدة التي سرت في جسمه بأكمله، شعر بالألم الذي اجتاح جسده دون رحمة، أصبح ضعيفًا، غير قادِر على المقاومة، أغلق عينيه واستسلَم له تمامًا.

فجأة.. سمع صوت الباب يُفتَح على مصراعيه، فتح عينيه بصعوبة، شعر

وكأن وزن جفنيه قد أضحى أطنانًا، لكنه رآه، كان يقف في ثباتٍ وقوة خلف الباب الخلفي، نسي هادي كُل شيء عن هذا الباب في غمرة انفعاله، كان أكرم يُمسِك بيده مُسدسًا غريب الشكل وهو يرفعه عاليًا ويقول بسُخرية مليئة بالغضب: «هل افتقدتموني؟»

وقبل أن يجيبه أيهما انطلق شعاعًا باهت اللون ليُصيب الشيطان في صدره، طار في الهواء للخلف تاركًا جسد هادي يسقُط أرضًا، وقف الشيطان وهو ينظر له بشر، أطلق عليه أكرم شعاعًا آخرًا حاول أن يتفاداه لكنه بدا مُتعبًا يفتقد للتركيز، أصابه فطار جسده ثانيةً للخلف بقوة، هذه المرة قرَّر أن هذا كافيًا، صعد على الحائط على أربع كالحشرات وهو يتحرَّك سريعًا، حاول أن يطارده لكنه كان سريعًا وهو يتجه نحو إحدى فتحات التهوية، قبل أن يفتحها سريعًا ويُلقي بغطائها أرضًا ويختفي بداخلها.

نظر لهادي وهو يسأله: «هل أنت بخير؟»

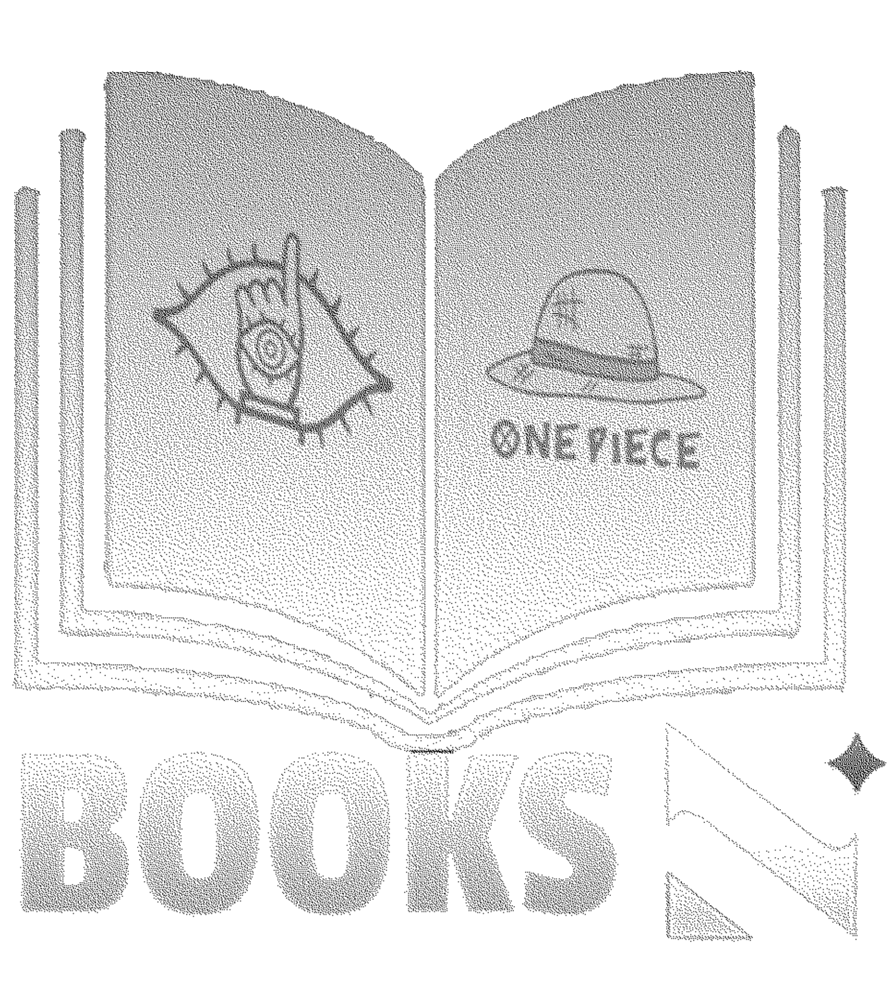
هزَّ رأسه وهو يتحسّس عنقه، ترنَّح قليلًا وقال وهو يسقُط: «أنا لست بخير!»

نظر أكرم في ساعته وهو يقول: سيفتحون الباب خلال ثلاث دقائق، عليك أن تتماسك!»

ركض أكرم سريعًا قبل أن يقفز على الحائط ويصدمه بقدمه دافعًا جسده نحو الأعلى في حركة رشيقة مُمسكًا بطرف فتحة التهوية المفتوحة، سأله هادي واللون الأسود يسيطر على كُل شيء: «أين تذهب؟»

قال أكرم في غضب قبل أن يختفي داخل فتحة التهوية المفتوحة: «أين تظنني سأذهب؟ للمصيف؟ سأذهب لأعيد هذا الوغد إلى هنا قبل فوات الأوان»

اختفى داخل فتحة التهوية قبل أن يختفي كُل شيء من أمام عيني هادي الذي ترك للون الأسود حرية السيطرة على الأمور كُلها وهو يسقط أرضًا فاقدًا الوعي!



(11)

يتحدَّث الجميع عن الهدوء الذي يسبِق العاصِفة، لكن بالتأكيد لم يرَ أحدهم الزوبعة التي سبقت العاصفة، لأنها انفجرَت بكُل عنفوانها في وجه هادي، الذي وقَف مُنكَّس الرأس أمام مُدير الإدارة في مكتبه، بينما سمع نهنهات بُكاء ليلى تأتيه عن يمينه، لكنه لم يجرؤ على رفع عينيه عن الأرض من أجل النظر إليها، كان مُكبلًا بأصفادٍ ضيقةٍ تُحيط بيديه، يقبض معدنها البارد على رسغيه دون رحمة، بينما كانت ليلى حُرة، كونها أنثى ومُستجدة جعلها مصدرًا أقل للقلق.

كان المُدير يجلس على مقعده الوثير خلف مكتبه الضخم، بينما وقف هادي أمامه وهو ينظر نحو الأرض، مُتجاهلًا السلاح المصوَّب إليه، كان رجل الأمن ينظر له شزرًا لعلمه أنه خدع زميل له مما تسبَّب له في مُحاكمة عسكرية، ناهيك عن الجزاء القاسي الذي ينتظره، ربما وصولًا للتسريح من الخدمة والعودة مرة أخرى للحياة المدنية.

أفاق هادي ليجد نفسه في الجناح الطبي، وبجواره مُمرضة رآها تهتز في البداية وتعجَّب للسبب الذي يجعلها تفعل هذا الأمر، لكنه أيقن بعد قليل أنه لم يستعِد كامِل تركيزه بعد، شعر بصداع حادٍ ينخُر رأسه، بمُجرَّد أن حصل الحرس المُكلَّف بمُراقبته على إذن الطبيب اقتادوه من فوره إلى غُرفة مُدير الإدارة فورًا، كانت ليلى مُنهارة حينما وصل، وهو الأمر الذي استمرَّ حتى تلك اللحظة دون توقُّف، بعد لحظات من دخوله حضر أحد مسؤولي الأمن ليزف للمُدير خبرًا سعيدًا، ألا وهو أن أكرم استطاع ببسالة السيطرة على الشيطان واقتاده إلى قفصه مرة أخرى، حين اطمأن قلب المُدير للأمر، طَلَب من الجميع الخروج باستثناء أحد رجال الأمن، والذي أمره بتصويب سلاحه إلى هادي طوال الوقت، قبل أن يعطيه أمرًا مُباشرًا بإطلاق النار فورًا ودون تردُّد في حال اقتضى الأمر ذلك!

فجأة.. ودون أي مُقدّمات.. ضَرَب مُدير الإدارة بيديه على سطح مكتبه الزجاجي وهو يقف، جحيم قوي من الغضب استعر في عينيه فورًا ودون هوادة وهو يخرُج من مكانه خلف المكتب وهو يقول في غضب: «فيم كُنت تُفكِّر؟»

حاول هادي أن يستجمع شتات نفسه ويُرتِّب أفكاره وهو يقول: «أردت فقط أن.. أن.. أردت أن..»

قاطعه المُدير في غضب: « أن.. أن؟ فيم كُنت تُفكِّر أيها الأحمق؟»

شعر هادي بالغضب بعد أن نعته المُدير بالأحمق، رفع وجهه ليُطالِعه، كانت قسمات وجهه ترتعِد بفعل الغضب الذي يعتمِر بداخله، شعر بعينيه تحرقانه قليلًا بسبب العطر الفوّاح القوي الذي دائمًا ما يضعه المُدير، دائمًا ما وجده مُزعجًا، لكن تلك المرة.. كان الأمر زائدًا عن حده! ما الذي يدفع رجلًا في منصب كبير مثله أن يضع كمية العطر الهائلة تلك؟

كرَّر المُدير سؤاله وهو يضغط على أسنانه بقوة، حتى لشعر هادي أنها على وشك التحطم من شدة الضغط: «فيم كُنت تُفكِّر؟»

لم يجد بدًا من المواجهة هذه المرة، نظر في عيني المُدير وهو يقول بصدقٍ: «كُنت أفكِّر في والدي الذي أفنى حياته في خدمة هذا المكان، في والدي الذي أضاع عُمره غارقًا في عمله للدرجة التي جعلته يفوِّت نصف طفولة ولده، في والدتي التي ماتت وحيدة على فراشها بينما كان زوجها الحبيب يصطاد أحد الشياطين، في طفولتي التي قضيتها مُشتتًا كمن غضب الله عليه، تارة عند خالتي، أخرى عند عمتي، وثالثة مع والدي الغارِق في عقد الذنب ومشاعِر الحزن، أفنى عُمره من أجل هذا المكان.. وماذا كان المُقابِل؟»

صمت قليلًا وهو ينظُر في عيني المُدير بحدةٍ شحذها الغضب وهو يُجيب

سؤاله: «لا شيء!»

كرَّر إجابته مرة أخرى قائلًا: «لا شيء، حتى حين اتهمته الإدارة العامة لوُهَّاب الشروق بالخيانة العظمى، لم ينتفِض فرع إدارتنا المُبجَّل من أجل الدِفاع عن موظفه الراحِل، بل بالعكس تمامًا..»

تحوَّلت نظرات الغضب التي تسكُن عينيه إلى نظرات اشمئزاز وهو يقول: «بالعكس تمامًا.. استضافوا مُحقق أو مُفتِّش من أجل التحقيق في القضية وكأنهم.. وكأنهم..»

غلبته دموعه وتهدَّج صوته وهو يقول مُشيحًا بوجهه بعيدًا عن المُدير: «وكأنهم يصدِّقون الاتهام الموجَّه له!»

رفع المُدير حاجبيه في دهشة، وكأنه لا يُصدِّق ما يسمعه، قبل أن يقول: «أنت فعلًا أحمق!»

نظر له هادي بغضب وهو يحاول مسح عينيه، قبل أن يعود المُدير إلى مكتبه، فتح أحد أدراجه وهو يُخرِج زجاجة عطر غريبة، رش منها القليل على ملابسه قبل أن يعيدها إلى مكتبه مرة أخرى، أشار لرجل الأمن بخفض سلاحه، تردَّد الأخير قليلًا قبل أن يمتثل للأمر، لكن المُدير لم يكتفِ بهذا، أشار له بالخروج من الغُرفة بأكملها، حاول رجل الأمن الاعتراض، لكن المُدير وأد اعتراضه في مهده وهو يقول بصرامةٍ: «هذا أمر!»

نظر رجل الأمن لهادي شزرًا قبل أن يمتثل للأمر ويخرج من الغُرفة بعد أن وجَّه تحية رسمية للمُدير، قبل أن يردَّها الأخير بهز رأسه، ضغط على زر موجود فوق سطح مكتبه وهو يقول لسكرتيره الخاص: «استدعي الضابِط المسؤول عن التحقيق الداخلي في قضية السيد طاهِر من فضلك! والآن!»

فتح الدرج الآخر الموجود عن يمينه، بحث قليلًا قبل أن يُخرِج منه سلسلة مفاتيح مُميَّزة، سار حتى وصل لهادي قبل أن يفك أصفاده، نظر له هادي بدهشة وهو يدلك رسغه بألم، قبل أن يأمره المُدير بالجلوس بجوار ليلى التي انتهت وصلة بكائها، لكن رعشة جسدها كانت قد تسلَّمت السيطرة على الأمور في الوقت الحالي.

تردَّد هادي قليلًا في تنفيذ الأمر، لكن المُدير وضع يده فوق كتفه وهو يجبره على الجلوس، كانت قبضته قوية فعلًا، جلس هادي بجوار ليلى التي نظرت إليه بعينين حمراوين وأنف أحمر يرتعد من أثر ما سبق من البُكاء، همس لها مُعتذرًا: «أنا آسف»

عاد المُدير إلى مكتبه مرة أخرى، جلس على مقعده وهو يتنهَّد قبل أن يسأل هادي باهتمام: «هل سبق وأخبرتك أنك أحمق؟»

هزَّ هادي رأسه في دلالة على الإيجاب قبل أن يقول: «حوالي عشر مرات تقريبًا»

سأله المُدير: «هل تعرف السبب الذي دفعني لنعتك بهذا؟»

هزَّ هادي رأسه يمنةً ويسارًا، استمرَّ المُدير في حديثه بطريقة أخبرت هادي أنه كان يعرف الإجابة مُسبقًا: «كان والدك أحد أكفأ الضُباط الموجودين هنا، كانت علاقتنا أكثر من مُجرَّد علاقة عمل، كانت علاقة صداقة أو..»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «أو أخوَّة، لم ألتزم معه يومًا بالرسميات، لم أرغَب في التعامُل معه داخِل نطاق العمل، لطالما كُنت مُعجبًا به وبتفانيه في تأدية عمله، حتى حين كان يجابه أصعب الظروف الشخصية.. كان مُتفانيًا في عمله، حين اتهموه بالخيانة كانت لديهم أسبابهم..»

كاد هادي يُقاطِعه لكنه قال في صرامة: «والتي غير مسموح لك بمعرفتها في الوقت الحالي!»

صمت هادي وهو يتنهَّد في يأس، عاد المُدير لاستكمال حديثه مرة أخرى: «لو عارضنا قراراتهم أو عطَّلنا تحقيقهم، كُنا سنتعرَّض للإيقاف عن العمل، وسيأتي بدلًا منا إناس ربما كانوا أكفأ منا مهنيًا، لكن أمر والدك وشأنه لا يهمهم على الإطلاق! لذلك كان يجب أن نمتثِل لأوامرهم، وأن نُساعدهم بكُل ما أوتينا من قوة، وجودنا في المكان وسط التحقيق كان أمرًا هامًا، كان علينا أن نُراقِب ما يحدُث، أن نطَّلع على مُستجدات الأمور، وهذا لسببٍ هام للغاية»

صمت قليلًا، فسأله هادي في سُرعة: «هل مسموح لي أن أعرِف هذا السبب؟»

هزَّ المُدير رأسه إيجابًا وهو يقول: «لأننا منذ اليوم الأول للاتهام الرسمي، أطلقنا تحقيقًا سريًا مُضادًا، لا يعرف بشأنه سوى شخصين، أنا.. والضابِط المسؤول عن التحقيق»

قال هادي بدهشة: «لكنك أمرت سكرتيرك للتو باستدعاء الضابِط المسؤول عن التحقيق، لابد أن يكون قد عَرِف شخصيته هو الآخر!»

ابتسم المُدير قائلًا: «هذا الأمر معناه استدعاء عشر ضباط آخرين لعشر أماكِن مُختلِفة من الإدارة، يتحرَّكون جميعًا في نفس الوقت، وعلى رأسهم السكرتير الذي يتوجَّه لأبعد مكان في الإدارة كنوع من أنواع البروتوكول، في خضم تحرُّكات الضُباط العديدة تلك من الصعب أن تعرف الضابط المسؤول عن التحقيق، وحين يصل إلى هنا.. لا يكون السكرتير في استقباله، وبهذه الطريقة.. تظل هويته مجهولة!»

في نفس اللحظة التي أنهى فيها المُدير حديثه، سَمِع الجميع صوت طرقات

قوية على الباب، من فوره صاح مُدير الإدارة: «ادخُل!»

سأله مُبتسمًا: «هل أنت مُستعِد لرؤية الشخص الذي يبذل قصارى جهده من أجل تبرئة ساحة والدك؟»

نظر هادي إلى الباب في ترقُّب دون أن يجيب هذا السؤال، كان يتحرَّق شوقًا وفضولًا لمعرفة ذلك الشخص بكُل تأكيد، ومن خلف الباب المُغلَق ظهر آخر شخص يتوقَّع رؤيته في هذا الوقت وهذا المكان!

***

دلف أكرم إلى الغُرفة في ثقةٍ قبل أن يُغلِق الباب من خلفه، تأمل هادي بغضبٍ قبل أن تتعلَّق عيناه قليلًا بليلى، أشاح بنظره سريعًا قبل أن يُلاحظ الجميع الأمر وهو يتقدَّم ليُحيي المُدير ويجلس على المقعد الوثير الموجود أمام مكتبه، طرق بأصابعه قليلًا على زجاج المكتب في توتُّر قبل أن يغلبه فضوله فيسأل: «هل يعرفون؟»

هزَّ المُدير رأسه ببطءٍ شديدٍ وهو يُطالعهما في غضب، نظر أكرم إليهما قبل أن يقول لهادي: «هل تعلم ماذا كان سيحدُث إذا ما لم أستطِع السيطرة على هذا الشيطان؟»

هزَّ هادي رأسه نافيًا، ولم يكُن يكذب هذه المرة.. هو بالفعل لا يعرف مدى قوة هذا الشيطان أو ما هو قادِر على فعله، ابتلع ريقه ببطء محاولًا السيطرة على انفعالاته قبل أن يهمس قائلًا: «كُنت مُضطرًا!»

رمقه أكرم بغضبٍ شديدٍ وهو يقول: «لم تكُن مُضطرًا للقيام بالأمر.. في الحقيقة كان الشيء الوحيد الذي كُنت مُضطرًا للقيام به هو الوثوق بي، ويبدو جليًا لي أنك لم تستطِع القيام بالأمر»

شعر هادي بالإحراج، فتسلَّلت حُمرة الخجل إلى وجهه، قبل أن يقول مُدافعًا عن نفسه: «بالتأكيد أثق بك.. لكنك لم تُخبرني بـ...»

قاطعه أكرم وهو يقف مكانه في غضب، كادت تتسبَّب حركته المُفاجئة في انقلاب الكُرسي، لكنه الأمر الذي لم يحدُث، صرخ به أكرم غاضبًا: «ماذا أخبرك يا هادي؟ أنني مُضطر للتظاهُر بأن كُل شيء على ما يُرام رغم أنني فقدت كُل شيء؟ أن أخبرك أنني مسؤول عن تحقيق سري لتبرئة ساحة وذمة صديقي المُقرَّب وأنني أجازف بكُل شيء من أجله؟ أم أنني لا أجد حتى طرف خيط أبدأ به الدفاع عنه؟ ماذا تريدني أن أخبرك؟ أنني أكاد أفشل في حياتي المهنية بعد أن فشلت في حياتي الأسرية؟»

صمت قليلاً حين أتى على ذكر هذا الجزء، عض شفته في ألم وكأنه تذكَّر شيئًا كان يحاول تناسيه طوال الوقت بانغماسه في العمل دون راحة.

كان صدره يعلو ويهبط بسُرعة وعُنف دلالة على انفعاله، بينما ظهرت عروق رقبته في علامة واضحة على أنه غاضب بالفعل، مسح العرق البارد عن جبهته قبل أن ينظُر للمُدير وهو يقول في هدوء مُفتعل: «هل أستطيع التحدُّث مع هادي على انفراد؟»

لم يبد أن ذلك الطلب قد أعجب مُدير الإدارة كثيرًا، إلا أنه كان يحترم أكرم للدرجة التي جعلته يُشير لليلى التي وقفت وهي تنظر نحو أكرم، لم يبادلها أكرم النظر وهو الأمر الذي أوجعها حقًا، فانهمرت دموعها مرة أخرى، عاد المُدير لمكتبه وهو يجذب منديلًا أو إثنين من علبته ويعطيها إليها قبل أن ينظر لهادي مرة أخرى، قائلًا لأكرم: «نحن في غُرفة الاجتماعات المجاورة»

قال أكرم باحترام وتقدير لم يحاول إخفائهما: «شكرًا لحضرتك.. سأخبرك حين ننتهي»

ربت المُدير على كتفه وهو يفتح الباب سامحًا لليلى بالخروج أولًا قبل أن يتبعها ويُغلِق الباب من خلفه، تابعهما هادي بنظراته قبل أن يقول: «أنا آسف، أردت حقًا أن..»

قاطعه أكرم بهدوء: «أعرف شعورك!»

صمت هادي قليلًا، لم يكُن يتوقَّع تلك الإجابة أو ذلك الهدوء، توقَّع نوبة غضب أخرى أو عاصفة جديدة تنفجر في وجهه، لكن هذا لم يحدُث.

جلس أكرم بجواره على الأريكة قبل أن يقول: «هل تعلم كيف انضممت للإدارة؟»

كان سؤالًا مجازيًا، بالطبع لم يعرف هادي الإجابة وهو الأمر الذي برهَن عليه حين هزَّ رأسه يمنةً ويسارًا، صمت أكرم قليلًا وكأنه يستجمع الشظايا المُبعثرة من شتات نفسه قبل أن يتنهَّد وهو يجيب عن سؤاله: «ربما كُنت تعلَم هذا مُسبقًا، وربما لا، لكنني كُنت ضابِطًا في إحدى الجهات الأمنية رفيعة المستوى، وكي أصدقك القول.. كُنت ضابِطًا ماهرًا فعلًا، ربما أحد أكفأ الضُبَّاط الموجودين في تلك الجهة، وبسبب مهارتي هذه تم اسناد مُهمَّة شديدة الخطورة لي، ربما من غير المسموح لي أن أخبرك بهذا، لكن كان عليّ أن أتخفَّي وأعمل مع إحدى الجماعات الإرهابية الخطيرة، واضطررت للانتقال لمكان نائي، كما اضطررت لتغيير أسلوب حياتي كاملًا كي أتماشى مع تلك الجماعة ومع أسلوبهم الميَّال للتطرُّف بعض الشيء، وبالتالي كان عليّ أن أتخلى عن حياتي بأكملها، تركت زوجتي وابنتي مع حمايّ العزيز، الذي لم يُمانِع الأمر كونه لواء سابِق ويتفهَّم قدر التضحيات التي يجب علينا أن

نقوم بها في أغلب الأوقات، لكن الأمر لم يكُن كذلك مع زوجتي أو ابنتي، شعروا أنني نبذتهما، خصوصًا أنه كان من الممنوع عليّ تمامًا أن أتواصَل معهما بأي طريقةٍ كانت، في الواقِع.. وكي أكون صادِقًا.. وفَّرَت لي الإدارة التي كُنت تابعًا لها آنذاك وسيلة جيدة للتواصل معهما عن طريق الاتصال بأحد أصدقائي وطمأنتهما عليّ بشفرةٍ مُعينةٍ قبل أن يطمئنني عليهما بنفس الشفرة التي لا يستطيع سبر أغوار تركيبتهما المُعقَّدة سوانا، لكنني.. لكن..»

غلبت مشاعره عند تلك الجُملة فتهدَّج صوته قليلًا قبل أن يحاول التماسُك وهو يستكمل: «لكنني فضلت التركيز في العمل، رفضت الأمر تمامًا، من الصعب العمل مُتخفيًا بينما يشغل بالك نتيجة ابنتك في الامتحانات أو نتيجة تحليل أجرته زوجتك بعد أن شعرت بالمرض، كُنت أشعر بالاطمئنان عليهما بصُحبة سيادة اللواء، قبل أي شيء هما ابنته وحفيدته، لذلك لم أعلم بما حدث لهما إلا بعد فوات الأوان»

صمت مرة أخرى، شعر هادي بالفضول، أراد معرفة ما حدث لهما فنظر نحوه، أكمل أكرم حديثه بصعوبةٍ كانت ظاهرة عليه، كان أمرًا صعبًا ولم يحاول إخفاء هذا حقًا: «ذهبوا جميعًا لقضاء عطلة صيفية في واحدة من المناطِق النائية في محافظة ساحلية، ولأنهم كانوا في نهاية فصل الصيف، كان المكان شبه فارِغ إلا من بعض الشباب وقليلٍ من الأسر التي اختارت هذا الوقت ليبتعدوا عن الزحام مثلما فعل حمايَّ المصون، لكنهم لم يعرفوا أن شيء آخر بانتظارهم هناك غير أيام الأجازة ورمال الشاطئ، شيء مُخيف.. وشرير!»

تنفَّس أكرم ببطء، وكأنه يحاول الهروب من تكملة حديثه أو كأنه يريد المُماطلة لسببٍ ما، لكنه لم يجد بدًا من الاستمرار: «بدأ الأمر مع ابنتي الصغيرة، تحديدًا أثناء نومها..»

***

الذي لم يكُن مُنتظمًا منذ وصولهم لهذه الشقة، اختار جدها تلك الشقة تحديدًا لأنها في مكانٍ هادئ، قريبة من شاطئ لطيف للغاية، ويوجد بالقُرب منها سوق بإمكان بائعيه تلبية جميع احتياجاتهم وقتما أرادوا، بالتأكيد سمع بعض الشائعات التي تدور عن ذلك المكان من أحد البائعين الذي رفض أن يحضر لهم ما طلبوه بعدما سَمِع العنوان، طلب منهم أن يأتوه هم ليأخذوا ما شاءوا وبخصم كبير إن أرادوا، لكنه لم يكُن على استعداد لزيارة ذلك المكان الذي يَعُج بـ«اللهم احفظنا» على حد تعبيره وهو الأمر الذي جعل الجد يستشيط غضبًا ويُقرِّر أن يذهب له ليعلمه درسًا في آداب التحدُّث مع العملاء، الأمر الذي رفضتاه الجدة والابنة خوفًا من تعكير مزاج سيادة اللواء وهو الأمر الذي كان كفيلًا بوأد مُتعة تلك الإجازة قبل أن تبدأ!

لكنه بدأ يُفكِّر في الأمر بعد أن رأى اضطرابات نوم حفيدته، كان هو أول من اكتشف الأمر حين قام للوضوء من أجل صلاة الفجر، مشى بتكاسل بجوار الغرفة التي تنام بها في طريقه نحو الحمَّام، لكنه سمعها تتنفَّس بصعوبة، كانت تتأوه في ألم، طرق باب الغُرفة مرتين، لم يأته رد، وهو الأمر الذي دفعه للقول بصوتٍ عالٍ بعض الشيء: «أنا آسف يا صغيرتي، لكنني سأدخُل إلى الغُرفة»

رآها حين دخل، كانت مُستيقظة، لكنها غير قادرة على الحركة، كانت الغُرفة مُظلمة، لكنه لم يكُن ظلامًا طبيعيًا، كان ظلامًا دامسًا من النوع الذي يتسلَّل للروح فيصيبها بالفزع، هكذا شعر الجد وهو يرى عيني حفيدته اللتين لمعتا وسط الظلام، وعلى الرغم من نظرة الخوف والرجاء التي تملأهما، إلا أنه كان خائفًا حقًا، لذلك تظاهَر بأنه لم يرَ شيئًا وهو يتراجَع ليُغلِق باب الغُرفة ويعود لغرفته فورًا.

توضأ بصعوبة ليلتها، صلى الفجر، قبل أن يجلس في فراشه مُرتعدًا، لم يعرِف سبب خوفه، لكن الظلام كان مُخيفًا، لم يخف يومًا من الظلام،

لكنه كان مُختلِفًا، في الصباح خرجت حفيدته من غرفتها مُتعَبة، سألوها عمّا بها؟ فأجابت بأنها شعرت ليلًا بثقل على صدرها يمنعها من الحركة أو من التنفُّس، حتى لمَّا حاولت أن تقرأ ما تيسَّر من القرآن الكريم، وجدت عقلها فارغًا ولسانها ثقيلًا، لكن هذا لم يكُن الشيء المُخيف، كان الشيطان الذي رأته يدخُل غُرفتها قبيل الفجر ليتطلَّع بها وعيناه مليئتين بالشر والحقد قبل أن يخرج من الغُرفة وتفقد هي وعيها هلعًا غير مُصدِّقة أنه لم يعتد عليها!

لم يعرِف الحقيقة سواه، لم يكُن شيطانًا.. بل كان عجوزًا خائفًا، لم ينظُر لها بشر وحقد.. بل نظر لها بخوفٍ وعجزٍ، لكنه لم يجرؤ على الإفصاح بالأمر.

نامت والدتها معها في سريرها في الليلة التالية، والتي تليها، والرابعة.. لكن شيئًا لم يحدث.

اطمأنت القلوب واستراحت الأنفس قليلًا، لكن الجد لم ينس ما رأى تلك الليلة، لذلك حين عادت الأم للنوم في غرفتها مرة أخرى، تاركة للصغيرة الغُرفة، قام لصلاة الفجر كما تعوَّد، ليلتها سمعها مرة أخرى، كانت تأن وتتأوَّه كأنها تتعذَّب، فتح بابها، سمعها تشهق، رأى نظرة الخوف التي لمعت في عينيها حين دلف إلى الغُرفة، تذكَّر ما قصَّت عن الشيطان الذي رأته يدخُل غُرفتها، تساءل هل تراه على حقيقته؟ أم تراه شيطانًا مريدًا؟ شعر بضرورة طمأنة قلبها الوجل قليلًا، علّها تهدأ وتستكين.

بصوتٍ هادئ حاول أن يطمأنها قائلًا: «أنا هنا يا صغيرتي، أنا جدو..»

لكنها شهقت وهي تنظر إليه، في تلك اللحظة تبيَّن الأمر، لم تكُن نظرة خوف ورجاء تلك التي سكنت عينيها، كانت نظرة شر لم ير مثله من قبل، نظرة حقد تسلَّل إلى روحه فملأها خوفًا لا حدود له، كان الشيطان

الحقيقي يسكُن في عينيها ، شعر تلك اللحظة بأنه يريد التخلُّص منها ، بأنه يريد نحر عنقها وهي عاجزة مُستكينة ، بأنه يريد القضاء عليها قبل أن تقضي عليه ، شعر بالفزع من تلك الأفكار التي احتلَّت كيانه ، والتي كان موضوعها الأساسي القضاء على صغيرته التي سكنت الشياطين عينيها .

استعاذ بالله واستغفره وهو يحاول التغلُّب على مشاعره ، خرج من غُرفتها وعاد لغُرفته ، تلك الليلة لم يُصلي ، لم يجرؤ على دخول الحمَّام من أجل التوضؤ ، فكَّر في الصلاة بغير وضوء لكنه تراجَع عن الفكرة سريعًا ، حين أتى الشروق وانتشر الضوء ، أخرج كتابًا كان قد أحضره معه وخرج ليقرأه في الشرفة ، لكنه لم يجد الكتاب كما توقَّع ، كانت السطور كُلها تُكرِّر جُملة واحدة مرارًا وتكرارًا

«عليك أن تتخلَّص منها قبل أن تتخلَّص هي منكم»

«عليك أن تتخلَّص منها قبل أن تتخلَّص هي منكم»

«عليك أن تتخلَّص منها قبل أن تتخلَّص هي منكم»

أغلق الكتاب وألقاه جانبًا ، قرَّر فتح التلفاز قليلًا ، حاول مُشاهدة فيلم كوميدي علّه يُخفِّف من حدة توتره قليلًا ، لكن كُل الأبطال كرَّروا نفس الجُملة مرة تلو الأخرى دون توقُّف:

«عليك أن تتخلَّص منها قبل أن تتخلَّص هي منكم»

«عليك أن تتخلَّص منها قبل أن تتخلَّص هي منكم»

«عليك أن تتخلَّص منها قبل أن تتخلَّص هي منكم»

أغلق التلفاز وألقى بجهاز التحكُّم بعيدًا ، حاول طرد الفكرة بعيدًا ،

لكنه ظل يغوص في أفكاره السوداوية دون أن يستطيع النجاة منها، تركهم في المنزل بمُفردهم وقرَّر أن يمشي قليلًا كي يصفي ذهنه، مشي دون هدى، غارقًا في خواطر شيطانية مُرعِبة، لم ينتبه للقدر الذي ابتعده عن المنزل سوى حين اصطدم بمجذوبٍ مُمزَّق الملابس، أشعث اللحية، الجنون يتراقص في عينيه مثلما تتراقص القذارة على محياه، جذبه المجذوب من ياقة قميصه بقوة، نظر في عينيه، استطاع أن يشم رائحة نفسه الكريهة، قبل أن يسمع المجذوب يقول: «افعلها.. خلِّص العالم من الشر»

تركه ورحل بعيدًا، سمع صوت عبوات المياه الغازية المعدنية المُعلقة في ملابسه وهي تتخبَّط مثلما تتخبَّط أفكاره ومشاعره، قرَّر العودة للمنزل، أراد الحصول على حمَّام دافئ، لطالما استطاع ترتيب أفكاره تحت قطرات وزخات الماء الدافئ.

عاد لمنزله، سمعهن تتساءلن أين كان ولماذا لم يأخذ هاتفه معه، لكنه لم يُكلِّف نفسه عناء الرد على أيهن، دخل إلى الحمَّام وخلع ملابسه قبل أن يدخُل تحت الماء، كان مُنهمكًا في التفكير للدرجة التي لم تجعله ينتبه لدرجة حرارة الماء التي بدأت تزداد تدريجيًا، أو للبخار المُتصاعِد الذي كاد يملأ المكان، وبالتأكيد كان مشغولًا للدرجة التي منعته من الانتباه لتغيُّر لزوجة الماء الذي أضحى لزجًا بشكلٍ لا يُصدَّق، قبل أن يبدأ لونه في التغيُّر ببطء شديد من الشفافية للون الأبيض فالوردي انتهاءً باللون الأحمر القاني.

حينها انتبه سيادة اللواء للأمر، كان يستحم بسيلٍ من الدماء، حاول إغلاق الماء لكن الصنبور أبى أن يستجيب له، استمرَّت الدماء في الانهمار على رأسه، حاول أن يمسحها عن وجهه كي يستطيع الرؤية، لكن الخوف اغتصب يده فأنجب منها رعدة لا تتوقَّف، والدماء ملأت عينيه، وجد نفسه يقف في حوض الاستحمام وسط الدماء التي لا تتوقَّف، مسح

الدماء عن عينيه مرة تلو الأخرى، وفي كُل مرة يشعُر كمن حرث البحر لتوه! لا تتوقَّف، بل كان يشعُر أنها تزداد، شعر بدفء إلى يساره قبل أن يشعر بمن يقترب منه، انتفض كالممسوس وهو يحاول التحرُّك من مكانه، لكن الخوف شلَّ حركته واتخذه آسيرًا، سمع همس غاضِب يقول: «هكذا ستسيل دمائكم، ما لم تُسل دمائها أولًا!»

كانت تلك هي المرة الأولى التي تسمعه فيها يصرُخ كفتيات المرحلة الثانوية، حاولت هي وابنتها كسر الباب، في النهاية استطاعتا ذلك بعد أن دفعا قليل من الكدمات وكثير من الألم في مُقابله، دخلتا لتجداه يقف في حوض الاستحمام يصرُخ، حاولتا تهدئته لكنه ظل يغمغم بكلمات عن أنه يجب أن يقتلها قبل أن تقتله، وعن سيل الدماء المُنهمر الذي لا يتوقَّف.

لكن الحمَّام كان عاديًا أمامهما، إلا من ماء ساخن لدرجة كبيرة، غيمة من البُخار الكثيف، وحروق خفيفة للغاية على جلده جرَّاء تعرَّضه للماء الساخِن، لكن من السهل علاجها بمُكعَّب ثلج وعبوة من دواء الـ (ميبو) الشهير، لفَّت زوجته منشفة كبيرة غطَّت الأجزاء الضرورية من جسده، بينما انطلقت ابنته إلى غرفته لتجهِّز له زيًا يرتديه قبل أن تُسجياه في الفراش وتغطياه بغطاء خفيف.

كان يرتعِد، عيناه مُعلقتان بالصغيرة التي وقفت على باب الغُرفة تتأمَّله بأعين مليئة بالسر، ابتسمت ابتسامة ساخرة حين لاحظت مدى خوفه، قبل أن تحرِّك شفتيها الصغيرتين لتكونان كلمة غير منطوقة

«الليلة»

قالتها وابتسامتها الساخرة تتسِع قبل أن ترحل من أمامه!

سألتاه - زوجته وابنته - طبعًا عن سبب صراخه، فقصَّ عليهما ما حدث، لكنهما أخبرتاه أن الحمَّام كان نظيفًا حين دخلتاه، وأنه من الصعب.. بل

من المُستحيل أن يُمحى أثر الدماء تمامًا بمثل هذه الطريقة، ناهيك عن استحالة نزول دماء عبر الصنابير من الأساس!

أعطته زوجته حبتين من الدواء دون أن تخبره عن ماهيتهما، واحدة كانت مُهدئ والأخرى كانت منوِّم، وتركتاه ليرتاح قليلًا، ظنتا أن هناك قضية ما تشغل باله أو أمر ما يقض مضجعه، تركتاه غارقًا في نوم عميق بصُحبتها، رآها تقتله عشرات المرات، وفي كُل مرة كانت تُغيِّر الطريقة.

ذبحته تارة، شنقته أخرى، وألقت به من عل في الثالثة، عشرات الميتات ومئات القتلات، وما زال يصعد إليها أو يعود لها لتُعيد قتله مرة أخرى، لم يستطِع الهروب منها، لم يستطِع الاستيقاظ.

سمع صوت صراخ زوجته وابنته، كان عاليًا مُرعبًا، تداخل مع كابوسه المُرعب، لم يعرف هل هو تابع للكابوس أم أن أمرًا آخرًا يحدث خارج نطاق عالم الأحلام، كان عليه أن يعرف، قاوم ثِقل جفنيه اللذان أصبح وزنهما أطنانًا، حاول الخروج من دوامة الدوار التي لا تنتهي، حاول الإفاقة.. لكنه لم يستطِع حقًا.

كان الأمر أقوى منه!

استمع لصرخاتهما التي لا تتوقَّف، يشعر بنفسه وكأنه يسير ليعود للصغيرة التي تعيد قتله بطريقةٍ جديدةٍ لم تُجربها مئات المرات السابقة، يشعر وكأن يديه تفعلان شيئًا لا يدركه، لكن الدوار قاتِل، والظلام دامِس، لا يكاد يفرِّق بين الحقيقة والكابوس، لا يعرف الفارق بينهما!

يريد أن يتقيأ! أن يلفظ جسده الخوف على هيئة عرق بارِد! يريد أن يغلِق عينيه! أن ينتهي كُل شيء!

توقَّف صوت الصراخ!

هل انتهى كُل شيء!

هل تنتهي الكوابيس!

سمع صوتًا آخرًا، لكنه لم يكُن صراخًا وبالتأكيد لم يكُن مُزعِجًا، كان صوت خوار، كأن أحدهم يحاول التنفُّس بفم ملىء بالماء!

ماذا تعني كلمة ماء! هل انتهى الكابوس!

استسلم للدوار، تقيأ بعُنف، هل تقيأ في الحقيقة؟ أم تقيأ داخِل كابوسه! أم تراه فعل الإثنين معًا؟

لا شيء! لا يشعر بشيء! لا يريد شيء!

يريد فقط أن يُغلق عينيه ويستسلِم للظلام، الأمر مُريح!

مُريـــــح!

***

انتفض جسده بغتة، اهتزَّ رأسه بفعل الصداع، أغلق عينه اليُسرى وهو يعض على لسانه، الألم قوي لا يُحتمَل، حاول فتح عينيه لكنهما لم تعتادا الضوء بعد، رفع يده ليُغطي بها عينيه ريثما تعتادا الظلام، لكن اللون الأحمر نَجح في لفت نظره على الفور، كانت يداه ملوثتان بلونٍ أحمرٍ قاتم، أم تراه.. أم تراه دمًا؟

لكن المُرعِب في الأمر أنهما لم تكونا يديه فحسب، كان كُل شيء مصبوغًا باللون الأحمر، للدرجة التي جعلته يتساءل هل يحمل جسد المرء منا كُل هذا الكم من الدماء بداخله؟

توقَّف وهو يقاوم الدوار، وجد نفسه في غُرفة نوم الصغيرة، ألم ينم في غُرفته وعلى فراشه؟ كيف أتى إلى هنا؟ وما هو مصدر كُل تلك الدماء؟

والأهم.. لماذا تُغطيه الدماء بأكمله بهذا الشكل؟

ترنَّح سائرًا ليكتشف ما حدث، لكن بمُجرَّد أن فتح باب الغُرفة حتى وجد مشهدًا لن ينساه أبد الآبدين، كانت جُثة زوجته مسجاة على منضدة السُفرة، مشقوقة طوليًا من رقبتها وحتى منفرجها، بينما تناثرت أعضائها الداخلية من حولها بعشوائية وحشية، بينما كانت ابنته مشنوقة في مروحة السقف، بينما تترنَّح جُثتها التي صبغها الموت باللون الأزرق ذهابًا ومجيئًا، كانت مشقوقة طوليًا بدورها بينما تتدلى أحشائها للخارج، المكان مصبوغ بأكمله بدماء لم يعرف أيهما دماء زوجته وأيها دماء ابنته، أما الصغيرة.. فلا أثر لها!

بحث عنها كالمجنون الذي يبغي انتقامًا لا يعرف كيف سينفذه، لكنه لم يُفكِّر كثيرًا في حيثيات الأمر، كان كُل ما يشغل باله في الوقت الراهن هو أمر واحد فقط لا غير، أن يعثُر عليها أولًا، وليأتي كُل شيء آخر بعد ذلك!

لكنها تبخَّرت، لم يجد لها سوى أثر واحد، أثر لكف دموي صغير كان موجودًا على السقف، بجوار مروحة السقف التي شُنِقَت عليها والدتها، بخلاف هذا الأثر.. لم تكُن موجودة!

حتى يومنا هذا ما زالت الفتاة مفقودة، أما سيادة اللواء فتحوَّل لمجذوب أسير غُرفة صغيرة في إحدى المصحَّات النفسية الشهيرة خارج حدود الدولة، ولا ينفك يتحدَّث عن الفتاة الصغيرة الآتية لتقتله!

***

أنهى أكرم حديثه وهو يمسح دمعة تسلَّلت لعينه، لم يفهم هادي المغزى من الأمر، لم يفهم حقًّا لماذا قصّ عليه أكرم تلك القصة الطويلة؟

ليس لأنه لم يتعاطَف معه، بالعكس.. فقد الرجل زوجته، ابنته، حماته، وجن حماه، كان ينظر في عيني رجل خسر كُل شيء ورغم هذا ما زال يتنفَّس ويتحرَّك كأن شيئًا لم يكُن، رجل بقوة جبل وبرودة أعصاب قارة جليدية، لم يستطع هادي أن يضع نفسه مكانه ولو مجازًا حتى!

سأله برفقٍ: «لماذا قصصت عليّ الأمر؟»

قال أكرم بدهشة: «توقَّعت أن تفهم مغزى الكلام دون أن أحتاج للمزيد من الشرح!»

شعر هادي بالإحراج قليلًا، قال مُعتذرًا وقد شعر بالحنق: «أنا آسف.. لكن هناك ما يشغل بالي!»

تنهَّد أكرم وهو الأمر الذي زاد من حنق هادي حقًّا وهو يقول: «المغزى أن والدك لم يكُن الوحيد الذي قدَّم تضحيات من أجل عمله، أنا أيضًا قدَّمت تضحيات من أجل عملي، وأنت ستُقدِّم تضحيات من أجل عملك، هذا ديدن الشُرفاء، أنا خسرت كُل شيء فيما مضى وكُنت ضعيفًا للغاية.. لم أستطِع فعل أي شيء، والآن خسرت صديقي المُقرَّب.. لكنني لم أعُد ضعيفًا يا هادي، تأكَّد أنني سأفعل كُل شيء من أجل والدك، من أجل إثبات أن والدك لم يكُن خائنًا، ثق بي!»

قال هادي بكثيرٍ من الغضب هذه المرة: «هل قصصت عليّ كُل هذه القصة من أجل أن تخبرني أن والدي لم يكُن أحسن منك؟ وأنه مثلما قدَّم تضحيات قدَّمت أنت تضحيات؟ هل تظن أننا في مزاد هنا؟»

اندهش أكرم لثورة غضب هادي قبل أن يقول مُدافعًا عن نفسه: «لم

أقصد هذا، كُل ما قصدته أن تثق بي فقط»

دفعه هادي بغضب وهو يقول : «كيف أثِق بك وأنت نفسك خائن؟»

انعقد حاجبي أكرم في دهشة وهو يقول: «أنا.. خائن!»

دفعه هادي مرة أخرى وهو يقول: «أولم تخُن عملك وتخُن منصبك عندما دخلت غُرفة ليلى؟ ألم تخُن كُل شيء حين أقمت علاقة مع مُستجدة؟ أهذا النوع من العلاقات مسموح به ومُباح؟ ألا تعتبر تلك خيانة لكُل شيء؟ لعملك؟ لكُل شيء دافعت عنه؟»

صمت أكرم وهو ينظر في عينيه، الغريب أن الغضب لم يكن خيارًا مطروحًا لدى أكرم، لم يكن يعرف أن سرهما انكشف، فكَّر في كثير من ردود الفعل، لكنه خشي دائمًا انكشاف السر، للمرة الأولى يستسلم لشهوته، وللمرة الأولى يجد نفسه محاصرًا في ركن مُظلِم دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه!

تفعل الشهوة بالمرء ما تعجز عن القيام به أشر الشياطين!

تنفَّس بهدوء قبل أن يقول وقد انخفضت نبرة صوته قليلًا : «حسنًا.. أنت مُحِق، كان هذا نوعًا من الخيانة، لكن الأمر مُختلِف، لن أدافِع عن نفسي أو عن ليلى، أستأذنك فقط أن تنتظِر إلى أن نُثبت براءة والدك من تُهمة الخيانة وسأتقدَّم للإدارة باستقالتي شاملة كُل التفاصيل»

قال هادي وقد أدرك أنه ضرب وترًا حساسًا في نفس أكرم: «ليس هذا ما أريد، جُل ما أردته فقط هو..»

وقف أكرم وهو يقول: «أعرف كُل شيء، أتفهَّم الآن موقفك تمامًا، أتفهَّم السبب الذي دفعك للقيام بكُل هذا.. أنت لم تثِق بي بسبب ما حدث،

وأنا أعترف.. أنا أستحِق الأمر، لكنني أعدك أنني سأذهب للحديث مع المُحقِّق في الصباح الباكِر، وسأضم تحقيقي السري وكُل ما وصلت إليه مع تحقيقاته وسأتولى الأمر بنفسي من هناك»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «وصدقني.. لن يهدأ لي بال إلا عندما أنجح في مسعاي»

لم ينتظِر ردًا من هادي، خرج من المكتب متوجهًا لغُرفة الاجتماعات المجاورة له، رآه هادي يخوض نقاشًا هادئًا مع المُدير الذي نَظَر صوب هادي أكثر من مرة قبل أن يهز رأسه في دلالة على الموافقة على طلب أكرم الذي شكره وعاد مرة أخرى إلى هادي قائلًا: «حصلت على موافقة المُدير، اذهب الآن لتحظى بقسطٍ من النوم، فالغد سيكون يومًا مُختلِفًا»

لم تكُن مُجرَّد جُملة عادية، بل كانت نبوءة!

سيكون الغد يومًا تتغيَّر فيه كُل الأمور!

عاد هادي لغُرفته بعد أن ودَّع ليلى واعتذر لها على ما ورَّطها فيه، نام بملابسه، كان مُتعبًا ويحتاج لنومٍ عميقٍ.

لكنه استيقظ في الصباح على صوت سارينة الإنذار الخاصة بالحديقة، كانت تدوي بصوتٍ عالٍ لتُخبر الجميع أن أمرًا جللًا قد حدث، صاحبها صوت طرقات عنيفة على بابه، قام مُترنحًا وآثار النوم ترفض الرحيل عن عينيه، فتح الباب فوجد أحد الجنود والذي يعرفه جيدًا يقف مُرتبِكًا على بابه، سأله وقلبه يكاد يتوقَّف هلعًا: «ماذا حدث؟»

أجابه قبل أن يرتجِف جسده بشدة: «وجدوا أكرم باشا مقتولًا!»

(12)

كانت الإدارة تضج بالفوضى، يتحرَّك رجال الأمن في كُل مكان، وعلى محياهم يبدو التوتُّر ممزوجًا بالارتباك، ما حدث في الحديقة لم يكُن أمرًا هينًا على الإطلاق، كان أمرًا لو حدث في أي وقت عادي.. سيكون أمرًا كارثيًا، أي إدارة تعجز قوات أمنها عن منع جريمة قتل داخل أسوارها، لا تستطيع حماية العالم من الشياطين واحتواء شرورهم في أقفاصها، ناهيك عن حدوث الأمر في وجود مُفتِّش ومُحقق يقوم بتحقيق رسمي بخصوص اتهام أحد أشهر العاملين بها بتُهمة الخيانة العُظمى.

وقف مُدير الإدارة في مُنتصف ساحة الإدارة يتحدَّث مع المُفتش الذي كانت تظهر عليه علامات الغضب، بينما كان مسؤولو الوحدات والأقسام يجمعون السرايا والكتائب في طوابير وصفوف تقف في انتباه انتظارًا لأي أوامِر جديدة، كاد هادي يتحرَّك نحوه سريعًا ليتحدَّث معه قليلًا علّه يفهم ما يحدُث، لكن نظرة الشر التي التمعت في عيني المُفتِّش حين تلاقت عيناهما جعلته يحيد عن هذه الفكرة ويغيِّر رأيه سريعًا.

منذ عرف بالأمر، قرَّر التحرُّك إلى غُرفة ليلى قبل كُل شيء، المسكينة لن تجرؤ على أن تظهُر حزنها للجميع وإلا انكشفت علاقتهما السرية، كما أنها لا تملك صديقًا سواه تسر له بمكنونات نفسها وما يعتمِر في روحها، وكما توقَّع.. كانت مُنهارة في البُكاء، يرتجف جسدها كعصفور صغير وجد نفسه في مهب رِيح عاصِفة، احتاج للقليل من الوقت ريثما استطاع مُساعدتها على التغلُّب على مشاعرها والسيطرة على حُزنها، وحين اطمأن أنها تماسكت قليلًا، قرَّر أن يساعدها في الخروج لمعرفة ما يحدُث.

أشار لليلى أن تتحرَّك سريعًا لتقف بين صفوف المُستجدين، بينما تحرّك

هو سريعًا ليقف بين أبناء دفعته، بحث بعينيه عن أكرم بحُكم العادة قبل أن يُدرِك أنه لن يراه مرة أخرى، وهو يشعر بغصّة مرارة في حلقه، مد يده ليمسح دموعًا كادت أن تسيل من مقلتيه.

رمقه المُفتِّش بنظرة غضب أخرى، شعر بقلبه يؤلمه قليلًا وهو يهمس لنفسه: يبدو أن الكراهية هي نصيبك من الدنيا في الوقت الحالي يا ابن طاهر!

نظر له الواقف بجواره ظنًا منه أنه يُحدثه، لكنه وجد هادي شاردًا كأنه لا يدري بوجوده أصلًا، فعاد للنظر أمامه مرة أخرى، بدا المُفتِّش مُنفعلًا وهو يُشيح بيده في وجه المُدير الذي انعقد حاجباه دلالةً على أنه لم يعُد يحتمِل تصرُفات هذا المُفتِّش، راقبه وهو يرحل بخطواتٍ سريعةٍ قبل أن يقف في مواجهة الجمع الذي وقف في انتظاره.

كُتِمت الأنفاس وازداد توتُر الأجساد، سعل وكأنه ينظِف حلقه قبل أن يقول: «كما عَرِف أغلبكم.. تمُر الحديقة بظروف استثنائية بسبب التحقيق الرسمي الذي يُجرونه هنا، لكن اليوم.. حدث شيء آخر، أمر طارئ غير مُصرَّح لكم بمعرفته في الوقت الحالي، لكنه أمر جلل، وبالتالي.. تُفرض حالة الطوارئ بشكلٍ رسمي على جميع الموجودين في الإدارة، الأجازات ممنوعة في الوقت الحالي لحين إشعار آخر ولأجلٍ غير مُسمى، يُستدعى جميع الموجودين في الخارج في مأموريات كانوا أو في أجازات أو حتى مبيت، ممنوع منعًا باتًا كتابة أو تصريح أي شيء يدور داخل الحديقة لأي شخص موجود بالخارج حتى زوجاتكم، أزواجكن، أو أمهاتكم، على أن تسير كافة التجارُب، المشاريع، الخطط، والأعمال الإدارية بشكلٍ رسمي تحت قيادة المسؤولين عن إدارتها، غير مسموح بالأسئلة، ومن يُخالِف هذا الأمر سيُعرِّض نفسه للمُساءلة وللجزاء القانوني، ولتعلموا أنني جاد تمامًا بشأن هذا الأمر»

أنهى كلمته وهو ينظر للموجودين جميعًا في صرامةٍ، أعطاهم فرصة مُمثَّلة في بضع دقائق من الصمت التام ليتبيَّنوا جديَّته وصرامته، قبل أن يقول بصوتٍ أجش: «انصراف»

ومن طرف خفي أشار لهادي وليلى أن يتبعوه دون أن يلفتوا أنظار الموجودين من حولهم، وهو الأمر الذي كان صعبًا للغاية، لأن الموجودين وقفوا في أماكنهم بعد أن تشكَّلوا في هيئة مجموعات صغيرة مُنهمكين في مُناقشة ما سمعوه للتو.

انسحب هادي بصعوبة هاربًا من حوار مليء بالإشاعات والتكهُّنات وهو يتوجَّه نحو ليلى التي كانت تحاول الهروب بدورها لكنها كانت أتعس منه حظًا، اقترب منها وهو يربت على ذراعها برفقٍ قائلًا: «آنسة ليلى.. هل تسمحين لي بكلمةٍ على انفراد؟»

استأذنت من الموجودين من حولها قبل أن تنسحِب وهي تمشي بجواره، همس لها وهما يتوجَّهان نحو مبنى الإدارة: «تظاهري أننا نتحدَّث بشأن أي شيء حتى لا نُثير الشك»

ارتبكت قليلًا قبل أن تهمس: «أي شيء؟»

نظر نحوها بطرف عينه وهو يقول: «أجل.. أي شيء»

ظهرت عليها علامات الارتباك، احمرَّ وجهها وبدت وكأنها لا تعرف أي شيء لتتحدَّث معه بشأنه ريثما يصلوا!

نظر إليها بدهشة وهو يقول: «حقًا؟»

ترقرقت دموع الاحراج في عينيها وهي تقول: «لا أعرِف.. لا أعرِف»

شعر بتوتّرها، كان يُقدِّر مشاعرها حقًا في هذه اللحظة، فقد كلا

منهما للتو رجلًا كان مهمًا في حياته، مُرشده ومثله الأعلى، وعشيقها أو حبيبها أو أيًا كان مُسمى العلاقة بينهما، حاول أن يهوِّن عليها، سألها في محاولة لتشتيت فكرها قليلًا: «كيف عرفتِ بشأن ما حدث؟»

قالت له سريعًا: «لم أستطِع النوم طوال الليل، حاولت الاتصال به مرارًا وتكرارًا، لكن هاتفه كان دائمًا إما مُغلقًا أو خارج التغطية، تذكَّرت أنه قال إنه سيجتمع بالمُفتِّش، فظننت.. ظننت أنه..»

تهدَّج صوتها فقرَّرت الصمت في محاولة لاحتواء مشاعرها، قبل أن تُقرِّر أن بإمكانها استكمال حديثها فقالت: «في النهاية استجاب الهاتف لمحاولاتي، لكن الشخص الذي أجابني لم يكُن أكرم، كان المُدير.. أخبرني بما حدث وطلب مني أن أنتظِر في غرفتي ريثما أهدأ وأتماسك، بينما سيُرسِل هو من يُخبرك بالأمر، كما أنه طلب مني أن ننتظِر قليلًا إلى أن ينتهي اجتماعه مع الإدارة قبل أن يجتمع بنا في مكتبه»

تنهَّد في محاولة لطرد المشاعِر السلبية التي تراكمت داخِل روحه قبل أن ينظر لها وهو يقول: «هل أنتِ بخير؟»

تردَّدت قليلًا قبل أن تهز رأسها نافية وهي تقول: «لا!»

ابتسم في حُزن وهو يقول: «أنا هنا من أجلك»

ابتسمت بصعوبة وهي تقول: «أعرف»

بمُجرَّد أن انتهيا من حديثهما، وجدا نفسيهما أمام سكرتير المُدير، وقبل أن ينبس أيهما ببنت شفة وجدا السكرتير يقول لهما في سُرعة: «المُدير في انتظاركما»

تنفسا ونظرا لبعضهما البعض قبل أن يفتحا باب المكتب ويدلفا إليه

سريعًا!

رائحة العطر كانت نفَّاذة لدرجة تحرِق العيون، ضاق صدريهما به فسعلت ليلى في خفوتٍ، بينما تأفَّف هادي لها همسًا في محاولةٍ منه ألا يلحَظ المُدير ضيقهما، كان المُدير في انتظارهما بالداخِل، تبدو عليه إمارات التوتُّر المُمتزجة بضيقٍ لا حدود له، سأله هادي سريعًا: «حضرة المُدير.. ما الذي حَدَث؟»

أجابه وهو يجلِس على مقعده: «لا أعلَم، حتى الآن لا نعلم يقينًا ما حدث!»

زفر في حنقٍ قبل أن يُدرِك أنهما لا يعرفان شيئًا ويحتاجان للقليل من التفسير، اعتدل على مقعده وهو يقول: «ذهب للحديث مع المُفتّش من أجل محاولة إقناعه بدمج التحقيقان معًا - الرسمي والسري - على أن يُساعِده أكرم في تولي التحقيقات، كان من المُفترض أن يعود ليُخبرني بما دار بينهما والامَ توصلا، انتظرته كثيرًا لكنه لم يعُد، حاولت الاتصال به لكن هاتفه كان مُغلقًا أو خارِج التغطية، وهو - والحق يُقال - كان أمرًا غريبًا، لكنني لم ألقِ بالًا ولم أهتم كثيرًا، ظننت أنه ربما احتاج للهدوء والتركيز فقام بإغلاق هاتفه، لكن الأمر استمرَّ حتى الصباح، وهو الأمر الذي لم أعُد أحتمله، كون هذا المُفتِّش الـ..»

صمت قليلًا ليبتلِع غضبه قبل أن يستكمِل: «كون هذا المُفتِّش يضغط على أعصابي بغطرسته وتشكيكه في أساليب إدارتي للمكان، طلبت من مسؤول الأمن ليلة الأمس أن يذهَب للبحث عن أكرم، وكما تعرفون.. فمسؤولي الأمن لديهم صلاحية كاملة للوصول لأي مكان في الإدارة، بعد عدة ساعات اتصل بي وطلب مني الحضور لواحدة من غُرف الاجتماعات، حاولت أن أفهم سبب استدعائي.. لكنه صمَّم على حضوري لأرى بنفسي، وهو الأمر الذي كان غريبًا»

صمت قليلًا مانحًا لنفسه فرصة لالتقاط الأنفاس، قبل أن يستكمل: «كانت غُرفة الاجتماعات في حالة فوضى غير طبيعية، المنضدة مُهشَّمة لمجموعةٍ من القطع الصغيرة، وجميع قطعها محترقة بالكامِل، بينما مقاعدها مُتناثرة في الأركان مقلوبة رأسًا على عقِب، جدران الغُرفة كانت مُغطَّاة تمامًا بالسُخام الأسود الثقيل، بينما سقفها كان يبدو وكأنه محروقًا بدوره، كأن نارًا مسَّته فأحرقت سطحه وهو الأمر الغريب، كون الأرضية كانت سليمة تمامًا، في مُنتصفها وجدنا جُثة أكرم، كان رأسه مقطوعًا وموضوعًا فوق صدره، بينما رُسِمت من حوله دائرة بسائلٍ أسود لزج، ما زال رجالنا في المعامل يحاولون التكهُّن بنوعه، بينما تهشَّمت عظامه ليرسم بها ما قتله -أيًا كان- شكلًا أشبه بنجمة خُماسية، لكنها في تلك الحالة كانت رُباعية فحسب، توزَّعت أطرافه الأربعة في الأنحاء ليرسم قاتله بجسده نجمة شيطانية، كان هاتفه مُلقى أرضًا مُلطَّخ بنفس السائل الأسود اللزج، حاولت فتحه فوجدته يعمل بشكلٍ طبيعي، في الوقت نفسه اتصلت ليلى، فأخبرتها بما حدث وأخبرتها أننا بصدد استدعائك قبل أن نبدأ بشكلٍ رسمي حالة الطوارئ في الإدارة بأكملها»

استمع إليه هادي بحرصٍ حتى انتهى من حديثه تمامًا قبل أن يُعقِّب قائلًا: «هل قُلت ما قتله؟ لماذا لم تقُل من قتله؟ هل تشُك في أن قاتله ليس من البشر؟»

هزَّ المُدير رأسه سريعًا وهو يقول: «لا، أنا لا أشُك، أنا مُتأكِّد أن قاتله ليس بشريًا، ما رأيته بأم عيني له معنى واحد فقط، أن قاتله ليس بشريًا، وكذلك ليس شيطانًا عاديًا»

لم يعُد هناك فائدة من تجاهُل الفيل الموجود في الغُرفة، كان لابُد من طرح السؤال، لذلك لم يتردَّد هادي لحظة وهو يسأل: «ماذا عن كاميرات المُراقبة؟»

تنهَّد المُدير وهو يقول: «جميع كاميرات المُراقبة في الطريق المؤدي لغُرفة الاجتماعات المشؤومة تلك توقفت عن العمل فجأة، ولم تعُد للعمل مرة أخرى سوى بعد انتهاء الأمر برُمّته، وهو السبب الذي يجعلني أتأكَّد من كونه شيطانًا وليس بشريًا!»

تبادل هادي نظرة ذات مغزى مع ليلى قبل أن يقول: هل لي أن أعرف لماذا تم استدعاؤنا إلى هنا؟

نظر إليه المُدير للحظة قبل أن يقول: «كما تعرفان.. أكرم كان الضابط المسؤول عن التحقيق السري وعن إبراء ذمة طاهر، والآن.. قُتِل أكرم، والشخص الوحيد الذي أشك فيه هو المُفتش، لقد كونت نظرية لا بأس بها هنا، لكنني أحتاج لمساعدتكما كي أثبتها»

تبادلا النظرات مرة أخرى قبل أن يقول هادي في غير فهم: «حضرتك تشُك في كون المُفتش قتل أكرم، وتحتاج لمن يُساعدك في إثبات الأمر، ومن أجل القيام بذلك قرَّرت الاستعانة بمُستجدَّة وموقوف عن العمل؟ ألا تظن أنها خطة.. ربما تكون سيئة؟»

قال المُدير: «صدر قرار بوقف التحقيقات وعودتك إلى العمل بشكل رسمي هذا الصباح، لكن لتعرفا أنني استعنت بكما لسببين، أولهما أنكما كُنتما أقرب شخصين لأكرم - رحمه الله - بصفتكما صديقه الأقرب في الوقت الحالي وحبيبته»

أنهى كلمته بنظرةٍ ذات مغزى صوَّبها نحو ليلى التي شعرت بقليلٍ من الإحراج وهي تحاول تجنُّب نظراته، لم تحاول أن تُدافِع عن نفسها، لم تشعُر أنها فعلت شيئًا خاطئًا، لكنها شعرت بالإحراج كون سرهما قد انكشف، وبكثيرٍ من المرارة كون أكرم لم يكُن موجودًا من أجل الدفاع عنها.

سـأل هـادي المُديـر بفضـول: «حضرتـك قُلـت إن لديـك نظريـة مـا تحتـاج لمُسـاعدتنا مـن أجـل اثباتهـا، هـل لـي بمعرفتهـا؟»

أشـار لهما المُدير أن يجلسـا في المقعدين الموجودين أمام مكتبه وهو يقول: «حَضَـر المُفتِّش إلى هنا فجأة ليُخبرنا بوجود نشـاط روحانـي كبير غير مُفسَّـر داخل الإدارة، واتهم طاهـر -رحمه الله- أنه خان قوانين المكان وأحضـر شيطانًا إلى هنا من أجل القيام بمؤامرةٍ ما، وهو الأمر الذي لم نُصدِّقه يومًا، كان طاهـر من أفضل وأنزه الموظفين هنا، لذلك أمرت أكرم بالعمل في تحقيقٍ سـري، وهـو الأمـر الـذي قُتِل حين أفصح عنـه، لنفس الشـخص الـذي أشك فيه منذ البداية، أنا أشك في كون المُفتِّش مسؤولًا عن كُل هذا بطريقةٍ أو بأخرى، وأحتاج لمُساعدتكما في بدأ تحقيـق سري جديد حول هذا المُفتِّش، أريد أن أعرف عنه كُل شيء، وبكُل شيء أقصد كُل شيء حرفيًا، بدايةً من اسمه وسنه، انتهاءً بوجبته المُفضلة ومقاس سرواله الداخلي»

فتح دُرج مكتبه وهو يُخرج سوارين إليكترونيين، أعطى سوارًا لكُل منهما وهو يقول: «هذه أسورَة خاصة بدخول كُل الأماكن في الإدارة، مهما كانت حالة الأمن، ومهما كانت الظروف، استخدماها.. علها تُسهّل مهمتكما بعض الشـيء»

ارتـدى كُل منهمـا سـواره قبل أن يودعا المُدير ويستأذناه للخـروج، أغلقت ليلى الباب من خلفهمـا، وقبل أن تتحرَّك من مكانها قيد أنملة، قالت في يأسٍ: «تلك مُهمة صعبة للغاية، أظن أنه لا قِبل لنا بها!»

ابتسم هادي قبل أن يقول وهو ينظر إلى سواره: «أما أنا.. فأعرِف أننا خُلقنا من أجل هذه المُهِمَّة، أعرِف من أين سنبدأ! هيا بنا!»

***

نظر لهما الجُندي المُكلَّف بخدمة بوابة مقر الأمن بشكٍ للحظات، قبل أن يرمق هادي بنظرةٍ مليئة بالكراهية، أخبرته عن أنه يعلم جيدًا ما فعله بزميله، قبل أن يطلب منهما بطاقات التعريف الخاصة بهما، أخرجت ليلى بطاقتها وأعطتها له بينما بحث هادي قليلًا عن بطاقته فسأله الجُندي ساخرًا: «هل تريد مني أن أذهب لأبحث عنها في غُرفتك؟ ربما تكون بجوار الدواء!»

كاد هادي أن يجيبه ساخرًا بأنه لا يأتمنه على الذهاب لغُرفته، لكنه فضَّل ألا يبدأ صراعًا جديدًا، وأن يكتفي بكم الكراهية التي اكتسبها خلال الفترة القليلة الماضية، وجد محفظته في جيبه الداخلي، فأخرجها وأعطاها للجُندي الذي نظر فيها قليلًا قبل أن يُمسك جهاز اللاسلكي المُعلَّق في جانبه وهو يقول: «ألفا، هل تسمعني؟ أنا دلتا!»

سمعوا جميعًا الصوت المعدني وهو يجيبه: «أسمعك بوضوح يا دلتا، ما الأمر؟»

نظر لهما الجُندي مرة أخرى قبل أن يقول: «حالة د - 22، في المُعتاد كُنت لأسمح لهما بالأمر، لكننا الآن في حالة طوارئ»

أتاه الرد بعد لحظات: «مفهوم يا دلتا، كم عددهم؟»

«اثنان، أرقام بطاقات التعريف كالتالي: هـ ط **232445** - ج **2**، ل ع **232567** - ج 1»

كان هادي يفهم كافة الرموز التي قيلت، لكن ليلى لم تكُن تفهم شيئًا، وهو الأمر الذي شعر به، فمال نحوها هامسًا، حالة د - **22** معناها حالة دخول لمكان غير مُصرَّح لنا بالتواجُد به، أما الحروف التي تسبِق أرقامنا التعريفية هي الحروف الأولى من أسمائنا، حرف الـ ج الموجود في الآخر يُشير لكلمة جيل، أنا من الجيل الثاني لأن والدي كان من العاملين

في الإدارة، أما أنتِ فمن الجيل الأول»

رمقهما الجُندي قبل أن يسألهما: «هل انتهت المحاضرة؟»

احمرّ وجه ليلى خجلًا بينما ظهرت علامات الغضب على وجه هادي وهو يهز رأسه، سأله الجُندي: «ما هو سبب الدخول؟»

أجابه هادي: «فحص كاميرات المراقبة»

« من أجل؟»

« أمر سري»

قالها هادي وهو يُشير له على السوار المُعلّق بيده، أمسك الجُندي بجهاز يُشبه الماسح الإليكتروني من جواره وهو يمرّره على السوارين، ظهر لون أخضر على الشاشة الصغيرة المُلحقة به ومن تحتها ظهرت كلمة: «مُصرَّح له بالدخول»

أمسك باللا سلكي مرة أخرى وهو يقول: «كُل شيء على ما يُرام يا ألفا»

أتاه الصوت عبر الجهاز وهو يقول: «حسنًا، اسمح لهم بالعبور»

علّق الجهاز في حامله مرة أخرى، أعطاهما بطاقات التعريف قبل أن يميل على أذن هادي هامسًا: «أنا أراقبك، وأنتظر اللحظة المُناسبة للانقضاض»

قبل أن يبتسم وهو يعتدل في مكانه، سألهم في جدية: «هل تحملان أي أسلحة؟»

هزّا رأسيهما بالنفي، سمح لهما بالعبور وهو يُشير لهادي على عينيه

في دلالة على أنه يُراقِبه، عبرا البوابة الزجاجية وتوجها فورًا نحو قسم الأرشيف الموجود في المبنى، وهو القسم الذي يحتفظ بنُسخة من كُل تسجيلات كاميرات المُراقبة بينما تُرسل التسجيلات الأصلية لقسم الأرشيف المركزي من أجل رفعها على سيرفر المُراقبة العالمي، همست له ليلى وهي تتبعه: «ماذا نفعل هنا؟ ألم يخبرنا أن كاميرات المُراقبة توقَّفت عن العمل؟»

نظر لها وشبح ابتسامة خبيثة تتراقص على شفتيه قائلًا: «الكاميرات العادية توقَّفت عن العمل»

رفعت حاجبيها في دهشة وهي تقول: «وهل هنالك كاميرات غير عادية؟»

وقفا أمام مكتب بعينه وهو يقول: «انتظري وسترين كُل شيء»

دقَّ بيده على المكتب فانتبه له الموظَّف الذي كان مُنهمكًا في قراءة تقرير ما، نظر له وسأله: «صباح الخير. ما الأمر؟»

أشار هادي بإصبعه نحو سواره وهو يقول في فخر: «نريد تسجيلات الكاميرات الخاصة فورًا»

سأله الموظَّف وهو ينظر إلى السوار: «ما هذا؟»

ابتسم هادي في زهو وهو يقول: «سوار خاص للغاية»

رفع الموظَّف كتفيه بلا مُبالاة وهو يقول: «مبروك، هذا شيء لا نحتاجه هنا، مُجرَّد عبورك للبوابة ووصولك إلى هنا يعني أن لديك تصريحًا وهو الأمر الذي يكفيني من أجل تلبية طلبك»

شعر هادي بالحرج وهو يقول: «حسنًا، أعتذِر.. أحتاج لمُشاهدة تسجيلات الكاميرات الخاصة»

سأله الموظَّف: «هل تريد مُشاهدتها هنا أم تريد الأسطوانات المُدمجة؟»

رغم أن السؤال ذكره بسؤال العاملين في المطاعم إلا أنه قاوم ابتسامته وهو يقول: «هنا من فضلك، لكن من المُمكِن أن نحتاج لتسجيل مُعيَّن على أسطوانة مُدمجة»

ابتسم الموظَّف للمرة الأولى وهو يعطيه بطاقة مغناطيسية قائلًا: «المكتب رقم 76، ستجد هناك كُل ما تحتاجه، رفعت لك الملفات كاملة على السيرفر، مرر البطاقة فقط أمام الماسِح لتُتاح لك وتبدأ عملية المُشاهدة، حدِّد المقاطع التي تُريدها وأرسلها لي عبر السيرفر وسأضعها على أسطوانة من أجلك»

شكره هادي، قلما وجدوا هذا اللُطف في الوقت الراهِن، توجها بخطواتٍ سريعةٍ نحو المكتب المنشود، قبل أن يبدأوا عملية المُشاهدة قرَّر أن يمنح ليلى قدرًا كافيًا من المعرفة أولًا، التفت إليها وبدأ في الشرح: «الكاميرات الخاصَّة هي كاميرات تصوِّر بالأشعة الكهرومغناطيسية، وتحلِّل الترددُّات الحركية بين الموجات من أجل الحصول على صورة، ربما تكون غير واضحة بشكلٍ كبيرٍ لكنها كافية لتعرفيهم من وسط الجميع»

سألته في فضولٍ واهتمام: «أعرفهم؟ من هم؟»

قال مُزهوًا بمعرفته: «الشياطين الطليقة خارج أقفاصها، طوَّروها للمرة الأولى في الماضي حين كانت الأقفاص أضعف من الموجودة في الوقت الراهِن من أجل معرفة أماكِن الشياطين التي تهرب من أقفاصها والقبض عليها قبل أن تُسبِّب أية مشاكِل»

سألته مرة أخرى: «الأمر إذًا أشبه بكاميرات الرؤية الليلية، لكنها بدلًا من قياس درجة حرارة الأجسام، تقيس الترددُّ الموجي في المحيطات؟»

ابتسم مُعجبًا بقُدرتها على الشرح بتلك البساطة قائلًا: «بالضبط، تمامًا»

نظرت نحو الشاشة الكبيرة التي تحتل نصف حائط وهي تقول: «حسنًا، لنبدأ الأمر»

مرَّر البطاقة على الماسح، فظهرت الفيديوهات أمامه، اختار بطبيعة الحال الكاميرات الخاصة بالمبنى الذي حدثت فيه الجريمة، وهو ذات المبنى الذي كان مُحتجزًا فيه بصُحبة ليلى في مكتب المُدير، زاد من سُرعة التسجيلات، ظهرت أمامه شاشة سوداء غير واضحة لكن لا شيء مُميَّز فيها، لكن بمرور الوقت ظهرت نُقطة حمراء باهتة وبدأت تتحرّك أمامهما على الشاشة، شهقت ليلى وقد أدركت أنها ربما.. فقط ربما تُراقِب قاتِل أكرم.

لكن النُقطة الحمراء دلفت لواحِد من المكاتِب الخاصة، اختفت داخله قليلًا، قبل أن تخرج وتدلف لنقطة مجاورة، وبعدها بقليلٍ تعود للدخول للمكتب الأول مرة أخرى.

وقف هادي وعيناه مُتسعتان، ارتعد جسده قليلًا وهو يهمس: «مُستحيل!»

لم تفهم ليلى الأمر، سألته بغير فهم: «ما الأمر!»

أشار لها نحو الشاشة وهو يسألها: «ألم تفهمي الأمر بعد؟»

هزَّت رأسها نافيةً عن نفسها الفهم، اتسعت عيناه وهو يقول: «فكّري في النمط الذي يتحرَّك به هذا الشيطان؟ ألا يُذكِّرك بشيء؟»

امتلأت عيناها بالبلاهة وهي تهز رأسها، عض على شفتيه في غضب وهو يقول: «هل نعرف شخصًا في الحديقة دخل إلى مكتبه وقضى به القليل من الوقت، قبل أن يخرج منه لغرفة الاجتماعات المجاورة، ومن ثم يعود

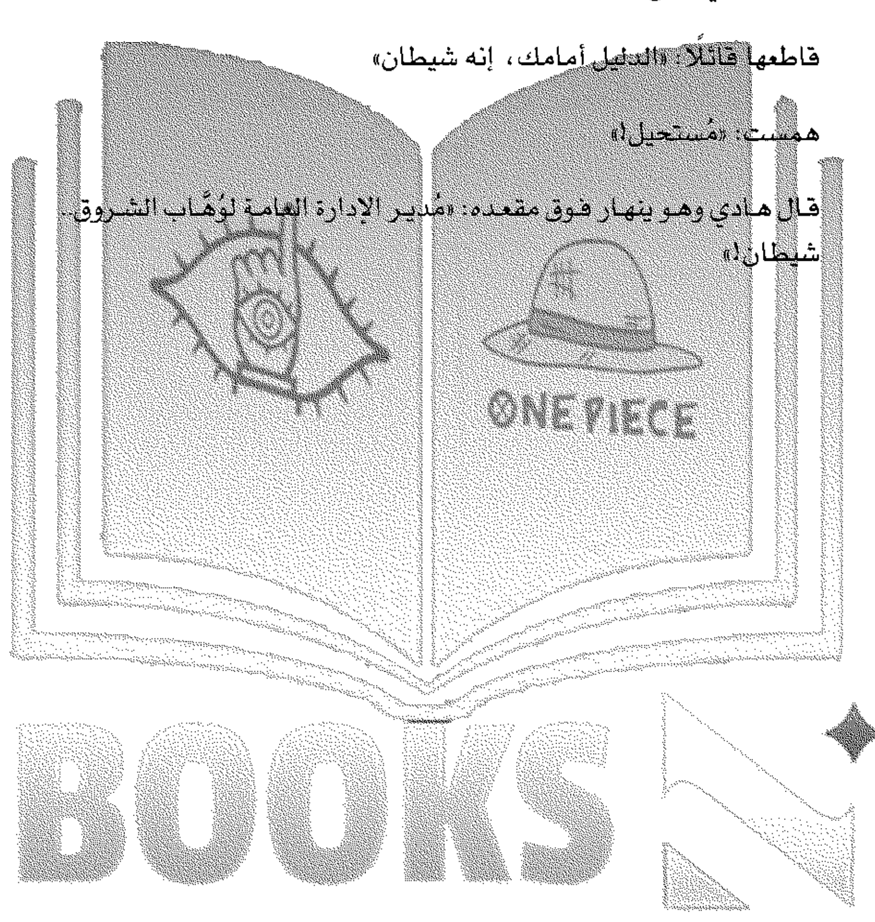
لمكتبه مرة أخرى؟»

كادت تهز رأسها هذه المرة، لكن برق المعرفة ضربها فاتسعت عيناها فجأة وهي تضع يدها على فمها في صدمة قائلةً: « أنت لا تقصد أن..»

قاطعها قائلًا: «الدليل أمامك، إنه شيطان»

همست: «مُستحيل!»

قال هادي وهو ينهار فوق مقعده: «مُدير الإدارة العامة لوَهَّاب الشروق.. شيطان!»



(13)

عاقدًا يديه خلف ظهره، مُثقلًا بالأفكار السيئة، لا ينفك عقله يُفكِّر في سيناريوهات مُختلِفة، خطواته سريعة غير مُرتَّبة، يغمغم بكلماتٍ غير مفهومة، وجُمل غير كاملة.

كانت هذه حالة هادي وهو يذرع الغُرفة ذهابًا ومجيئًا دون توقُّف خلال النصف ساعة الأخيرة بالكامل، لم يستطع السيطرة على نفسه أو على انفعالاته طوال هذا الوقت، تتصارع الأفكار والقرارات في عقله فيكاد ينفجر، لا يستطيع قلبه تحمُّل كُل تلك الضغوط، لم يؤهِّل نفسيًا لمواجهة كُل هذا، شعر أن عقله يكاد يُصاب بالشلل، لكن هل تُشل العقول؟

كانت ليلى لا تزال تضع يدها فوق فمها وكأنها تخشى أن تتسلَّل صرخة حادة أو شهقة مُفاجئة في اللحظة التي ترفع يدها فيها، كانت الصدمة أكبر من قدرتهما على الاحتمال، حاول هادي مرارًا وتكرارًا أن يُرتِّب أفكاره، حاول حقًا أن يفصِح عما يدور بداخله، لكن الصدمة كانت قوية.

قرَّر أن يتوقَّف قليلًا، أن يعقد هُدنة مع الثبات، عله بتلك الهُدنة يستطيع أن يُرتِّب أفكاره قليلًا، استند إلى الحائط مواجهًا له، عاقدًا ذراعيه فوق رأسه، مُستندًا بجبينه عليهما، غير عابئ بالعرق الذي لوَّث كم قميصه، راقبته ليلى وهو ثابت في هذا الوضع لدقائق أطالها الصمت فمرَّت كساعاتٍ مُملة، ظنَّت أنه ربما نام أو فقد وعيه، كان ثابتًا تمامًا إلا من رعدة تنتاب قدمه اليُسرى بين حين وآخر، وحركات شبه مُتشنِّجة تصدر عن شفتيه، وكأنه يُطلِق سبة أو لعنة نحو شخص ما يسكُن خياله.

همس بعد حين: «اللعنة، اللعنة، اللعنة»

نظر لها دون أن يتحرَّك وهو يقول: «اللعنة!»

لم تستطِع أن تتبس ببنت شفة، ليس لعجزها عن السيطرة على سيل الأفكار الذي ينهمر على رأسها من علٍ، لكن لعجزها عن معرفة المزاج العام للغُرفة في الوقت الحالي، كانت تخشى أن تُسيء اختيار كلماتها فتتسبَّب في انفجار حاد يطيح بما تبقى من كرامتها بعد أن اكتشفت أن سرها الصغير لم يكُن سرًا، وأن البئر الذي كان من المُفترض أن يحيط بسرها، تحوَّل لنهر معرفة ينهل منه الجميع!

انتصب فجأة وكأنه دفع الحائط بعيدًا عن جسده وليس العكس، همس لها: «اللعنة يا ليلى!»

وجدت صوتها أخيرًا، فقالت في دهشةٍ: «أنا لا أصدِّق»

عض شفتيه وهو يتنفس بسرعة، كأنه انتهى للتو من سباق المئة متر، قبل أن يقول: «من المُفترض أن يكون هذا هو أكثر من نثِق به في الإدارة»

قالت في سُرعة: «لكن..»

قبل أن تبتلِع ما تبقى من جُملتها خشية ثورة غضبه التي كانت تبدو وشيكة للغاية، لكنه بدا مُهتمًا أن يسمعها، أشار لها أن تستكمِل ما أرادت قوله دون أن ينطِق، اكتفي فقط بالتلويح في إشارةٍ فهمتها جيدًا، تردّدت قليلًا قبل أن تقول: «لكن ربما كان أهلًا للثقة رغم هذا!»

قالتها وهي تعيد رأسها للخلف قليلًا وكأنها تخشى أن يصفعها، لكن الأمر تأخَّر قليلًا، مما دفعها لفتح عينيها في حذرٍ وحيطة.

وجدته يطالعها في صمتٍ قبل أن يقول: «ربما كُنتِ مُحِقة، كان والدي يثق فيه، وكذلك كان أكرم، وأنا أثِق في كلاهما تمام الثقة»

رأى اختلاجة حزن تسري في وجهها، دامت لحظة قبل أن تنجح في اخفائها، عَرف جيدًا أنه أخطأ حين ذكر اسم أكرم -رحمه الله- أمامها، اقترب منها وهو يربت على كتفها قائلًا: «رحمة الله عليه.. أنا آسف حقًا»

مسحت دموعها التي تسلَّلت من عينيها وهي تقول: «لا بأس.. الأمر على ما يُرام»

صمت قليلًا، مُتظاهرًا بالتفكير، لكنه في حقيقة الأمر كان يمنحها فرصة لاستعادة رباطة جأشها، قبل أن يقول: «ليلى.. أنتِ الوحيدة التي أثق بها الآن، أصدقيني القول.. هل أستطيع الثقة فيكِ؟»

هزَّت رأسها فورًا دون تردُّد، وهو الأمر الذي طمأنه للغاية، لو تردَّدت للحظةٍ واحدةٍ، لما استطاع الثقة فيها أبدًا، ابتسم وهو يقول: «أمامنا الآن خياران لا ثالث لهما، إما أن نُخفي الحقيقة عنه، ونتعامَل معه بصورةٍ طبيعيةٍ إلى أن تنتهي الأزمة، ومن ثم نكشف له حينئذ معرفتنا لسره الصغير، لكن أولًا.. دعيني أسألكِ سؤالًا: هل تستطيعين إخفاء الأمر عنه كلما واجهتيه أو تعاملتِ معه؟»

هزَّت رأسها بالنفي وهي تبتسم، فهقه في عصبيةٍ وهو يقول: «هكذا توقَّعت، لا أخفيكِ سرًا.. أنا بدوري لن أستطيع القيام بالأمر»

ابتسمت قليلًا، قبل أن يقول وهو يبدو شاردًا بعض الشيء: «الخيار الثاني.. هو أن تُساعديني لنقتحم مكتبه بحثًا عن أي شيء من شأنه أن يطمأننا قليلًا، أو أن يخبرنا بأننا لا نستطيع الثقة به»

كادت تخبره بشيءٍ ما، لكنه أشار لها بيده أن تلتزم الصمت كي يقول شيئًا أخيرًا، صمتت فقال: «أعرف أنني ورطتكِ في المرة الأخيرة، وسبَّبت لكِ الكثير من المشاكِل، لكن هذه المرة الأمر مُختلِف، هذه المرة ليس لدينا خيار آخر»

هزَّت رأسها وهي تقول: «أعرِف هذا، لذلك سأساعدك من أجلهما، من أجل طاهِر ومن أجل أكرم»

ابتسم وهو يقول: «سنفعلها من أجلهما»

توجَّه نحو باب المكتب بخطواتٍ سريعةٍ قبل أن يتجمَّد في مكانه فجأة، أصابه الإدراك في تلك اللحظة كمصباح يكشف له عن ظلام غفلته، لاحظت ليلى الأمر فسألته في حذر: «ما بك؟»

همس في دهشة وكأنه هو نفسه لا يُصدِّق ما هو على وشك أن ينطق به: «العطر!»

انعقد حاجباها في دهشةٍ مُمتزجةٍ بعدم الفهم، كرَّرت كلمته بعد أن حوَّلتها لسؤال: «العطر؟»

كرَّر جُملته وكأنه يجيب سؤالها: «العطر!»

انتبهت ليلى لكونهما يكرِّران نفس الكلمة كثيرًا في الدقائق القليلة الماضية، قرَّرت أن تُغيِّر من مسار الحديث بعض الشيء فقالت: «لا أفهم»

التفت ليواجهها وعيناه تلمعان بشدة، بدا للحظة كأنه اكتشف أحد الأسرار الكونية، أو وجد إجابة على واحد من تلك الأسئلة التي لا تظهر إلا بعد الثانية عشر ليلًا لتُحيل ليلتك إلى جحيم من التفكير، قال مزهوًا بقدرته على اكتشاف الأمر: «هل لاحظتِ أنه يُكثِر من وضع العطر؟ وأن عطره نفاذ للدرجة التي تحرق العيون وتؤذي الجيوب الأنفية؟ وأنه لا ينفك يضع المزيد من العطر كُلما وجد الفرصة مواتية للقيام بالأمر؟»

كانت لا تزال لا تفهم ما الغريب في الأمر! الكثيرون يحبُّون العطور النفَّاذة! والعديدون يكثرون من رش عطورهم طوال الوقت! صحيح أن

المُدير يُبالِغ في الأمر كثيرًا، لكنه في النهاية شخص حُر، ومن حقه أن يفعل ما يحلو له طالما لا يؤذي غيره، رفعت كتفيها في لا مُبالاة قائلةً: «لاحظت ولم أهتم»

كاد أن يتهمها باللا مُبالاة، لكنه انتبه للأمر، ما زالت ليلى لم تدرس علوم الشياطين بعد، وهي المادة التي يدرسها المُستجدون بعد حوالي ست شهور من التحاقهم بالإدارة، حاول أن يُبسِّط الأمور قليلًا فقال: «من العلامات المُميِّزة لوجود الشياطين هي الرائحة الكريهة، والتي عادةً ما تكون مزيجًا بين رائحتي اللحم العَفِن، والبيض الفاسِد، أو أشبه برائحة الكبريت كما يقولون، تلك الرائحة قوية ونفّاذة بشكل لا تُخطئه الأنف، لذلك يحرص المُدير على رش العطر بلا توقُّف من أجل محاولة التغطية على رائحته، كيلا ينكشف أمره»

انتهى من كلامه فصمت قليلًا قبل أن يسألها: «كيف لم ننتبه للأمر من قبل؟»

قالت في بديهية: «لأننا لم نشُك فيه من قبل!»

ابتسم وهو يعود للحركة مرة أخرى قائلًا: «لنفعلها من أجلهما يا ليلى»

***

كانت خطة بسيطة لدرجة أنها قد لا تخدع طفلًا صغيرًا، لكن هادي وليلى راهنا على أن التوتُّر العام والجو المشحون المُسيطر على الحديقة وعلى كُل الموجودين فيها سيمنع الجميع من التفكير العقلاني لفترة لا بأس بها من الوقت، لذلك حين دفعا باب المكتب الزجاجي الضخم المؤدي لمكتب المُدير، ودخلا عبره بثقةٍ وجديةٍ، توقفا قليلًا وهما ينظران نحو سكرتيره الخاص الذي بادلهما النظر لفترة قبل أن يقول: «مرحبًا!»

تبادلا النظر سويًا دون أن يجيباه، سألها هادي: «ألم يأتيكِ الاستدعاء مثلما أتاني!»

قالت وهي ترمُق السكرتير بنظرةٍ جانبيةٍ مليئة بالدهشة: «أجل، لهذا أنا هنا!»

نظرا إليه سويًا قبل أن يقترب منه هادي وهو يهمس: «اسمع يا رجل، أظن أنك لم تحصل على استدعائك الخاص لسببٍ ما، وهذا هو سبب وجودك هنا، لقد استدعانا المُدير بصفتنا المسؤولين في الوقت الراهن عن التحقيق السري الخاص، وبالتالي كان عليك أن تكون الآن في مكانٍ آخر حتى لا تتعرَّف على هوياتنا الحقيقية، لذا اصدقني القول.. مع من تعمل؟»

ارتبك السكرتير وهو يفحص جهاز الاستدعاء الخاص به، قبل أن يتأكَّد من عدم وجود أي إشعارات جديدة في ساعته الخاصة، ظهرت نظرة عدم فهم في عينيه، اقترب منه هادي وهو يكرِّر سؤاله: «مع من تعمل يا رجل؟»

سأله السكرتير وحالة من عدم الفهم تسيطر عليه: «لا أفهم!»

كشَّر هادي عن أنيابه ليُظهِر له مدى ضيقه وجديته في الوقت الحالي وهو يسأله: «من الذي طلب منك تجاهُل الاستدعاء من أجل كشف هوياتنا الحقيقية؟ هل هو قاتِل أكرم؟ هل لك علاقة بالأمر؟»

لم ينتظِر إجابته، نظر لليلى وهو يقول: «أخبري المُدير على الفور من فضلِك»

هزَّت رأسها وهي تخطو خارِج المكتب مُتظاهرة بالحديث في هاتفها، بينما لملم السكرتير أوراقه بسُرعة وهو يدسَّها في أحد الأدراج قبل أن يغلقه جيدًا، وقف وهو يقول في توتُّر: «يجب أن أكون في مكان ما الآن..

أعتذِر»

نظر في ساعته الذكية مرة أخرى بحثًا عن أي إشعار ربما يكون قد أهمله رغمًا عنه دون أن يقصد، لكنه لم يجد شيئًا، اعتذر وغمغم وهو يُسرِع الخطى مُغادرًا المكتب: «آسف.. تأكَّد أنني لم أراكما أبدًا»

فتح الباب وأسرع نحو مقصده، دلفت ليلى إلى المكتب وهي تحاول إخفاء ابتسامة صغيرة تسلَّلت إلى شفتيها، قالت في سعادة: «لم أكُن أتوقَّع أن خطتك البدائية ستنجَح؟»

ابتسم وهو يقول: «يعرف السكرتير بأمر التحقيق السّري، لكنه لا يعلم أننا نعلم عن الأمر، بعد أن أخبرنا المُدير عنه في الليلة الماضية، لذلك حين أخبرته عن الأمر صدَّقني فورًا، لكنه سيكتشف الخدعة بعد قليل، علينا أن نُسرع قليلًا»

وقفا أمام الباب الخشبي الضخم المؤدي لمكتب المُدير، ابتلع ريقه وهو يقول مُتسائلًا: «هل تعتقدين أن الباب مُغلق؟»

قالت في هدوء: «أعتقِد أن هناك طريقة واحدة فقط لمعرفة إجابة هذا السؤال»

مدَّت يدها وهي تُمسِك بمقبض الباب وتُديره في هدوء، انفتح الباب أمامهما كاشفًا عن مكتب المُدير الخالي، كان هوائه مُعبقًا برائحة العطر النفَّاذة، أشار لها على أنفه فهزَّت رأسها، أضحى الأمر جليًا بعد أن نبَّهها له منذ قليل، دخلا سريعًا وأغلقا الباب من خلفهما، أشار لها أن تبدأ البحث في المكتبة الضخمة التي احتلَّت جدارًا كاملًا من جدران الغُرفة، أما هو فبدأ في البحث سريعًا في المكتب والمنطقة المُحيطة به، مر القليل من الدقائق، كان الصمت مسيطرًا على كُل شيء في الوقت الحالي، إلا من أصوات البحث هنا وهناك، سألها هادي وقد بدأ اليأس يتسلَّل إلى

قلبه قليلًا: «هل وجدتِ شيئًا؟»

هزّت رأسها في يأس وهي مُستمِرّة في البحث قبل أن تقول: «لا شيء، مئات الكُتب التي تتحدّث عن الفراعنة أو الآلهة القدامى في عصور مُختلِفة فقط لا غير»

صمتت قليلًا قبل أن تسأله: «ماذا عنك؟»

قال في يأس: «لا شيء، أوراق روتينية عن أمور مُعقّدة تخص الإدارة، وأوراق أخرى تخص مراسلات بينه وبين مُديري الإدارات الأخرى حول العالم في نطاق برنامج من تبادل الخبرات العامة. أشياء مملّة للغاية»

التفتت إليه وهي تسأله: «عمَّ نبحث؟»

قال دون أن ينظُر إليها: «عن أي شيء يُثبِت أو يضحد نظريتي»

سألته في فضول: «أي نظرية؟ أخبرتني أننا سنبحث عن شيء يُخبرنا إن كان بإمكاننا الوثوق به أم لا»

هزّ رأسه وهو يقول: «لا. طوّرت نظرية صغيرة وأبحث الآن عن أي أدلة لإثباتها أو لضحدها»

ظهر القليل من الضيق على محياها، قبل أن ينتقِل لصوتها وهي تسأله: «هل أنت مُهتَم بشرح الأمر قليلًا؟»

توقّف عن البحث قليلًا وهو يقول: «في حال كان مُدير الحديقة شيطانًا، فعلى الأرجح هو المُتسبِّب في مقتل والدي»

قاطعته وهي تسأله في حيرة: «لكن لماذا قد يفعل هذا؟»

لمعت عيناه وهو يقول: «كي يخبر الجميع أن الشيطان الطليق في جنبات المكان، تحرَّر بسبب والدي، وليس بسببه! وهو الأمر الذي لن يكون والدي موجودًا من أجل إنكاره أو حتى من أجل الدفاع عن نفسه فيه»

قالت في قليل من الخجل: «لم أفكِّر في الأمر من قبل بهذه الطريقة!»

سمعا صوتًا من خلفهما يقول: «ولا أنا أيضًا!»

كان صوت آخر شخص يريدان مُقابلته في الوقت الحالي، لكن هذا لم يكُن هو الأمر الذي تسبَّب في الصرخة التي أطلقتها ليلى من بين شفتيها، بل كان مظهره هو السبب!

لم يكُن الأمر متوقعًا بأي حال من الأحوال!

***

ظهرت حقيقته لهما مرة واحدة فقط، لم تدُم خلالها سوى لحظة، لكنها كانت كافية لتصرُخ ليلى كما لم تصرُخ من قبل، كان طويل القامة، ممشوق القوام، قوي البنيان، تلتمع عضلات جسده تحت الضوء، وعلى الرغم من كون جسده آدميًا، إلا أن رأسه لم يكُن كذلك أبدًا، كانت تعلو رقبته البشرية رأس ابن آوي شرس، يلتمع الغضب في عينيه وهو يُكشِّر عن أنيابه، لكن هذا دام للحظةٍ واحدةٍ فقط لا غير قبل أن يعود لهيئته البشرية مرة أخرى، وأمام عينيهما كان يقف مُدير الحديقة، ترتسِم على قسمات وجهه علامات الصرامة والجدية، المُمتزجة بغضب لا حدود له، كان يقف أمام باب حجرة سرية بجوار المكتبة؛ كان الباب مخفيًا بعناية للدرجة التي جعلتهما لا يريانه بشكلٍ واضح أو يكتشفا وجوده من الأساس، صرخت ليلى مرة أخرى وهي تقول: «أنت.. أنت..»

قال في هدوءٍ لا يتناسَب مع ذعرها أبدًا: «لا داعي لتلك المُبالغة، لقد

كشفت لكما عن هويتي الحقيقية للتو»

نظرت له في بلاهة وهي تقول بصوتٍ مُرتعِد: «ما زلت لم أفهم بعد.. من أنت؟»

همس هادي من جانبها بصوتٍ خافتٍ: «أنوبيس!»

ابتسم المُدير للمرة الأولى قبل أن يقول: «كُنت أعتقِد أن التقارير تُبالِغ بعض الشيء حين يتحدثون عن ذكائك وقوة مُلاحظاتك، لكن يبدو أن كُل حرف كُتِب عنك كان حقيقيًا صائبًا»

شعر هادي بالخجل قليلًا وهو يسمَع تلك المُجاملة الصريحة، لم يعتَد على تلك الأحاديث الحماسية المليئة بالكلام المُشجِّع، احمرَّ وجهه قليلًا، لكن شعوره بالفزع من الاستنتاج الذي وصل إليه منعه من السقوط في بحر الزهو بنفسه.

همس بدهشةٍ: «لكن.. لكن كيف؟»

نظر إلى ليلى، كانت تقف في مكانها دون أن تتحرَّك قيد أنملة، فاغِرة الفاه، مفتوحة العينين عن آخرهما، بينما سَرَت في جسدها قشعريرة خفيفة لم تكُن ملحوظة إلا لشخصٍ يُدقِّق النظر إليها جيدًا.

قهقه المُدير مرة أخرى وهو يقول -دون أن يتخلى عن هيئته البشرية- بسُخرية: «هل ظننتم حقًا أن بإمكانكم.. كجنس بشري، أن تصنعوا شيئًا مثل إدارة وُهَّاب الشروق دون أي مُساعدة خارجية من أي مخلوقات من جنسٍ آخر؟»

صمت قليلًا، ربما كان ينتظِر إجابة من أيهما على السؤال الذي طَرَحه، وربما فعلها ليُضفي القليل من الإثارة على الأجواء العامة.

بعد لحظات من الصمت استكمَل حديثه: «آفة البشر دومًا هو الغرور، رغم كونهم واحِد من أضعف الأجناس الموجودة في عالمنا هذا، ناهيكما عن اعتقاد العديدين منكم أنكم الجنس الوحيد الموجود في هذا الكوكب، غير عالمين بآلاف الأجناس الموجودة على سطح وفي باطِن كوكبكم، بخلاف آلاف مؤلَّفة أخرى تعيش في كواكب ومجرات أخرى تحيط بكم وتحاصركم من جميع الاتجاهات»

قاطعه هادي وهو يسأله في حيرة وعدم تصديق: «هل يوجد كائنات فضائية؟ هل هبطت على الأرض؟ هل يعيشون بيننا؟»

طرق المُدير بأصابعه على سطح مكتبه الذي تُغطيه قطعة زجاج سميكة، قبل أن يقول: «الأهم فالمهم يا هادي.. عليك أن تتعلَّم كيف تُرتِّب أولوياتك»

شعر هادي بقليل من الإحراج، وكثير من الغضب، لكنه فضَّل أن يكظم غيظه في الوقت الحالي، وأن يلتزِم بالصمت ليُنصِت لحديث المُدير الذي عاد للاسترسال في الحديث مرة أخرى وكأن شيئًا لم يكن: «لطالما حَلِم البشر بفرض سيطرتهم على الكائنات الأضعف، صنعوا أحواضًا للأسماك، متاحف للأحياء المائية، وحدائق للحيوان، وأظن.. أن الأغنياء في المُستقبل سيصنعون ما يُشبِه المحميات الطبيعية من أجل أن يعيشوا بها بعيدًا عن الفقراء، لكن دعونا نعود مرة أخرى لأرض الواقِع بعيدًا عن الأحلام والتوقّعات الخيالية.. لو قرأت روايات الرعب، شاهدت أفلامه، واستمعت إلى برامجه الإذاعية، ستُلاحِظ أمرًا واحدًا يتكرَّر على الدوام، إلا من قلة قليلة إحقاقًا للحق، ستُلاحِظ أن الخير دائمًا ما ينتصِر في النهاية، وهذا أمر غريب غير قابل للتصديق! في دنيانا هذه لم يعُد الخير موجودًا من الأساس كي ينتصِر، مهما كان الإنسان خيِّرًا لابد من إثم يلوِّث نقاء روحه، لابد من جانب مُظلِم موجود حتى لو توارى عن أعين باقي البشر، ستُلاحظ كذلك أن البشر دائمًا ما ينتصرون على الجان والشياطين سواء عن طريق التسلُّح بالدين أو عن طريق فرض

السيطرة والقوة على بقية تلك المخلوقات، التي لابُد وأن تنهزِم في النهاية من أجل أن تُرضي النهاية الجمهور المُتعطِّش لانتصار قوى الخير، لكن اسمحا لي أن أسألكما سؤالًا واحدًا..»

صمت مرة أخرى، كان بارعًا في إدارة كفة الحديث كيفما يريد، يعرف كيف ينجح في جذب انتباههما وإثارة فضولهما كيفما أراد، زادت دقَّات قلب هادي وهو ينتظر سؤاله، شبك المُدير أصابع يديه وهو يُسنِد ذقنه فوقها، تجوَّل بأنظارِه بينهما قبل أن يسألهما: «هل يستطيع الإنسان أن يُسيطر على هذه الأنواع المُختلِفة من الجان والشياطين وغيرها من الأجناس المُختلِفة دون الاستعانة بأي مُساعدات خارجية؟»

قال هادي باندفاع: «ولم لا؟»

مط المُدير شفته السُفلى وهو يقول: «حسنًا، هذه وجهة نظرك، ويجب علينا أن نحترمها»

ابتسم بسُخرية قبل أن يُضيف: «مهما كانت ساذِجة أو تفتقِر للصواب»

لم ينتظِر إجابة على قنبلة الإهانة التي فجَّرها في وجه وكرامة هادي، نظر لليلى وهو يقول: «لنستمع لوجهة نظر الآنسة ليلى أولًا!»

تنفَّست ليلى وهي تقول دون أن ترفع نظرها عن سطح المكتب: «أنا شخصيًا كُنت أظن أن إجابة هذا السؤال الصحيحة هي نعم، لكن أكرم -رحمه الله- كانت لديه وجهة نظر أخرى مُختلِفة تمامًا عن وجهة نظري، كان مُقتنِعًا أن هناك يدًا خفية تُساعدنا طوال الوقت»

اتسعت ابتسامة المُدير وهو يقول: «كان عبقريًا مثل طاهِر، كانوا من القلائل الذين كُنت أخشى أن يكتشفوا سري الذي دفنته هنا منذ اللحظة التي وصلت فيها إلى هذا المكان»

نظر إلى هادي وهو يقول: «لنعُد إليك مرة أخرى إذن، أنت تقول يا هادي أن البشر قادرون على السيطرة على تلك الشياطين بمُفردهم، حسنًا.. وجهة نظر تُحترَم، لكن اسمح لي أن أسألك سؤالًا، وأعرف.. أعرف جيدًا أن أسئلتي كثيرة، لكنني أحاول تبسيط الأمور قليلًا لأنني أعرف جيدًا أن قدرة البشر وعقولهم محدودة الذكاء على استيعاب كم هائل من المعلومات في وقت قليل محدودة، على عكس بعض أنواع الشياطين التي تتمتّع بمعرفة هائلة تفوق حدودها قدرة البشر على التخيُّل»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «أخبروني في قسم الأرشيف أنك استعرت عمليات صيد كثيرة، وخرجت في عمليات صيد بدورك مع أكرم لصيد أنواع مُختلِفة من الشياطين. أظن أن آخرها كان المُتشبِّه، اسمح لي أن أسألك سؤالًا، ما هو الشيء الذي يُسهّل على البشر عمليات الصيد تلك؟ وكيف توصلوا إليها؟»

فكّر قليلًا في محاولة لترتيب أفكاره قبل البوح بها، لا يُريد أن يبدو أحمقًا مرة أخرى، خصوصًا في وجود ليلى، بعد لحظات من الصمت قال: «استخدام نقطة ضعفهم المُختلِفة من أجل تقليل قواهم والنجاح في السيطرة عليهم»

قال المُدير في جدية: «أحسنت يا هادي، والآن أريدك أن تُخبرني كيف عَرِف البشر نقاط الضعف تلك؟ كيف عرفوا أن تلك هي الوسائل الناجحة في تحجيم قوى تلك الشياطين؟»

تبادل هادي وليلى النظرات وقد فقهوا الأمر، قبل أن يُضيف المُدير وهو يُشير إلى نفسه بإبهاميه: «لابُد من وجود جاسوس داخلي!»

نظرت إليه ليلى بغير فهمٍ قبل أن تقول بحيرة: «لكن.. لكن لا أفهم»

قال هادي مؤكّدًا على حيرتها: «كذلك أنا.. لا أفهم الأمر»

ابتسم المُدير وهو يقول لهما: «ما الذي لا تفهمانه؟»

قالت ليلى باندفاعٍ دون أن تُضيع لحظة في التفكير: «ما الذي لا نفهمه؟ كُل شيء! لماذا فعلت ذلك؟ لماذا تتجسّس على بني جنسك؟ سعيًا وراء مال؟ لا أعتقد أن للمال قيمةً في عوالكم! سعيًا خلف مناصب أو جاه؟ مهما كان علو قيمة المنصِب في عالمنا، فلن يكون له أي قيمة في أي عالم من عوالمكم!»

حاول هادي أن يصحّح أفكارها قائلًا: «لا أعتقِد أنه يجب أن يكون هناك دافِع وراء تصرُّف معيّن»

قالت ليلى مُدافعةً عن أفكارها بحنق: «لابد من وجود دافع لكُل تصرُّف مهما كان صغيرًا أو تلقائيًا، أنت تتنفّس دون أن تشعُر، دون أن تجد دافعًا لتنفسك، لكن وجوب التنفُس من ضرورات الحياة، لا وجود للتعب دون نجاح، ولا وجود للمحاولة دون نتيجة، منقوص الدافِع لا يُعتَد به، أنت نفسَك لو لم تجد دافعًا لوجودك هنا لما كُنت موجودًا الآن»

شعر هادي بقليلٍ من الإحراج، كانت ليلى تُدافِع عن فكرتها التي طرحتها وكأنها تشعُر بتعمّده التقليل منها، لكن هذا لم يكُن مقصده، قبل أن يدافِع عن نفسه قال المُدير وقد تسلّم زمام الحديث منها: «أنتِ مُحقّة»

نظرت له في فضول وهي تسأله: «إذا ما هو دافعك؟»

صمت قليلًا قبل أن يقول ببساطة: «الملل»

ردّد هادي إجابته بدهشة: «الملل؟»

هزّ المُدير رأسه وهو يقول: «أعمار الشياطين تتعدى مئات السنين، أنا شخصيًا تخطى عُمري آلاف الأعوام بنيفٍ، فعلت بها كُل ما يُمكِن

أن يُفعَل، خُضت مغامرات أكبر من قدرتكما على الاستيعاب، خُضت وشاهدت حروب لم يكُن جنسكما ليصمد بها يوم واحد، خاطبت وناظرت وحوش نظراتهم وحدها كانت كافية لحرقكما أحياء، لكنني شعرت بالملل.. لا جديد تحت الشمس، لا جديد يُذكَر ولا قديم يُعاد كما تقولون، قرَّرت أن أجرِّب شيئًا جديدًا، وها أنا ذا!»

تطلَّع إليه هادي وكأنه يحاول هضم إجابته الغريبة، بينما سألته ليلى: «وماذا ستفعل إذا شعرت بالملل من مهمتك تلك؟»

اتسعت ابتسامته وهو يقول: «حسنًا.. لندعو الله جميعًا ألا يأتي هذا اليوم»

هنا انتبه هادي لشيء ما فقال سريعًا: «لكن أنت لم تكُن شيطانًا أبدًا، أنت إله»

انتبه للكلمات التي نطق بها فقال سريعًا: «أقصد أنهم في العصور القديمة نصَّبوك إلهًا، إلهًا للموت تحديدًا، لم نجد وثيقة واحدة على مدار التاريخ قالت أو حتى شكَّكت بكونك شيطانًا»

ابتسم المُدير وهو يقول: «ولن تجد يا هادي، أنا لم أكُن إلهًا أبدًا، لطالما كُنت شيطانًا، لكنها آفة البشر، دائمًا ما يلجؤون للطرف القوي، وفي هذا الوقت تحديدًا كُنت أنا وزملائي موجودين، نعيش وسط البشر بشكلٍ طبيعي، لكنهم لاحظوا فوارق القوى بيننا وبينهم، لاحظوا وأدركوا أننا أقوى وأننا مُختلفين، وبدلًا من محاولة البحث عن الفوارق.. عبدونا انصَّبونا آلهة ولجأوا إلينا، وقتذاك كُنا موجودين لنُحارب الشرور، لنُساعِد وُهَّاب الشروق الأوائل في أداء مهامهم، كونهم كانوا ضُعفاء، حين عبدونا ونصَّبونا آلهة حاولنا الدفاع عن أنفسنا، لكنهم لم يقتنعوا، صنعوا لنا التماثيل، بنوا لنا المعابِد، أسَّسوا ديانات واتبعوها، لم يكُن لدينا أي خيار سوى أن نقبل بالأمر حتى نستطيع التركيز في مهمتنا

الأساسية، دعم وُهَّاب الشروق»

قال هادي سريعًا: «أنا لا أثِق بك»

صاح المُدير غاضبًا: «يجب أن تفعل!»

كان صوته جهوريًا قويًا للدرجة التي فجَّرت مصباح الغُرفة وهشَّمت زجاجها، ظهر الغضب على وجه المُدير الذي فقد سيطرته على نفسه، وأصبحت صورته تتذبذب ذهابًا ومجيئًا بين هيئته البشرية وبين صورته كأنوبيس ذي رأس الكلب، لم يسيطر الظلام على كل شيء لأن الضوء المُتسلل إلى الغرفة من الخارج كان كافيًا لإضاءتها، كما كان كافيًا ليرى كلاهما البخار المُتصاعد من منخاريه وهو يلهث في غضب، تساقط اللعاب من شدقيه وهو يكشر عن أنيابه، نبح نباحًا شيطانيًا آتي من قاع الجحيم قبل أن يسيطر على نفسه قليلًا وهو يستعيد هيئته البشرية قائلًا: «عليك أن تفعل يا هادي، عليك أن تهدأ، وأن تثق بي، لو أردت قتل والدك لقتلته دون سبب، ومنذ زمن بعيد، كُنت أحب طاهِر للغاية، كذلك كُنت أحب أكرم، وكان كلاهما يثق بي.. فهل بإمكانكما الوثوق بي؟»

خشي هادي أن يتحدَّث فهزّ رأسه قبل أن يقول المُدير: «أريدك أن تثق بي لسببٍ واحدٍ على الأقل، أن لكُل ما تفعل أثرًا سلبيًا على مسار التحقيق، أفعالك الحمقاء لا تفعل أي شيء سوى أنها تزيد الطين بلّة فقط لا غير، هل هذا ما ترغَب به؟»

هزَّ هادي رأسه، سأله المُدير بهدوء وهو ينظر لزجاج مكتبه الذي تهشَّم قائلًا: «هل تعرف لماذا لم أقتلكما الآن؟ كان بإمكاني أن أفعل قبل أن ألقي بكما داخِل تلك الغُرفة التي صنعتها لأتوارى عن الأعين حين أريد أن أكون على طبيعتي، صُمِّمت لتكون غرفة هلع كما يقولون، لكنني لا

أستخدمها لذلك الأمر، كان بإمكاني أن ألقي بجُثتيكما بالداخِل وأن ألتهم عظامكما قبل لحمكما في دقائق قليلة، لكنني لم أفعل هذا، ولن أفعله أبدًا، هل تعرفان لماذا؟»

هزَّا رأسيهما بالنفي، فأجاب سؤاله بنفسه: «لأنني لا أريد هذا، أريد أن أساعِد في إثبات براءة طاهِر، أريد الانتقام لأكرم، هذا كُل ما يهمني في الوقت الحالي، لذلك اسمحا لي أن أسألكما سؤالاً: «هل بإمكاني الوثوق بكما؟»

لم يتردَّد أيهما، حتى لو كان شيطانًا مريدًا أو حتى إلهًا فرعونيًا، فيكفي أنه في جانب الخير ويريد مُساعدتهما، هزَّا رأسيهما بالإيجاب.

نظر لهادي قائلًا: «هل تريد أن تُثبت براءة والدك؟»

قال هادي دون أن يُفكِّر: «بالتأكيد»

قال المُدير في هدوء: «عليك إذًا أن تثق فيَّ، وأن تفعل ما سأطلبه منك.. حتى لو لم تقتنِع بالأمر»

سأله هادي في تخوُّف: «ماذا تُريد؟»

صمت المُدير قليلًا قبل أن يقول: «أريدك أن تساعد المُفتِّش في تحقيقه!»

قال هادي في دهشة: «لكنه يسعى لإدانة والدي!»

هزَّ المُدير رأسه وابتسامته تتسع قائلًا: «أعرف هذا!»

(14)

تطلَّع إليه هادي قليلًا، حاول أن يُعبِّر له عن مكنونات صدره أو عمَّا يعتمِر في قلبه، لكن ازدحام الأفكار، تصارعها، وتضاربها داخل عقله جعله يتجمَّد في مكانه فاغِر الفاه، تعلَّقت به عينا المُدير وعينا ليلى، بحثًا عن أي رد فعل أو أي حركة تطمئنهم أنه بخير، تجمَّد كمشهد من فيلم قديم، في النهاية بدا وكأنه وجد ضالته!

نظر للمُدير وهو يقول في هدوءٍ تام: «مع كامل احترامي لك مرتين، مرة كأنوبيس إله الموت عند المصريين القُدماء، ومرة كمُدير الإدارة العامة لوُهَّاب الشروق والتي أعمل فيها متوليًا منصبًا صغيرًا للغاية مُقارنةً بمنصبك..»

صمت قليلًا قبل أن ينفجِر فيه صائحًا: «هل جُننت؟»

شعر المُدير بالغضب، احمرَّ وجهه وصورته تتبدَّل بين الهيئة البشرية، والأخرى الأصلية الغاضبة، التي يرتعِش فيها منخار رأس الكلب الشرس الذي يتساقط اللُعاب من شدقيه، شعر هادي بالفزع حين رأى نظرة الشر المُسيطرة على عينيه فقال في خفوتٍ: «كان مُجرَّد سؤال فقط!»

حاول المُدير الهيمنة على مشاعره وانفعالاته، استعاد هيئته البشرية مرة أخرى، حاول السيطرة على رباطة جأشه، ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يقول: «يجب أن تُساعده»

قال هادي في انفعال: «لكنه يعمل من أجل إثبات التُهمة على أبي!»

حافظ المُدير على ابتسامته وهو يقول: «أعلم ذلك.. لكن كي تفهمني، يجب أن تسمعني أولًا»

صرخ هادي: «لكن..»

زأر المُدير وهو يقول في صوتٍ أشبه بالنباح: «سيطر على انفعالاتك يا فتى!»

أمسكت ليلى بذراع هادي وضغطت عليه قليلًا، كانت إشارة مُتداولة بضرورة تهدئة الأمور قليلًا، وهو الأمر الذي فعله هادي، ابتلع كُل مشاعره وأخفى كامِل انفعالاته وهو يقول: «أحتاج للقليل من الماء»

أشار له المُدير نحو ثلاجة صغيرة تحتل أحد أركان الغُرفة وهو يقول: «اخدم نفسك»

فتح هادي الثلاجة وتناول زجاجة مياه معدنية صغيرة، تجرَّعها على مرةٍ واحدةٍ قبل أن يمسح فمه بظهر يده قائلًا: «الحمد لله»

سأله المُدير في هدوءٍ: «هل أنت مُستعِد لفهم الأمر؟»

رفع هادي كتفيه وهو يقول: «سأحاول، لكن لا أستطيع أن أعِدك بشيء»

اعتدل المُدير على مقعده وهو يقول: «سأحاول أن أكون مُختصِرًا قدر الإمكان، قاطعني في أي وقت أردت فيه أن تسأل عن شيء ما، أريدك أن تعي ما سأقول جيدًا، لأنه لا مجال للخطأ أبدًا»

كرَّر هادي إجابته غير منقوصة حرفًا: «سأحاول، لكن لا أستطيع أن أعِدك بشيء»

تنفَّس المُدير وهو يقول: «علِمت من مصادري أن المُفتِّش يحاول استخراج أمرًا قضائيًا لتفتيش مكتب والدك ومعمله، وهو الأمر الذي سيحدُث طال الوقت أو قصر، استخراج تلك التصاريح أمرًا هينًا ولا يستغرق الكثير من الوقت، لكن أنت.. لكونك الوريث الوحيد لوالدك -رحمة

الله عليه- تستطيع أن تمنحه إذنًا بالدخول للمكتب والمعمل دون تصريح، وبذلك تكسب القليل من ثقته التي بدَّدت الكثير منها بأفعالك الحمقاء ومُغامراتك الغير مدروسة، وحينها سأتدخَّل أنا لأعزِّز ثقته بك، وأطلب منه أن يسمَح لك بالانضمام له في تحقيقه، وسأضغط عليه جيدًا لأحرص على موافقته، وحينها.. سيتطلَّب منك الأمر الكثير من الجهد لتلعب دورك بذكاءٍ كي تغيِّر مسار التحقيقات من محاولة تلويث سُمعة والدك، إلى محاولة إثبات براءته»

همست ليلى: «خطة جيدة»

لكن هادي ظلّ صامتًا، يُفكِّر في الأمر محاولًا أن يدرس كافة جوانبه، بحثًا عن أي ثغرة أو خلل قد يطيح بالفكرة بأكملها، قال بعد قليل من الصمت: «لكن.. كُنتم جميعًا تقولون إن والدي -رحمة الله عليه- كان بطلًا، وهذا المفتّش يسعى جاهدًا لإثبات العكس، ألا توجد ولو نسبة ضئيلة لكونه فاسدًا؟ أو يحاول تطبيق أجندة خارجية؟ أو حتى أن يتلاعَب بالأدلة؟»

قال المُدير بعد هنيهة: «في كُل خطة جانِب من المُخاطرة، وهو الأمر الذي يجعل من الخطط الجيدة عظيمة، ومن الخطط العظيمة أسطورية لو نَجح الأمر!»

كان مُحقًا، كان هادي يعرف أنه مُحق، يعرف أن أحد أهم عناصِر النجاح هو المُخاطرة، كان والده دائمًا يُردِّد: من لا قلب له، لا رزق له!

قال بعد صمت لم يطُل: «موافِق»

قبل أن تنفرِج أسارير ليلى والمدير، أضاف في سُرعة: «لكن لديّ شرط»

تبادل الأخيران النظرات في قلق، عادةً ما تحتوي خطط هادي على

تفاصيل من شأنها أن تقلِب الأمور رأسًا على عقِب، كان ذكيًا، لكنه كذلك كان مُتسرِعًا طائشًا، قال المُدير في محاولة لاحتواء الأمر: «لم نتّفِق على ذلك!»

هزّ هادي رأسه في رفض وهو يقول: «إذا الأمر مرفوض، أنا لم أعلم أن لدى والدي غُرفة معمل ومكتب من الأساس، لذلك شكرًا لحضرتك على إخباري بالأمر، بعد إذنك»

قام من مكانه متوجهًا نحو الباب، ناداه المُدير وهو يقول: «ما الأمر؟»

ابتسم هادي للحظة قبل أن يوأد ابتسامته وهو يستدير ليواجه المُدير بوجهٍ مُتجهِّم قائلًا: «أريد دخول المكتب أولًا، سيكون بصحبتي كاميرا، سأقوم بتصوير كل شيء حرصًا لعدم تلفيق، دس، أو إزالة أي دليل من الغُرفة في محاولة لعرقلة العدالة، كما أنني سأبحث بها أولًا قبل أن أسمَح له بالدخول، عسى أن أجد ما يساعدني في إنقاذ سمعة أبي»

هزّ المُدير رأسه وهو يقول: «طبقًا للقوانين والمعايير المُتعارَف عليه، هذا ممنوع تمامًا، ووجودك في الإدارة من الأساس هو أمر يُخالِف القانون، ولولا فرض حالة الطوارئ بسبب الأمور التي تحدُث هنا ومنع خروج الموجودين في المكان، لمنحتك أجازة طويلة ريثما تنتهي الأمور»

قال هادي في تحدٍ: «هل تضمن لي نزاهة هذا المُفتّش؟ هل تضمن ألا يتلاعَب بالأدلة؟ أو يُغيِّر من مسار سير التحقيقات؟»

هزّ المُدير رأسه وهو يقول: «لا ضمانات»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «ولا مفاوضات، هذا هو شرطي الوحيد من أجل إشراكك في الأمر، شئت.. فأنت معنا وستُشارِك في التحقيق، أبيت.. فخلال أيام قليلة سيستخرِج المُفتِّش التصريح وسيدخُل إلى الغُرفة رغمًا

عنّا جميعًا»

للمرة الثانية.. كان المُدير مُحقًا، إما أن يوافِق هادي مُخاطِرًا بكُل شيء، أو يرفض فيُخاطِر بفُقدان كُل شيء، والأمران مُختلفان.. على الأقل لو وافَق سيكون لديه فرصة لا بأس بها لأن يكسب قدرًا من ثقة المُفتّش، أو ليُثبِت له أنه -على الأقل- ليس لديه ما يُخفيه!

وقف وهو يقول: «أريد القليل من الوقت للتفكير، سأخبر حضرتك بقراري غدا صباحًا»

هزَّ المُدير رأسه وهو يقول: «لا نملك رفاهية الوقت، اليوم ليلًا سأنتظِر قرارك»

ابتسم هادي وهو يقول: «حسنًا.. سأحاول»

أشار إلى ليلى أن تتبعه وهو يقول: «هيا بنا يا ليلى.. نحتاج لنيل قسطًا من الراحة»

تبعته في حيرة، لماذا يحتاج لها لينال قسطًا من الراحة، بمُجرَّد خروجهما من مبنى الإدارة، ودَّعته ليلى وهي تتجه نحو غُرف النوم، كانت تحتاج للراحة حقًا، قضت يومين عصيبين في الفترة القليلة الماضية، لكنه أمسك بيدها وهو يقول في حيرة: «أين تذهبين؟»

نظرت له في دهشة وهي تقول: «للنوم، ظننت هذا بديهيًا!»

نظر نظرة ذات مغزى نحو قسم المعامِل قبل أن يقول: «لدينا مُهمة أخيرة لنفعلها قبل أن نذهب للنوم»

نظرت لليلى للقسم الذي ينظُر نحوه قبل أن تهز رأسها في عُنف قائلة: «لا.. لا.. أنت لا تنوي..»

اتسعت ابتسامته وهو يقول في تحدي: «أنا لا أنوي.. أنا قرَّرت.. هل أنتِ معي؟»

نظرت إليه في غضب وهي تقول: «لا.. يكفيني ما حدث، أنا لا أستطـ..»

نظر في عينيها قائلًا: «من أجل أكرم؟»

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تسير خلفه هامسةً: «من أجلك يا أكرم.. من أجلك وحدك!»

***

وقفا أمام غُرفة مُغلقة، بدا بابها مليئًا بالغبار دلالة على أن أحدهم لم يُنظّفها أو يقترب منها منذ حين، داهمته المشاعر فشعر برغبة عارِمة في البُكاء، لكنه لم يمتلك رفاهية الاستسلام لها، كان يعرف جيدًا أن كُل ما يملك من الوقت هو بضع ساعات فقط، عليه أن يستكشِف الغُرفة فيها قبل أن يعود للمُدير من أجل منحه ردًا، لذلك قاوم مشاعره، ابتلع حزنه، ودفنه في غرفة بعيدة في قلبه مُتجاهلًا إياه قليلًا في الوقت الحالي، شعر بقلبه يدمع مُثقلًا بألم لا يستطيع حتى أن يُعبر عنه، مسح دموعه قليلًا وهو يحاول أن يشيح بنظره بعيدًا عنها كي لا تلحظ الأمر، لكنها كانت هناك، تقف بجواره، لذلك كان من الصعب.. لا.. بل كان من المُستحيل ألا تلاحِظ ما يحدُث، ربتت على كتفه برفقٍ وهي تقول: « لا بأس، بإمكاننا البقاء لعدة دقائق، لدينا ما يكفي من الوقت»

هزَّ رأسه قليلًا وهو يقاوِم عبراته التي كادت تنهمر كغيث جارّ الضبع، لكنه تماسك وشدّ من عضده قليلًا وهو يشير إليها أن تتجه نحو الباب بحثًا عن طريقة ما لفتحه، اقتربَت ليلى من الباب وفحصته قليلًا قبل أن تقول في اهتمام: «غريب!»

سألها في فضول: «ما الأمر؟»

استمرَّت في فحص الباب بعض الوقت قبل أن تقول: «أعتقِد أننا وجدنا لتونا الباب الوحيد من الطراز القديم في الإدارة بأكملها!»

اقترب منها قليلًا وهو يسألها في حيرة: «ماذا تقصدين؟»

أشارت له على مكان قفل حديدي في الباب وهي تقول: «كان والدك -على ما يبدو- يميل للأشياء القديمة ويثق بها، لأنه لم يقُم بتركيب جهاز إنذار على باب تلك الغُرفة، ولم يقُم كذلك بتركيب قفلًا من الأنواع الحديثة التي تعتمِد على التكنولوجيا»

تأمَّل القفل الصدئ قليلًا قبل أن يسألها: «هل يعني هذا أنكِ لا تستطيعين فتحه؟»

خلعت (بنسة) من شعرها وهي تكاد تضعها في القفل قبل أن تنظُر إليه وتقول في جدية: «لا تسأل!»

كان بالفعل على وشك سؤالها عن السبب والكيفية اللذين جعلاها تُتقِن مهارة غريبة مثل تلك، مهارة لا يتمتَّع بها سوى لصوص المنازِل ولصوص السيارات فحسب، قال مُبتسمًا: «سأسألكِ.. لكن حين ينتهي الأمر»

قبل أن تجيبه تذكَّر أمرًا هامًا، صاح بها سريعًا: «انتظرِ!»

مدَّ يده في جيبه وأخرج سلسلة المفاتيح الخاصَّة به، انتقى من بينهم مفتاحًا بعينه، تأمَّل المُفتاح قليلًا، وذكرى قديمة تخطفه من الوقت الحالي لتعود به حوالي عشر سنوات للخلف، في عيد ميلاده الثاني عشر، حين أعطاه والده ذلك المُفتاح هدية عيد ميلاده، وقتها ثار وغضب، كان يريد منصة ألعاب الفيديو الجديدة التي انتشرَت كالنار في الهشيم بين جموع

المُراهقين، وانتظرها كثيرًا ليحصل بدلًا منها على مفتاح قديم مُستعمل، لا يعلم حتى ماذا سيفتح به؟

خاصَم والده ونام ليلته باكيًا، دافنًا جسده الصغير بين أغطيته، وغارقًا في دموع حزن لم يستطع السيطرة عليها، لكن الغريب.. كان أن والده استقبل كُل ذلك بابتسامة لطيفة، لم يغضب، لم يثُر، ولم يحزن وهو يقول له بحنوٍ بالغ: «ستعرف قيمة تلك الهدية ذات يوم، وحينها ستشكرني!»

همس في صوتٍ مسموع: «شكرًا لك، شكرًا لك من كُل قلبي!»

سألته ليلى: «من تشكُر؟»

قال وهو يقترب من الباب: «أبي!»

تأمَّل المُفتاح قليلًا قبل أن يولجه في القفل ويديره، دار المُفتاح في يُسرٍ وسلاسةٍ داخل القفل، سمعا صوت تكة مُميَّزة أخبرتهم أن الباب قد فتِح، وأن القفل قد تراجع سامحًا لهما بالدخول.

سألته: «هل تريدني معك؟»

صمت قليلًا، قبل أن يهز رأسه وهو يقول بصوتٍ مليء بالمشاعِر: «لا، أحتاج بضع دقائق بمُفردي أولًا، أريدكِ أن تظلي هنا، ولو رأيت أي أمر مُريب.. اطرقي الباب فورًا»

ابتسمت وهي تهز رأسها، تابعته بعينيها وهو يفتح الباب، دلف إلى الغُرفة قبل أن يُغلقه خلفه.

احتضنته الرائحة بمُجرَّد دخوله للغُرفة، حاوطته أنفاس والده من جميع الجهات وضمَّته، هذه المرة لم يستطِع كبح جماح نفسه، أجهش بالبُكاء، سقط على ركبتيه في وسط الغُرفة، بكى كما لم يبكِ من قبل، حتى

في جنازته لم يشعُر بهذا القدر من الحُزن، لم يبكِ ولو للحظة، أخبرته عمته أنه يُعاني من الصدمة، وأنه خلال أيام سيتخلّص منها، وسيبكي وسيستريح، لكنه لم يبكِ.. لم تمر تلك الأيام، طالت يومًا تلو الآخر، وها هي تتقضي الآن، بكى فقدان والده، بكى الظلم الذي يتعرَّض له، بكى الغدر الذي طاله، وبكى عجزه عن مُساعدة والده حتى الآن.

صرخ بنحيبٍ عالٍ: «أوحشتني.. أوحشتني للغاية»

سمعت ليلى صوته من الداخِل، نحيبه هيَّج مشاعرها، بكت حبيبها بدورها، استندت إلى الباب غير عالمة أنه زحف واستند على الباب من الناحية الأخرى، وكأن كل منهما يلتمس الونس والدفء من الآخر، يفصل بينهما باب خشبي قديم، ومشاعر جيَّاشة، عرف كلاهما أن البكاء جيد، وأن تفريغ المشاعر في تلك الأوقات ضرورة، لذا لم يحاولا المقاومة، سمع كل منهما نحيب الآخر، واطمئن بوجوده بالقُرب منه، لم تمُر دقائق كثيرة إلا وسيطر هادي على مشاعره قليلًا، مسح دموعه ووقف يتأمَّل مكتب والده الذي لم يكُن يعلم عنه شيئًا، مكتبة ومكتب كعادة مُعظم المكاتِب الموجودة في الإدارة، غرفة معمل مُعقّمة، مُجهَّزة على أحدث طراز وهو الأمر الذي لا يتناسب مع الباب القديم الذي كان ينتظره في الخارِج، ساعة حائط عرفها جيدًا في اللحظة التي رآها فيها، الساعة التي كانت سببًا في وفاة والدته، كان عقرب الثواني يتحرَّك ببطءٍ مُستفِز، رباه.. كم يكره هذا الصوت!

تيك.. تيك.. تيك.. تيك..

تجاهلها، ألقاها في مؤخرة ذهنه في الوقت الحالي، استمرَّ في البحث بعينيه، الكثير من الأدراج التي سيحتاج لفحصها، دورة مياه قديمة مُهملة، سلة مُهملات بجوار المكتَب مليئة بأوراقٍ مُمزَّقة سيتحتَّم عليه أن يقرأها جميعًا في وقتٍ قريب.

تيك.. تيك.. تيك.. تيك..

تمزَّق ورق الحائط في بعض الأماكِن كاشفًا عن حائط قديم قبيح، كان ظله مُنعكسًا على الحائط وهو يتأمله، لكنه استطاع رؤية ظل آخر يتداخل مع ظله، بدا كظل رجل قوي يُمسِك بيده حبل غليظ، ويكاد ينقض عليه ليُحيط به رقبته، انتبه للأمر فألقى بنفسه بعيدًا عن الرجل الذي يقف خلفه، وقف وهو يستعِد لقتاله، لكن الغُرفة كانَت خالية!

تيك.. تيك.. تيك..

بحث عن ذلك الرجل في كُل مكان، لكنه لم يجد له أثرًا، دخل إلى دورة المياه، احتاج لغسل وجهه، أدار الصنبور فأتاه صوتًا متحشرجًا، وكأن الأخير يعترِض على فتحه، لكن المياه بدأت تنهمِر منه بعد لحظات قليلة، بدأ هادي بغسل وجهه بالماء البارِد، أغلق عينيه وترك الماء البارِد يغسل توتّره وخوفه، بدأت درجة حرارة المياه في الازدياد قليلًا، لكنه تجاهل الأمر، ربما كان بسبب توقفه عن العمل لوقتٍ طويل، لكن لزوجة الماء كذلك بدأت في الازدياد، وهو الأمر الذي لم يكُن طبيعيًا.

فتح عينيه، وجد وجهه أحمر اللون، تقطُر منه قطرات دماء حمراء قانية، بينما كان الصنبور أمامه ينزِف المزيد من الدماء، تراجَع للخلف وهو يشهَق، حاول الخروج من الحمَّام، لكن الباب أغلِق في وجهه بغتة، وكأن قوى خفية تتحكَّم فيه، تراجَع للخلف وهو يمسح الدماء عن وجهه، أمسك بمنشفة قديمة كانت تستقِر على طرف حوض الاستحمام، مسح بها وجهه في محاولة للتخلُّص من أثر تلك الدماء، لكنه شعر بشيء ما يتحرَّك على وجهه، تأمَّل وجهه في المرآة فوجد ديدان صغيرة تملأ وجهه، يبدو أنها كانت في المنشفة لكنه لم يرها!

ضرب وجهه بيديه في سُرعة محاولًا التخلُّص من تلك الديدان القذرة التي كانت تحاول أن تخترِق بشرته، لمح انعكاسه في المرآة وهو يبتسِم، كان يُراقبه في سعادة، لم يكُن ينسخ حركاته، صرخ وهو يتأمَّل انعكاسه الذي غمز له في سعادة، شهق هادي وتراجَع للخلف، لم يشعُر بطرف حوض الاستحمام إلا بعد فوات الأوان، فقد توازنه وسقط داخِل حوض الاستحمام، صرخ في فزع، سمع باب المكتب وهو يُفتَح، بينما تحرَّكت خطوات سريعة نحوه، حاول أن يقف لكن ستارة حوض الاستحمام منعته من ذلك، جذبها فسقطت فوق رأسه، اتخذته أسيرًا وحدَّت من حركته، سمع صوت باب الحمَّام وهو يُفتَح، رأى ظلًا يقترِب منه، صرخ وهو يُغلِق عينيه، لكن صاحِبة الظل جذبت الستارة من فوقه وهي تسأله: «هل أنت بخير؟»

صرخ بها وهو مُغلِق العينين: «حطمي المرآة.. حطمي المرآة»

سمع صوت المرآة وهي تتحطَّم بقوة، فتح عينيه وتأمَّل ليلى قبل أن يتوقَّف عن الصراخ، بدأ بشرح الأمر لها في خوفٍ وتوترٍ، لكنها لم تفهم شيء، أخبرها بما حدث فنظرت للحوض قبل أن تنظر له في دهشة، كان وجهه نظيفًا، والمنشفة كذلك كانت مُتسخة بقليلٍ من الغُبار لكن لا أثر لأي ديدان، الحوض نظيف ولا توجد به أي دماء، والمياه المُنهمرة من الصنبور مياه نظيفة شفَّافة!

قال في غير فهم: «لكن.. الدماء! الديدان! الانعكاس!»

ابتسمت وهي تقول في رفقٍ: «أنت مُرهق فحسب، تحتاج للراحة يا هادي!»

كان يعلم جيدًا أن ما يقوله هو مُجرَّد ضرب من الجنون، لذلك استعاذ باللّه وهو يتنهَّد طاردًا تلك الأفكار الغريبة عن رأسه، ربما كانت مُحقة، ربما كان مُرهقًا!

اعتذر لها، ابتسمت وهي تقول: « أنت تصرخ مثل شقيقتي الصغيرة»

احمرّ وجهه خجلًا بينما قهقهت هي في سعادة، حاول أن يُدافِع عن نفسه، لكنه فضَّل التسلُّح بالصمت، سألته وهي تقاوِم ابتسامة تراقصت على شفتيها للحظات: «هل تريدني هنا معك؟»

هزّ رأسه، هذه المرة كان موافقًا، استمرا في البحث في الغُرفة سويًا، كان مُنهمكًا في البحث في أدراج المكتبة عن شيء ما، قبل أن يسمع صوت ليلى تسأله: « هل بحثت في أدراج المكتب؟»

تأمَّل كرسي المكتب وهو يهز رأسه، لا.. لم يفعل بعد، لم يشعُر أنه مؤهَّل نفسيًا للجلوس في مكان رجل عظيم كوالده، لا يشعر أنه يستحِق هذا المجد قبل أن ينتهي من الأمر، سألته بحيرة: «ما الذي يمنعك؟»

لم يجد إجابة مُقنِعة، تحرَّك بخطواتٍ بطيئةٍ نحو مكتب والده، جلس على مقعده الوثير وهو يتأمل الأوراق الموجودة على المكتب، أمسك بها وبدأ يُطالعها واحدة تلو الأخرى، مُعظمها يتحدَّث عن شياطين مُعيَّنة، كان يُجري عنها أبحاثًا ويجمع عنها معلومات، على الأرجَح استعدادًا لمواجهتها، بضع كُتب تتحدَّث عن أساطير عديدة في بلدان مُختلفة، كان المكتب الخشبي يحتوي على ثلاثة أدراج، واحد كبير في المُنتصف، وإثنين صغيرين فوق بعضهما البعض يمينًا.

فتح الدرج الكبير وتأمَّل محتوياته، مجموعة أقلام مُختلفة الأنواع والألوان، مجموعة أوراق رسمية عبارة عن خطابات مُتبادلة بينه وبين فرع الأبحاث العلمية في إدارة أخرى، كانوا يستعينون بخبراته في مواجهة مُشكلة تُجابههم هناك، انتهى الأمر بأن عرضوا عليه منصبًا أكبر بمُرتب أعلى، لكن باقي الخطاب مُمزَّق، لم يعرف هل قَبِل والده هذا العرض أم رفضه؟

على الأرجَح قام برفضه!

وضع الخطاب جانبًا ، سيأتي دوره فيما بعد ، أما الآن.. فعليه فحص تلك الأدراج، فتح الدرج الصغير الأول، كان خاليًا إلا من ساعة يد شخصية وزجاجة عطر صغيرة ذات رائحة غريبة، تكاد تكون كريهة، تأفَّف وهو يُعيدها إلى الدُرج، تأمَّل الساعة لكنه وجدها لا تعمل، عقرب الثواني يتحرَّك بشكلٍ عشوائي غريب، أعاده إلى الدرج بجوارها وهو يُغلقه.

حاول فتح الدرج السُفلي، لكنه كان مُغلقًا، أبى أن يطيعه، نظر إلى ليلى مُتسائلًا: «هل بإمكانكِ فتح هذا الدرج؟»

قالت من فورها: «خلال لحظات، هل تريدني أن أحاول؟»

هزّ رأسه بالنفي وهو يتمتم: «دعيني أفحص بعض الأمور أولًا»

حاول أن يفتح الدرج مرة أخرى، لكنه ظلّ مُصمّمًا على موقفه، وقف وهو يقول ثائرًا: «الأمور تتعقّد أمامي، أينما رحلت وأينما حللت»

« يجب أن تهدأ قليلًا»

« لماذا؟ بم سيُفيد الهدوء؟»

« لا تفقد الأمل، لم يكُن والدك ليـ..»

صاح بها غاضبًا وهو يُبعثر الأوراق الموجودة على المكتب في الهواء: «أنا لست والدي»

تراجعت للخلف وظهر الخوف على وجهها، لان قلبه قليلًا، ابتلع ريقه قبل أن يقول مُعتذرًا: «أنا آسف، لكنني مللت للغاية من الاتهامات التي لا تنتهي، كل شخص قابلته شكَّك به، كُل شخص تحدّثت معه أخبرني

عن التحقيق، أشعر وكأنني لم أعرفه جيدًا، رغم أنني..»

صمت قليلًا ليتجرَّع مرارة الحُزن قبل أن يُضيف: «رغم أنني الأحق بكُل تلك المعرفة وكُل هذه الذكريات، أنا ابنه، ابنه الوحيد، هل تعرفين.. في الماضي كان مُتعلقًا بي أكثر من أي شيء في العالم، خصوصًا أن والدتي لطالما كانت مريضة، قضت من أعوام عمرها وهي طريحة الفراش، أكثر مما قضت بصُحبته أو بصُحبتي، أتذكر في مرة خاصمني لأنني كُنت مُتعبًا ولم أقدر على انتظاره ريثما يعود من العمل، وعقابًا لي.. أخذ لعبتي الجديدة و..»

اتسعت عيناه للحظة قبل أن يقول فرحًا: «وجدتها.. وجدتها»

شعرت بالدهشة من هذا التحوّل الغريب في انفعالاته ومشاعره وهي تسأله: «ماذا وجدت؟»

جلس على المقعد، مدّ يده تحت المكتب باحثًا عن شيء ما، بعد لحظة أو اثنتين وجد ضالته، مفتاحًا صغيرًا مُثبتًا بشريطٍ لاصقٍ إلى أسفل المكتب.

حرَّره من أسره وهو يرفعه عاليًا، كان يشعر بالانتصار وهو يقول في حماس: «أخفى لعبتي الصغيرة في درج مكتبه وأغلق عليه في اليوم التالي ليُجبرني على انتظاره، جلست أبكي تحت المكتب، ومن وسط دموعي رأيته.. المُفتاح كان مُلصقًا تحت المكتب بشريطٍ لاصقٍ»

أولج المفتاح في القفل وأداره، فاستجاب!

فتح الدرج.. وجد داخله أوراقًا علمية وأبحاثًا كثيرة كُتِبت بلغات عديدة، وسط كُل هذه الأوراق العلمية والأبحاث المُعتمدة، وجد ورقة مُجعّدة غريبة الشكل، أطرافها مُمزَّقة وملوَّثة بمادة سوداء اللون لم يعرف ماهيتها، قرَّبها من أنفه وشمّها، كان معجون طماطِم (كاتشب)

قديم تغيَّر لونه وجفَّ على أطراف الورقة، كأنما ألقاها والده في سلة المُهملات، قبل أن يُغيِّر رأيه ويحتفِظ بها، وسط هذه الورقة.. رُسم سكين حاد بيد مُرتعِدة.

سكين مرسوم بطريقةٍ عشوائيةٍ فقط في مُنتصف الورقة، دون أي دلالات أو كلام آخر.

رفع الورقة أمامها فتأملتها بدهشة أخبرته أنها ترى تلك الورقة للمرة الأولى، قال وهو يزفر في حيرة: «لم يكُن والدي مُغرمًا بالرسم يومًا، كما أنه أخرج تلك الورقة من القمامة بعد أن ألقاها واحتفظ بها لسببٍ ما»

سألته في دهشة: «ماذا تعني؟»

«أقصد أن تلك رسالة أراد أن يوصلها لأي شخص يجد تلك الورقة»

سألته: «هل تعتقِد أنها رسالة موجّهة لك؟ بما أنك الوحيد الذي يعرف المكان الذي يُخفي فيه المفتاح؟»

فكّر في الأمر قليلًا، وجده منطقيًا، إذا هذه رسالة من والده ولسببٍ ما.. أراد أن يوجهها له على هيئة لُغز مُشفّر.

قال وهو يتنهّد: «إذا.. علينا حل هذا اللغز!»

(15)

أعاد تصفُّح جميع أوراق والده، بحث عن سبب واحد لرسم تلك السكينة البدائية، أو تفسير وحيد للاحتفاظ بها بعد أن كان قد ألقاها في سلة المُهملات، أو حتى شيء آخر يدلّه على ماهية تلك السكين، لكن كُل ما وَجَد كان المزيد من المعلومات العلمية أو الأبحاث التي لا تهمه على المستوى الشخصي -على الأقل في الوقت الحالي-

كاد يُبعثر الأوراق مرة أخرى في غضب لولا أن تذكّر الوقت الذي قضاه وهو يجمع الأوراق ويُرتّبها كي يُسهّل على نفسه مُهمة البحث والتمحيص، وهو مجهود لا ينوي القيام به في الوقت الحالي أبدًا.

رفع ناظريه عن المكتب وهو يُطالع ليلى الجالسة على منضدة المعمل الصغيرة وهي تبحث في مجموعة من الأوراق، سألها في اهتمام: «هل وجدتي شيئًا؟»

هزّت رأسها في إحباط دلالة على النفي، قال مُعلنًا تصريحًا تأخّر بعض الشيء: «لا شيء في هذه الأوراق سيساعدنا في معرفة معنى ذلك الرسم»

سألته في رفقٍ وكأنها تُشفِق عليه تصاعُد الأمور خلال الأيام القليلة الماضية: «هل ترغب في الخروج من هنا؟»

هزّ رأسه نافيًا وهو يقول: «لن أستسلِم حتى أفسّر رسالته»

سألته في فضول: «رغبة في المعرفة؟»

قال في فخر: «بل لأنهما يستحقان هذا منا»

نكّس رأسه في حُزن وهو يقول: «لو كانا في مكاننا، لفعلا من أجلنا ما

لم نقدر على فعله، أو حتى نقدر على التفكير فيه»

سألها فجأة: «هل مُمكِن أن تكون رسالة غير مُباشرة؟»

عقدت حاجبيها وهي تقول بعدم فهم: «ماذا تقصد؟»

فكَّر قليلًا قبل أن يقول: «أقصد أن يكون قصده ليس سكينًا، بل.. بل شيء آخر مثل التقطيع»

قالت وهي غارِقة في التفكير: «هل تتذكَّر المقولة القائلة: الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك، ربما يقصد هذا الأمر!»

هزَّ رأسه بعُنف قبل أن يقول: «بالقطع لا، أعتقد أن الأمر أبسط من ذلك»

قالت وهو توافقه الرأي: «أتفق معك، لطالما كان السهل المُمتنع هو ديدنه»

استند بظهره إلى المقعد وهو يعود للخلف، كان ظهره يؤلمه قليلًا، نظر للحائِط المواجِه له فرأى ضالته، حينها لمعت الفكرة في عقله، وقف فجأة وهو يصيح كالمشدوه: «سكينة الكهرباء!»

رفعت حاجبيها وهي تقول: «مُمكِن جدًا، وجدت أثناء بحثي في المعمل نظارتين للرؤية الليلية، موضوعتين فوق المنضدة، وكأن من وضعها حرص على وجودهما هناك ليراهما كُل من يدخُل إلى المعمل، دون أن تكون هناك حاجة حقيقية لوجودهما هناك!»

سألها في اهتمام صارِخ: «أين هما؟»

تحرَّكت لتأتي بهما بينما وقف هو أمام سكينة الكهرباء يتأملها، كان الأمر عبقريًا، لن يتوقعه المرء أبدًا بسبب سهولته والطريقة المُباشِرة التي عرضها والده، شعر بها تقترِب منه، التفت وهو يبتسم، فتح الغطاء

البلاستيكي الموجود أمام سكينة الكهرباء وهو يغلقها، ساد الظلام تمامًا وسيطر على كُل شيء.

فحصا كُل شبر في المعمل دون جدوى، لا شيء، لا شيء على الإطلاق.

زفر في حنق وهو يقول: «يبدو أنها كانت فكرة ساذجة»

شعرت بالشفقة تجاهه فقالت: «أنا آسفة، بدت فكرة صائبة»

تحرّك نحو سكينة الكهرباء ليُعيد الضوء إلى الغرفة مرة أخرى لولا أن صاحت به في اللحظة الأخيرة: «انتظر.. انظر إلى هذا!»

تحرّك نحو المكتب ليرى ما تُشير إليه، وحين رأى الأمر بعينيه.. أيقن جيدًا أن فكرته لم تكُن ساذجة أبدًا!

كان مقبض أحد الأدراج يتألّق بلون أزرق لامع وسط الظلام، لكن كي تراه.. عليك أن ترتدي نظارات الرؤية الليلية، سألته في فضول: «أنت تفحّصت الأدراج، ما الموجود داخل هذا الدرج؟»

قال في عدم اكتراث: «أشياء لا نفع لها، مُجرّد زجاجة عطر سيء، وساعة خَرِبة لا نفع منها»

في احراجٍ قالت: «هل لي بفحصهما؟»

أشار لكُرسي المكتب في حركة مسرحية وهو يقول: «كوني ضيفتي!»

تحرَّك سريعًا لفتح الضوء الذي عاد ليُسيطر على كُل شيء، أغلقت عينيها في ألم وانتظرت قليلًا ريثما تتأقلم عيناها على الإضاءة الجديدة، قبل أن تفتحهما لتراه يتطلّع إليها بحنو وعلى شفتيه ابتسامة لم ترى لها مثيلًا من قبل، تجاهلته والخجل يزحف ليسيطر على كيانها بأكمله

وهـي تفتـح الـدرج، أمسـكت بزجاجـة العطـر وشمَّتهـا قبـل أن تبعدهـا عـن وجههـا وعلامـات التأفُّف تظهـر علـى وجههـا.

وضعتهـا جانبًـا وهـي تُمسِـك السـاعة، سـألته وهـي مُنهمِكـة في فحـص السـاعة: «مـا خطبهـا؟»

قال وهو يرفع كتفيه في لا مُبالاة: «لا أعرف، يبدو أن هناك خطبًا ما في عقرب الثواني الخاص بها»

أمسكتها وحركتها يمنة ويسارًا قليلًا قبل أن تقول: «هذه ليست ساعة!»

رفع حاجبيه في دهشة وهو يقول: «ماذا تقصدين؟»

شعرت بالحاجة لتبسيط الأمر قليلًا، قالت: «هذه ليسـت سـاعة، صحيح أنها على شكل ساعة، لكنها بوصلة، وإبرتها هي عقرب الثواني، كما أنهـا ليسـت بوصلـة نموذجيـة، بل هـي شـيء أقـرب لبوصلـة مُصمَّمـة لتُشـير إبرتهـا نحـو اتجـاه مُعيَّن مهمـا حركتهـا أو صوَّبتهـا لأي جهـة»

فهـم الأمـر، فقـال سـريعًا: «إذا لـم تكُـن السـاعة سـاعة، فعلـى الأرجـح زجاجـة العطـر ليسـت زجاجـة عطـر!»

قالت مازحة: «يبدو أن جينات العبقرية موجودة في كُل أفراد العائلة»

قهقه ضاحكًا قبل أن يقول: «إلى أي مكان تُشير تلك البوصلة؟»

أشـارت نحو الغُرفة الصغيرة الموجودة ناحية اليسـار وهي تقول: «إلى غُرفة المعمل»

صمت قليلًا قبل أن يقول: «فهمت الأمر!»

قالها مُبتسمًا، شعر بالانتصار، لذكائه.. لعلاقته بوالده.. لوجوده هنا.. ولاقترابه خطوة أخرى من إثبات أن والده ليس خائنًا.

أغلق الضوء تمامًا، ارتديا نظارات الرؤية الليلية، أمسك بزجاجة العطر وتركها تُمسك بالبوصلة، واتجها نحو غُرفة المعمل لحل اللُغز!

***

كانت البوصلة تُشير دومًا لركن مُعيَّن لا تحيد عنه، لم تترك لهما مجالًا للخلط أو الخطأ، تبادلا النظر - لى الرغم من أن الظلام لم يكشف حقيقة نظراتهما- لكن الأمر كان واضحًا، همس هاني وكأنه يُذكِّر نفسه بالأمر: «إذا لم تكُن الساعة ساعة! فعلى الأرجح زجاجة العطر ليست زجاجة عطر!»

ابتسم وهو يقول: «لطالما كان والدي مهووسًا بفكرة الحبر السري»

وعلى الرغم من أن الوقت -ربما- يكون غير مُناسب، لكنه كان سعيدًا بأنه وجد أخيرًا طرف الخيط الذي سيبدأ به رحلته، ابتسم وهو يقول: «هل تعرفين؟ كان فخورًا دومًا أن الفراعنة هم أول من عرف واستخدم الحبر السري»

قالت في دهشة: «هذه معلومة جديدة تمامًا بالنسبة لي»

انتفخت أوداجه زهوًا، قبل أن يقول: «قرأنا ذلك المقال سويًا في مجلة نيوزويك الأمريكية الشهيرة، قالوا فيها أن الإنسان المصري القديم كان عظيمًا بحق، وأن الأبحاث الأخيرة أثبتت أن المصريين القُدماء كانوا أول من استخدم الحبر السري على أوراق البردي التي غطوا بها المومياوات قبل نحو ألفي عام!»

صدر عنها صوت همس مُندهِش، قرَّر ألا يُضيع المزيد من الوقت، وقف أمام الحائط الذي تُشير إليه البوصلة، مد يده ومسح سطحه بكفه، لكن شيئًا لم يحدُث، رفع بزُجاجة العطر وبدأ في الرش، في البداية.. لم يحدُث أي شيء، انتظرا لدقائق.. ولكن شيئًا لم يتغيَّر، كاد يستسلِم، لكنه تذكَّر والده، وأن خيار الاستسلام لم يكُن مطروحًا يومًا على مائدة اختياراته، انتظر قليلًا.. ويبدو أن والده كان مُحقًا، لأن رويدًا بدأت بعض الرموز الباهتة تظهر على الحائط، استعاد حماسه وبدأ برش المزيد من العطر على الحائط.

في النهاية.. ظهرت الرموز بوضوح على الحائط أمام عينيه، وإن كانت ترفُض الإفصاح عن معناها، وكأنها رسالة أخرى غامضة تركها له والده، لكن قلبه كان مُطمئنًا، مثلما حل لُغز سكينة الكهرباء، ووجدا سويًا معنى الساعة وكيفية استخدام العطر الصحيحة.

← |

↑ 3

5 →

تبادلا النظر للحظة قبل أن يقول: «بصفتكِ خبيرة الإشارة ها هنا.. هل تعلمين معنى هذه الرموز؟»

هزَّت رأسها يمنة ويسارًا في إشارة لجهلها بمعناها، فتح ضوء الغرفة مرة أخرى وهو يقول: « لماذا جعل الأمر مُعقدًا بهذه الطريقة؟ لماذا لم يترك رسالة مكتوب فيها: عزيزي هادي: لقد فعلت هذا وذاك، ووصل بنا هذا الأمر لهذه وتلك؟»

قالت في إحباط: «من المؤكَّد أن لديه أسبابه»

زفر في حنق وهو يقول: «وكأنني مغناطيس للمتاعِب والتعقيد، كلما تحرَّكت في اتجاه وجدت ألف عقبة وعقبة»

قالت وهي تبتسِم بلينٍ: «هوِّن على نفسك يا هادي»

جلس على المكتب وهو يضع يديه فوق رأسه، حاول أن يُركِّز قليلاً، ماذا تعني تلك الرموز؟ فكَّر قليلاً.. لطالما أبقى والده الأمور بسيطة على الرغم من تعقيدها، لذلك قرَّر أن يفكِّر في الأمور بكثيرٍ من البساطة وقليلٍ من السطحية، السهم الذي يُشير إلى اتجاه اليسار، بالتأكيد يعني شيئًا موجودًا في تلك الجهة، نظر لليسار وهو يفكِّر، كانت حركة تلقائية لكنه تفاجئ حين رأى المكتبة الصغيرة، عقد حاجبيه وهو يقول بصوتٍ خافت: «هل من الممكن أن يعني تلك المكتبة؟»

قام من مكانه وتحرك ببطءٍ إلى أن وَصَل إليها، تأملها قليلاً، تتراص بها الكُتب، بعضها واقفًا بجوار بعضه البعض، والكُتب الأخرى ترقد على جانبها لتوفِّر المزيد من المساحة، إذا كان السهم الأول صحيحًا، فعلى ما يبدو أن الآخر يعني كتابًا من الواقفين لا الراقدين!

حسنًا.. حسنًا، يحتاج للقليل من التركيز كي يجد حل بقية الرموز، سمع صوت ليلى تقول بفضول: «ماذا تفعل؟»

أشار لها أن تلتزم الصمت قليلاً كي يستطيع التركيز، السهم المُتجه إلى الأعلى ورقم ثلاثة، الرف الثالث من الأعلى، حسنًا.. مشى وصولاً للمكتبة ونظر للرف الثالث من الأعلى، أما السهم المُشير لجهة اليمين ورقم خمسة، فبكُل تأكيد يعني بدء العد من اليمين وصولاً للكتاب الخامس.

أمسك بالكتاب، كان كتابًا في الفلسفة يُدعى (أسس غيبيات الأخلاق) للفيلسوف الألماني الشهير «كانت»

شعر بالدهشة، لماذا كُل تلك الألغاز وكُل هذه الرسائل المُشفَّرة ما دمنا سنصِل في النهاية لطريقٍ مسدودٍ، أمسك بالكتاب وأعطاه لها وهو يقول: «هل تعرفين شيئًا عن هذا الكتاب؟»

هزَّت رأسها وهي تحاول استدعاء المعلومات قبل أن تقول: «أسس غيبيات الأخلاق، كان أول عمل ناضِج للفيلسوف الألماني الشهير إيمانويل كانت على الفلسفة الأخلاقية، وأحد أكثر الكُتب تأثيرًا في هذا المجال، وجاء الكتاب مليئًا بالحجج بأن الصواب هو عمل يتحدَّد بطبيعة المبدأ الذي يعيش به الفرد»

« عظيم.. العديد من الأمور التي لا نهتم بها ولن تنفعنا في الوقت الحالي»

سمع شهقة عالية خرجت من بين شفتيها، نظر إليها وهو يقول: «ما الأمر يا ليلى؟ هل من خطبٍ ما؟»

هزَّت رأسها في إشارة بالموافقة، قالت بدهشةٍ: «هناك شيء خاطئ في هذا الغُلاف»

سألها: «ماذا تقصدين؟»

أشارت للغلاف وهي تقول: «هذا الغلاف نُسخة طبق الأصل من غُلاف الكِتاب الأصلي، لكن هناك فارقًا واحدًا بينهما، هذه الجُملة لم تكُن جزءٌ من الكتاب أبدًا»

«هل قرأتِ هذا الكتاب؟»

«أجل، قرأته منذ زمن بعيد»

« أرني إياه! أي جُملة تقصدين؟»

أشارت بيدها نحو جُملة صغيرة موجودة أسفل عنوان الكتاب، تبدو للوهلة الأولى كعنوانٍ فرعي للكتاب، لكنها بالفعل تبدو غريبة قليلاً.

«لا تحكم على الكتاب من غلافه»

لمعت عيناه بشدة وهو يُمسك بالغلاف ويدقّق النظر فيه، قال بلهجةٍ تُخفي انتصارًا كبيرًا: «كما قُلتِ، هذا ليس غلاف الكتاب، هذا غلاف مُزيَّف ملصوق فوقه»

مزَّق الغُلاف وهو يرى نُسخة طبق الأصل من الغلاف، مكتوب عليها بخط والده، الكتاب المجاور!

ألقى بكتاب كانت جانبًا وهو يعود للوقوف أمام المكتبة، أمسك بالكتاب المقصود، كان كتابًا عن الأساطير الحضرية القديمة المنسية، قال بحنقٍ: «كُل هذا الجُهد من أجل كتاب عن الأساطير المنسية؟»

فتح الكتاب ووجد ورقة صغيرة تختبئ داخله في خجل، كان خطابًا من والده، جلس على المقعد وبدأ بقراءته:

«عزيزي هادي..

ولدي الوحيد والصديق الذي تمنيّت أن أقضي معه المزيد من الوقت..

في حال لم أكُن بجوارك وأنت تقرأ هذا الخطاب، فهذا يعني أن المنية وافتني، أعرف أن هذا خبرًا سيئًا، لكن تأكَّد أنني لم ولن أسر أبدًا برؤيتك حزينًا مُستاءً..

في حال كانت الأمور على ما يُرام.. فليس للأمر أهمية، لا تُكمِل قراءة هذا الخطاب القصير!

لكن بوصولك لهذا السطر فأنت تعترِف لي ولنفسك بأن هناك أمرًا ما يحدث، أمرًا يشوبه القليل.. أو ربما الكثير من الغموض، لذلك.. أدعوك لتذكُّر الشيء المُشترك بين البيت وبين تلك الغُرفة، تذكَّر كيف وصلت بك الأمور إلى هنا

وفي حال احتجت للقليل من التركيز.. افعل ما اعتدت فعله وأنت صغير

تأمَّل الحائط الموجود أمامك، ربما حينئذٍ.. ستفهم كُل شيء!

والدك.. طاهر»

تأمَّل الحائط الموجود أمامه، كانت عادة اعتاد القيام بها منذ صغره، كُلما احتاج للتركيز تأمَّل أحد الحوائط الفارغة، أو حتى راقب السقف، لكن الحائط الموجود أمامه لم يكُن فارغًا، كان مُزدانًا بتلك الساعة التي شعر بكونها مألوفة نوعًا ما، تلك الساعة التي كان قلبه يؤكِّد له أنه قد سبق ورآها في مكان ما!

فجأة.. ضربته صاعقة الفهم فأنارت ظلام جهله، ربط بين الماضي والحاضِر، فهِم كُل شيء، فهِم ما الذي حدَث!

لم يكُن والده خائنًا.

لكنه فعل أمرًا لا يُغتفَر!

(16)

مشهد لم تُسجِّله كاميرات المُراقبة

عملية القبض على الشيطان «أقبض»

فتح طاهِر زجاجة الملح الصغيرة، بينما اندفع الشيطان الزجاجي نحوه، ألقى بالملح في وجه الشيطان، سمع الجميع صوت صرخاته، كان يصرُخ بألم وكأنه يحترق حيًا، لكنه لم يتوقَّف، استمر في اندفاعه نحو طاهِر الذي شعر بأنه مُحاصَر، لم يجد سبيلًا للهروب، بدا وكأن الاصطدام لا مفر منه..

قبل أن يحدث التصادُم، صرخ طاهِر في خوف، وصرخ الشيطان في ألم، أغلق عينيه، لكن شيئًا لم يحدُث، لم يشعُر بالتصادُم، لم يُصبه ألم من أي نوع، وهو الأمر الذي كان غريبًا بسبب حصاره.

فتح عينيه ورأى الشظايا الزُجاجية مُتناثرة أرضًا في كُل مكان، لكن هذا لم يكُن الشيء الوحيد الذي رآه، رأى أيضًا سحابة باهتة من الضباب الشيطاني وهي تنسحب بهدوء لتختفي داخِل ساعة الحائط التي سقطت أرضًا، وعلى الرغم من الألم الذي أصابه، وقف طاهِر بهدوء وهو يتأمَّل كاميرا المُراقبة المُعلَّقة على الحائط، عادةً ما ينيرها مصباح صغير بشكلٍ متقطِّع في دلالة على أنها تعمل، أما الآن.. فكانت خامدة شاحبة، لا تظهر بها أي دلالة تُخبره أنها تعمل، اطمئن قلبه قليلًا، اقترب من الباب وألصق أذنه به، سمع صوت أكرم وهو يفتح زجاجة الملح، فهِم ما يحدُث من فوره، أكرم يؤمن الباب أولًا تحسُّبًا لأي مُفاجآت، مد يده وهو يحاول السيطرة على الرعدة التي سرت في جسده بأكمله، وأغلق ترباس الباب المعدني من الداخِل، كان يعلم جيدًا أنه يملك دقائق قليلة.

سار نحو الساعة، أمسك بها وهو يهمس: «أعرف أنك تراني وتسمعني، سأخرجك من هنا، لكن لكُل شيء ثمن، سنتحدَّث فيما بعد»

أخفى الساعة والتي كانت ضخمة بعض الشيء داخل ملابسه، أخرج زجاجة عطر صغيرة من ملابسه، رش منها القليل وعلامات التأفُف تظهر على محياه، لكنه حاول سريعًا أن يداريها عن الأعين التي ستراه بعد قليل، لاحظ مقبض الباب وهو يتحرَّك مرة تلو الأخرى، كان أكرم يحاول فتح الباب من أجل الدخول إلى الغُرفة، ابتسم قليلًا في امتنان لصديقه الذي يحاول حمايته بشتى الطُرق، فتح الباب وخرج وسط دهشة الجميع، كان مُنهكًا بحق.. لذا لم يحاول التماسُك أو التظاهُر بأنه بخير أو على ما يُرام.

سأله أكرم في دهشة: «هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟»

هزَّ طاهر رأسه في ضعفٍ وهو يقول: «قتلته.. تبخَّر»

كان النُطق عملية مُرهقة في الوقت الحالي وفي الظروف الراهنة، خصوصًا مع التوتُر الشديد الذي يعتريه، دخل أكرم إلى الغُرفة وهو يفحصها بعينيه بشكلٍ روتيني بحثًا عن أي شيء قد يُفيدهما، لكنه لم يجد شيئًا سوى الحُطام المُتناثر يمنةً ويسارًا، شم رائحة الغُرفة بتمعُن، كانت رائحة بيض فاسِد مُحترِق، لم ينتبه لزجاجة العطر المُصنَّعة خصيصًا من أجل ترك مثل تلك الرائحة والتي استخدمها طاهِر قبل أن يخرُج، كانت الرائحة دليلًا كافيًا على موت الشيطان، هذا بخلاف الأثر المُحترِق الموجود على الأرض والذي ترك أثرًا بسبب ضعف الشيطان واقترابه من الموت قبل أن ينسحِب لداخِل الساعة، وهو الأمر الذي خدم طاهِر كثيرًا!

خرج من الغُرفة وهو يقول لطاهِر: «حسنًا يا صديقي، هيا بنا نعود للإدارة

لنملأ بعض التقارير قبل أن ننال قسطًا من الراحة»

هزَّ طاهِر رأسه نفيًا وهو يستنِد إلى الحائط بضعفٍ، همس قائلًا: «لا أستطيع، سأعود لمنزلي، أنت تعرف أنه قريب من هنا»

صمت وهو يبتلع آنة ألم كادت تخترِق شفتيه قبل أن يستكمِل حديثه: «أعلم أن هذا مخالِف للقوانين لكنني مُرهق»

ترك الجميع قبل أن يعترض أحدهم أو ينبس أيهم ببنت شفة، ليس هروبًا من نقاش أو جدال هو غير قادر على خوضه في الوقت الحالي، لكن خشية اكتشاف سره وانكشاف ساعته، وهو الأمر الذي يُخاطِر به في كُل لحظة تمُر عليه أمام أكرم.

بعد دقائق كان قد عاد إلى منزله، كان هادي في مدرسته، بينما كانت زوجته المسكينة طريحة الفراش لا تقوى على الحركة، شعرت به فأتاه صوتها ضعيفًا وهي تسأل: «من؟»

وضع الساعة على المنضدة الصغيرة الموجودة بجوار الباب، والتي كان عادةً ما يضع عليها مُشترياته واحتياجات المنزل فور دخوله، قبل أن يسير إلى غُرفتها وهو يقول: «أنا يا حبيبتي»

ابتسمت بحُزن وهي تقول: «أوحشتني، سامحني يا طاهِر»

ظهرت علامات الدهشة على وجهه وهو يقول: «علام يا حبيبتي؟»

سالت دمعة على وجنتها وهي تقول: « كوني غير قادرة على استقبالك عند الباب، لكنك كما ترى.. أنا غير قادرة على الحركة، أصبحت عاجزة يا طاهِر»

غمرته المشاعِر، فأمسك بيدها وقبلها بحنوٍ وهو يقول: «أنتِ حبيبتي وتاج

رأسي يا جميلتي، أما عن مرضك فهو اختبار لنا من الله عز وجل»

نظر بطرف عينه نحو الساعة قبل أن يُضيف: «أعدكِ أن الأمور ستُصبح على ما يُرام»

وقف وهو يسير نحو باب الغُرفة وهمس لنفسه: «قريبًا، قريبًا للغاية»

خرج من الغُرفة وهو شارد الذهن، لم يسمعها وهي تناديه قبل أن تغرق في طوفان من بكاء بسبب قلة حيلتها وعجزها اللذين شعرت بهما، أمسك بالساعة وهو يمشي نحو غُرفة بابها مُغلق في الناحية الأخرى من شقته، وعلى الرغم من كونه مُرهقًا أنهكه التعب، لكن حماسه لما هو قادِم جعله يتناسى الأمر بشكل مؤقت، الأدرينالين الذي تدفّق في عروقه سكّن آلامه قليلًا.

أخرج من جيبه مفتاحًا صغيرًا، فضّ به انغلاق الباب وهو يدلف للغرفة، قبل أن يُغلِق الباب من خلفه، وضع الساعة على منضدة في مُنتصف الغُرفة وهو يقول: «ألم يحن الوقت بعد؟»

دقّ قلبه بشدة حتى لآلمه وهو يُراقِب سحابة من الضباب الشاحِب تتجسَّد أمامه على شكل شيطان قبيح، بدأت ملامحه تتجلى من وسط الضباب، نظرة الشر التي تحتل عينيه، والابتسامة الساخرة التي ارتسمت على شفتيه، لم تجعلا طاهِر يحيد عن الأمر الذي بدأه، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يعرف أنه الآن.. خطا أولى خطواته في طريقٍ لا عودة منه!

***

مرَّت بضعة أيام منذ أتى طاهِر بالساعة إلى منزله، خبأها في تلك الغُرفة الصغيرة التي لا يملك مفتاحها ولا يستطيع أحد سبر أغوارها سواه، كان دائم التردُّد منها وإليها، يدخلها مُحمَّل بأشياء ملفوفة في حقائب سوداء

ويخـرج دونهـا ، اسـتمرَّت رحلاتـه إلى أن أتـى يوم عاد فيه للمنزل دون شـيء جديد ، وهو الأمر الذي كان مستغربًا كونه غيَّر من عادته الجديدة التي اكتسبها فجأة خلال الأيام الماضية.

أرسَـل بهـادي إلى شـقيقته وطلـب منـه المكـوث هنـاك عـدة أيـام، حـاول الصغير أن يسأل عن عدد الأيام التي سيغيبها عن المنزل، ربما ليأخُذ معه ما يكفي احتياجاته من ملابس أو خلافه، وربما ليُظهر اشتياقًا لوالدته المريضة، لكن والده كان شارد الذهن، لم يعطه إجابة شافية، أخرجه من المنزل في أسرع ما يُمكن، تجاهَل نداء زوجته وأغلق باب غرفتها دون أن يجيبها.

دخـل لغرفته الغامضـة، أغلق الباب من خلفه، أمسـك بقفص صغير كان قد أحضـره منذ أيام عدة، بداخله زوج من الغربان تطالعـه بأعين سـوداء لمعت تحت الضوء، قبل أن يخرج كتابًا قديمًا من درج مكتب خشبي احتلّ أحـد الأركـان، رفـع السـجادة التـي افترشـت الأرضيـة، فظهـر مـن تحتهـا رسمًا غريبًا كان قد دأب على نحتـه خـلال الأيام القليلة الماضية، دائرة تتوسطها نجمة خماسية، ومن بين أطراف النجمة رسـم رمزًا يُشبه جسـد انسان غير واضِح الملامح.

أخـرج الغربـان وهـو يذبحهـا واحـدًا تلـو الآخـر، دون أن ترتعِد يـداه أو يتردَّد ولـو للحظـةٍ، صفـى دمائهمـا في كأس زجاجـي بقاعـدة معدنية مُزخرفة برمـوز يُقبض القلـب لرؤياهـا، انتظـر قليـلًا وهـو يُقلّب صفحـات الكتـاب ويقرأ بعضها بتركيز إلى أن انتهت عملية التصفية، شق صدورهما وأخرج قلوبهما، حزَّها من مكانها وأمسك بها برفقٍ ولين، عرى نفسـه تمامًا، قـرأ صفحـة بعينهـا مـرة أخـرى في الكتـاب، قبـل أن يضـع الكتـاب جانبًا.

مـد يـده في كأس الـدم، لوثّـه بالقليل قبل أن يبدأ في الرسـم على جسـده، رسم رموزًا شيطانيًا، كلمات بلغات عديدة لم يفهم أغلبها، لكنه كان

يحفظها عن ظهر قلب، انتهى وبدا جسده شبيهًا بصفحة من كتاب سحر قديم، استلقى في مكان الجسد المرسوم وسط النجمة، أمسك بالكأس وهو يضع قاعدتها في فمه، قبض عليها بأسنانه جيدًا، أمسك بقلبي الغرابين ووضع واحدًا فوق كُل عين، وبدأ يُردِّد بضع كلمات بلحنٍ شيطاني، كان كلامه غير واضِح نظرًا لكون قاعدة الكأس داخل فمه، لكن اللحن كان شيطانيًا بما يكفي لتسري رعدة في جسده العاري.

انتهى من ترديد الكلمات المطلوبة، وطفق ينتظر، لا يملك الآن إلا الانتظار ولا شيء غيره، سمع صوت الخدش بعد قليل، لم ينتظر كثيرًا، بدأ الصوت يزداد، وازدادت معه رائحة الكبريت المُميِّزة، كان يعرف أن صراعه مع أقبض أضعف من قواه كثيرًا، لكنه لم يستطِع السيطرة على شعور الخوف الذي امتدّ من قلبه الوجِل ليُسيطر على باقي أعضاء جسده.

حاول السيطرة على الرعدة التي انتابت أطرافه وهو يسمع صوت الخدش يقترب منه، لكنه ظلّ محافظًا على العهد، مُغلقًا عينيه دون حراك وسط الدائرة، شعر بأنفاسٍ ساخنة تلفح جسده حتى لتكاد تحرقه، أحكم إغلاق عينيه، لم يجرؤ على فتحهما، شعر بالكأس يرتفع ببطء، حرّره من بين أسنانه، تركه لمصيره، سَمِع صوت البلع، كان يتجرَّع الكأس بنهمٍ غير طبيعي!

من هو؟

الأقبض دون شك!

توقَّف صوت التجرُّع فجأة، ساد الصمت للحظاتٍ طالَت، قبل أن يشعر باقتراب الأنفاس الساخِنة من وجهه، لم يفتح عينيه، لكنه تخيَّل الأمر،

تخيَّل وجهه القبيح وهو يقترب من وجهه، يتأمَّله، يتفحَّص قسماته.

ازدادت دقَّات قلبه لأنه كان يعلم أنه الآن يعيش اللحظة الحاسِمة، اللحظة التي ستتغيَّر فيها كُل الأمور، إما أن تنقلِب رأسًا على عقِب، أو تسير على ما يُرام.

كان يعرف أن الخطوة التالية هي التي ستحسم الأمر بأكمله، لكنه كان يعرف كذلك أنه لا يُمكِنه الوثوق في شيطان مريد.

وحدث ما كان ينتظره، شعر بأصابع أقبض ذات المخالب الطويلة وهي تُمسِك بواحِد من القلوب، سمع صوت المضغ الذي دام للحظات قليلة، قبل أن تتكرَّر العملية مرة أخرى، التهم أقبض القلبين قبل أن يسود الصمت، سيطر على الغُرفة فلم ينبس طاهِر بأي كلمة، حتى التنفُّس حاول أن يمتنع عنه لدقيقة أو اثنتين ريثما تستقِر الأمور.

طال الصمت، شعر طاهِر باليأس يتسلَّل إلى قلبه، كاد يفتح عينيه، في اللحظة الأخيرة سمعه

صوتًا أجشًا يغلب عليه الصدأ، سأله بفضول: «ماذا تريد؟»

ابتسم طاهِر وفتح عينيه للمرة الأولى، لكنه لم يتوقَّع أبدًا ما رآه أمام عينيه في تلك اللحظة!

***

بدأت حالة زوجته الصحيَّة في التحسُّن قليلًا بعد تلك الليلة، قالوا إنها مُعجزة، ودوا لو شقوها بالمشارِط وفحصوها بحثًا عن سبب التحسُّن المُفاجئ، لكن طاهِر لم يسمَح لهم بالاقتراب منها، فسَّروا الأمر بأنه لا يثق بهم، لكن الحقيقة كانت أنه لا يفهَم كيف ساهَمت صفقته

في تحسُّنها الملحوظ، خشي أن يكشف الفحص عن شيء لا يريد له الظهور، لذلك اكتفى بتوجيه الشُكر لهم قبل أن يطردهم جميعًا من منزله بحجة أنها تحتاج للراحة.

كانت تلك هي الليلة الأولى منذ هاجمها المرض اللعين التي تعتدل فيها وتجلس في الفراش، بالطبع كانت مُستندة إلى وسادة وثيرة، ابتسمت رغم ضعفها، للمرة الأولى ليست طريحة الفراش عاجزة عن الحركة، للمرة الأولى تحملق بشيء آخر غير السقف القديم الذي حفظته عن ظهر قلب.

سألته عن سبب تحسُّنها، كان قلبها يخبرها أن له يد في الموضوع، خصوصًا أن القلق والتوتُر بديا عليه، لم يكن طاهر نفسه منذ تلك الليلة، تبدَّل حاله كثيرًا، أضحى قلقًا كثير الشرود، بدا وكأنه يحمل سرًا فوق كتفيه، وهو الأمر الذي زاد من انحناءة ظهره التي لازمته في الفترة الأخيرة.

بالطبع لم يخبرها عن العهد الذي أبرمه مع الأقبض، أن يُساعِده في شفاء زوجته، مُقابل حريته، ألا يزج به في قفص من أقفاص الحديقة، كانت صفقة من طراز فوز، فوز، فاز جميع الأطراف، لكنه احتفظ بالساعة في بيته، لسببٍ لم يعلمه سواه.

كان ضميره يؤلمه، احساسه بالذنب يقتله كُل يوم، يعرف أنه فعل شيئًا يُخالِف مبادئه، صحيح أنه لا يرقى لكونه خيانة، لكنه خاطئ.. بكُل تأكيد هو أمر خاطئ.

لذلك عَكَف في الفترة الأخيرة على البحث في المُجلدات والكتب القديمة، أدمن قراءة كُتب السحر التي احتفظ بها في المكتبة الموجودة في غرفته منعًا للقيل والقال، كان يبحث عن طريقة يقضي بها على

أقبض دون مقاومة من طرفه، كان يعرف أنه في ظل الحالة السيئة التي تعتريه في الوقت الحالي على الصعيدين الجسدي والذهني، فأي صراع -من أي نوع- سينشب بينه وبين أقبض.. ستكون الغلبة فيه للأخير!

لذلك بحث عن طريقة لحرقه، حبسه، أو صرفه، وكانت الثانية هي التي انصبّ عليها جهده، أراد أن يعرف كيف يحبسه في ساعته التي يسكنها، كان بإمكانه أن يأتي به إلى هنا، لكن حينئذ سيفهم أقبض ما يحدُث، وربما كانت ردة فعله أكبر من قدرة طاهِر على الاحتمال!

تغيَّر كُل شيء في الليلة التي فقد فيها طاهِر تركيزه، كان منهكًا ومرهقًا، انهمك في قراءة كتاب عن تقييد الجان، لكنه لم يستطِع التركيز، قرّر أن يأخذ إذنًا من الإدارة للمبيت في داره، يحتاج لهذا كثيرًا، نسي من فرط إرهاقه أن أقبض في انتظاره في المنزل، حبيس الساعة -بإرادته- بدلًا من أن يكون حبيس قفص رسمي، ووقع الفأس في الرأس.. رأى أقبض الكتاب، فهِم ما يدور، ووضع خطته.

انتظر اليوم المُناسِب قبل أن يخرج ليُنهي ما بدأه، صحيح أنها ليست النهاية الصحيحة.. لكنها النهاية التي تليق برجل يبحث عن طرق لتقييده وسلب حُريته منه بعد أن ساعده!

انتظر إلى أن عاد طاهِر إلى العمل، انتظر اللحظة المُناسبة، ساعة السحر كما يطلقون عليها، الساعة التي تتحد فيها شرور الأرض وتقوى فيها الشياطين، وخرج من ساعته، كما ساعده في شفائها وتحسُّن حالتها، سيحرمه منها بشكلٍ نهائي، علّه يتعلّم درسًا من الأمر برمته.

في تلك الليلة كاد يتراجَع عما في نيته، ظهور هادي المفاجئ أربكه قليلًا، جعله يتبعه.. فكّر للحظة في التخلّص منه بدلًا منها، ألم فقدان الطفل عادةً ما يكون أشد وطأة من ألم فقدان شريك الحياة، لكنه حاد

عن الفكرة بعد قليل، اكتفي بدس القليل من الرعب في قلب الفتى قبل أن يعود لخطته الرئيسية، من السهل تعويض الطفل بآخر، لكن شريك الحياة.. لا عوض له!

ليلتها.. عاش هادي أكثر ليلة مُرعِبة في حياته، وماتت زوجة مسكينة بسبب عهد لا دخل لها فيه!

وبدأ صراع جديد بين طرفين يبحث كل منهما عن طريقة للتخلُّص من الآخر!

لكن طاهِر كان ذكيًا، ترك الساعة في المنزل كان يعني المُخاطرة بتكرار الأمر، على الرغم من عقدة الذنب التي اعترته، وغصة الحُزن التي تركت أثرًا في مؤخرة حلقه، إلا أنه أجبر نفسه على التفكير بشكلٍ منطقي.

وجود الساعة هنا.. مُخاطرة، لكن في حال نقلها للإدارة.. سيكون في أمان، خصوصًا لو وضعها في غُرفة معمله الخاص، المزوَّد بتقنيات كاشفة للحركة، والمزوَّدة -كذلك- بالكاميرات الكاشفة للشياطين، وأجهزة قياس الموجات، وغيرها من الأجهزة التي ستكشف أمره فور خروجه من الساعة ولو للحظة واحدة فقط!

بدت له فكرة صائبة، لكن نجاح الفكرة كان يعتمِد على شيء واحد فقط لا غير، أن يظل حيًا ليُتابِعها عن كثب، لكن من ذا الذي يضمن أن يظل يتنفَّس لدقيقةٍ قادمة؟

رحل طاهِر وترك الأقبض خلفه، داخِل الغُرفة.. لم يدري أحد بوجوده إلا حين تحرَّك، أمسكت به الكاميرات الخاصة، وكُشِف سر طاهِر بعد رحيله ليبدأ التحقيق الرسمي!

(17)

«لم يكُن خائنًا!»

همس بتلك الكلمات وعيناه تتسعان في ذهول، فَهِم الأمر، بالطبع لم يستطِع ربط كافة الخيوط سويًا، لكنه امتلك من المعرفة ما يكفيه لفهم القليل من الأمر، وامتلك من الخيال ما يكفيه لتوقُع الباقي!

سألته ليلى في فضول: «هذا خبر جيد، أليس كذلك؟»

عضّ شفته السُفلى في مرارة وهو يقول: «خبر جيد له، لكنه خبرًا سيئًا بالنسبة لنا»

تأمَّلته في حيرة وهي تقول: «لا أفهَم»

أشار بيده نحو الحائط المواجِه له وهو يقول: «بدأ الأمر بتلك الساعة، انظرِ لهذا الجزء»

أعطاها الخطاب وهو يُشير إلى سطرٍ بعينه، قرأته في فضول:

«أدعوك لتذكُّر الشيء المُشترك بين البيت وبين تلك الغُرفة، تذكَّر كيف وصلت بك الأمور إلى هنا.

وفي حال احتجت للقليل من التركيز.. افعل ما اعتدت فعله وأنت صغير

تأمَّل الحائط الموجود أمامك، ربما حينئذٍ.. ستفهم كُل شيء!»

قرأته مرة تلو الأخرى، لكنها لم تفهم بعد، نظرت إليه وظهرت على وجهها علامات البلاهة التي أخبرته بوجوب شرح الأمر، بدأ بشرح الأمور في قليلٍ من التبسيط: «الشيء الوحيد المُشترك بين البيت وتلك الغُرفة هي

تلك الساعة اللعينة، أما عن جُملة «تذكَّر كيف وصلت بك الأمور إلى هنا».. فعلى الأرجَح يقصد بها سبب وجودي في تلك الإدارة، وهو الأمر الذي بدأ في الأساس بموت والدتي -رحمة الله عليها- وبالتالي.. فتلك الساعة لها علاقة بوفاة والدتي»

بدأت ليلى تربط القليل من الخيوط سويًا بدورها، سألته في فضول: «هل تقصد أن تلك الساعة هي التي قتلت والدتك؟»

كان سؤالًا غبيًا، كانت موقنة بذلك، لكنها لا تزال لا تفهم الكثير من الأمور، وكانت تلك هي طريقتها في استدراجه لاستكمال حديثه، وهو الفخ الذي وقع فيه برضا تام، أكمل حديثه قائلًا: «في الليلة التي ماتت بها أمي رأيته، كاد يقتلني لولا أن كان لي من الأيام نصيب لأحياه، لكنها كانت مريضة.. لم تستطِع الدفاع عن نفسها أو الهروب منه، في البداية.. كانت حالتها سيئة للغاية، لكن في يوم من الأيام.. دخلت تلك الساعة حياتنا، وبدأت حالتها الصحيَّة في التحسُّن في أمرٍ يُشبِه المُعجزة، الآن.. فهمت كُل شيء»

صمت قليلًا قبل أن ينظُر لها مُتسائلًا: «وأنتِ.. هل فهمتِ الأمر؟»

هزَّت رأسها أن لا، لم تفهم شيئًا مما قال بعد، قال في صبرٍ: «تلك الساعة هي مسكَن ذلك الشيطان، بيد أن والدي قد اتفق معه على شيءٍ ما، مُقابِل دفعه كي يُساعده الشيطان في علاج والدتي، لكنهما اختلفا.. وكانت النتيجة أنه قتل والدتي»

سألته في سُرعة: «هل تظن أن هذا المُقابِل هو أن يُساعده والدك على دخول الإدارة دون أن يكون محبوسًا في قفص مثل باقي أقرانه؟»

هزَّ رأسه نافيًا الأمر قبل أن يقول مُبررًا رفضه: «لا، لأن والدي لم يأتِ به إلى هنا إلا بعد وفاة والدتي، وليس قبلها.. وبالتالي لو كان هذا اتفاقهما..

ما التزم آبي بجزئه من الاتفاق بعد موتها»

سألته في غير فهم: «إذا لماذا أتى به إلى هنا؟»

قال في حُزن: «يبدو أنه كانت لديه أسبابه، لكنني لا أعرفها بعد»

وقف واتجه نحو الباب بخطواتٍ سريعةٍ، سألته في حيرة: «أين ستذهب؟»

قال دون أن يتوقَّف: «يجب أن أخبِر المُفتِّش بكُل شيء، سيساعدني كي أفهم لماذا أتى والدي بهذا الشيطان إلى هنا، مُقابِل أن أخبره بكُل ما أعرِف عن هذا اللعين»

سألته: «هل تريد مني أن أرافقك إلى هنا؟»

هزَّ رأسه وهو يعبر الباب قائلاً: «لا.. أريدكِ أن تظلي هنا، أن تجدي كُل ما يُمكِن إيجاده من أجل تسهيل مُهمة المُفتِّش، أن تكشفي كُل ما تقدري عليه من أسرار، أريد لهذا الغموض أن ينجلي، أريد لشمس الفهم أن تُشرِق»

نظر لها مُتسائلاً: «هل يُمكنكِ أن تهبيني هذا الشروق؟»

ابتسمت وهي تهز رأسها بالموافقة، خرج من الغُرفة وأغلَق بابها خلفه دون أن ينبس بكلمةٍ أخرى.

نظرت نحو الباب المُغلَق دون أن تنتبه لعقارِب الساعة التي بدأت تتحرَّك من خلفها، استقرَّت على ٢:٣٣ قبل أن ينطلِق عقرب الثواني في رحلة مُملة من الدوران حول محوره.

انتبهت لصوته بغتةً وهي تلتفِت لتُطالِع الساعة، انعقد حاجباها وهي تهمس لنفسها: «يبدو لي أن تلك الساعة لم تكُن تعمل منذ لحظات!»

ابتسمت بعصبية كي تصرف الخوف عن قلبها قليلًا قبل أن تقول: «يبدو أنها ليلة طويلة!»

بدأت البحث بين الأشياء الموجودة فوق سطح المكتب دون أن تعرف مدى صدق كلماتها!

***

تحرَّك هادي بخطواتٍ سريعةٍ وقودها الحماس بين ممرات الإدارة، تخطى مكاتب غير عابئ للتحيات التي انهالت عليه من بعض زملائه، كان شاردًا يُفكِّر في السر الذي اكتشفه قبل قليل، سر من شأنه أن يغيِّر كُل شيء، قادر على قلب كُل الموازين، لكن عليه أن يجد المُفتِّش أولًا، وأن يقص عليه كُل ما حدث بعد ذلك، راجيًا من الله أن يتقبَّل الأخير فكرة أنه لم يلتزِم بالقانون وأنه قرَّر اقتحام غُرفة والده دون إذن رسمي من أي شخص من الموجودين هنا.

ناهيك طبعًا عن خوفه من ثورة أنوبيس الذي بالكاد يُغض بصره عن الأخطاء التي ارتكبها هادي منذ بدأ الأمر.

لكنه كان يعرف أن ما في جعبته من أسرار الآن كافٍ ليكبح جماح غضب أنوبيس، وكافٍ ليجعل السيد أديتيا يغض البصر عن اختراقه لحفنة لا بأس بها من القوانين.

كان يعرف غُرفة المُفتش، ويعرف كذلك أنه يحبِّذ البقاء فيها طالما كان غير مُنشغل بالبحث أو التحقيق في أمرٍ ما.

كانت غُرفة المُفتِّش هي آخر غُرفة في الطابق الرابع، وهو طابق مهجور نوعًا ما كونه مُعَد لاستقبال الضيوف الذي لا تملك الحديقة منهم سواه في الوقت الحالي، بدأ التوتُّر يسكنه مع كُل خطوة يقتربها من الغُرفة،

الطابِق خالي تمامًا، لا يسمع شيء سوى صوت طرقات حذائه على الأرض المصقولة جيدًا!

وقف أمام باب غُرفة المُفتِّش، تنفَّس بعُمق قبل أن يطرق الباب، الذي انفتَح أمامه في اللحظة التي لمسه فيها، كاشفًا عن غُرفة غارقة في ظلام دامس، كاد قلبه أن يتوقَّف وهو يشعر بالذعر، هذا ليس طبيعيًا، تنفَّس بعُمقٍ مرة أخرى وهو يهمس لنفسه: «ربما ترك باب غُرفته مفتوحًا بعض الشيء من أجل الحصول على قليلٍ من الهواء النقي!»

كان يعرف أنها مُجرَّد كذبة خلقها عقله في محاولة لتهدئة قلبه بعض الشيء، نادي بصوتٍ عالٍ بعض الشيء: «مرحبًا!»

لم يأته أي رد، مدّ عنقه قليلًا في محاولة بائسة لتبيُّن أي من الموجودات بالداخِل، لكنه لم يرَ شيئًا، رفع صوته قليلًا: «سيد آديتيا؟ هل أنت هنا؟»

صمت.. لا شيء سوى الصمت!

نهش القلق قلبه، وساق الفضول قدميه فتقدَّم خطوة للأمام، زادت دقَّات قلبه، لم يعرِف هل كان ما يراه الآن بسبب التوتُّر الذي يملأ روحه أم أنها الحقيقة، لكن الغُرفة كانَت تسبَح في ظلام دامس، ظلام شيطاني، لا تستطيع شموس الكون كُله أن تسبر أغواره.

تقدَّم خطوة أخرى للأمام، حاول أن يرى أي شيء، لكن الظلام كان مسيطرًا على كُل شيء، وهو الأمر الذي اضطرَّه للتقدُّم خطوة أخرى للأمام، بمُجرَّد أن استقرَّت قدمه على الأرض، شعر بنسمة من الهواء البارِد تعبر خلال جسده قبل أن يسمع صوت باب الغُرفة وهو يُغلَق بقوة من خلفه، التفت للخلف وهو يهمس بصوتٍ يرتعِد: «لا.. لا.. لا لا لا»

تذكَّر ما حدث معه في غُرفة مكتب والده، أمسك بمقبض الباب وحاول

أن يفتحه، لكن الباب لم يستجِب له، حاول مرة تلو الأخرى لكن الباب أبى أن ينصاع لأوامره وتمسَّك بحقه في أن يظل مُغلقًا.

سَمِع صوت خطوات خافتة تتحرَّك من خلفه، فوَّت قلبه دقة وهو يكاد يتوقَّف هلعًا، التفت للخلف لكنه لم ير شيئًا، لم تستطع عيناه أن تعتادا هذا الظلام بعد، تذكَّر هاتفه، مدَّ يده في جيبه وفتح كشَّافه، حاول الضوء أن يخترق الظلام، الذي بدا وكأنه مصنوع من ضباب اسفنجي غامض، تبدَّدت أشعة الضوء وكأنها لم تكُن.

حاول هادي التماسُك قليلًا، لكن صوته خرج مُرتعدًا رغمًا عنه وهو يصدَح مُتسائلًا: «هل من أحد هنا؟»

هذه المرة لم يأته الرد على هيئة إجابة، شعر بشيء ما يتدحرج على الأرض، اصطدم بساقه برفق قبل أن يستقر تحت قدميه، ارتعد هاتفه المحمول في يده قليلًا، قبل أن يُقرِّر التماسُك، كبت القشعريرة التي أصابته وهو يوجِّه الهاتف للأسفل، هذه المرة -على غير العادة- استطاع الهاتف أن يُضيء المكان قليلًا ليرى ما استقر تحت قدمه.

وحينها.. اكتشف ماهيته!

رأس السيد أديتيا مالهوترا.

المُفتِّش المسؤول عن التحقيق الرسمي!

عيناه الفارغتان من الحياة كانتا مفتوحتين على اتساعهما، وشفتاه الزرقاوين مفتوحتين بشكلٍ أخبره أنه كان على وشك الصراخ حين قُطِع رأسه، تدلَّت بعض العروق والقليل من قطع الجلد المُمزَّق في نهاية رقبته المقطوعة، وعلى الرغم من أن أديتيا لم يمتلك الوقت الكافي ليصرُخ قبل أن تُقطَع رأسه.. إلا أن هادي امتلك وقت الدنيا بأكمله كي يصرخ

صرخة مليئة بالخوف والفزع.

وعلى الرغم من رغبته العارمة في الصراخ، إلا أن اليد الباردة التي أحاطَت به من الخلف، والتفَّت أصابعها الطويلة حول فمه لتمنعه وأدت الصرخة داخل صدره، انتفض جسده وهو يقفز من مكانه، لمسته اليد لثانيةٍ واحدةٍ.. فقط كي تمنعه من الصراخ.

توقَّع أن يلتفت ليجد نفسه وحيدًا في الغُرفة، لكن هذه المرة رآها.. كانت تقف خلفه!

راقبها، وبداخله تتضارب المشاعر، بين الحنين للقاء تمنَّاه كثيرًا، وخوف من استحالة هذا اللقاء، ارتعد جسده وفكه يسقط للأسفل، تأملها فاغِر الفاه، مُرتعد الجسد، ومليء بالخوف!

أمام عينيه كانت تقف والدته الراحلة، قال بهمسٍ: «أماه!»

قالت في حُزن: «أهذه هي الطريقة التي تستقبل بها والدتك بعد طول غياب؟»

في الظروف العادية كان ليشعر بالحرج، كان سيقول لها مُرتبِكًا: «عفوًا يا أمي، لا أقصد بكُل تأكيد»

لكنها ميتة، ميتة من أمدٍ ليس بقريب، وبالتأكيد الموتى لا يعودون للحياة مرة أخرى! هذا أمر لا نقاش فيه بكُل تأكيد، نظر بطرف عينه نحو باب الغُرفة المُغلَق، قبل أن تتحرَّك عيناه رغمًا عنه لرأس المُفتِّش المُلقى أرضًا، بالتأكيد ما يقف أمامه الآن.. مُنتحِلًا شخصية والدته هو من قتل المُفتِّش بكُل تلك الوحشية، لكن من هو؟ أو بمعنى أصَح.. ما هو؟

هل هو مُتشبِّه؟ هل هو شيطان قادِر على التشبُّه بالبشر؟ أم تراه شيطان

قادِر على التلاعُب به ليجبره على رؤية ما يريده أن يراه؟

هل هو.. هل هو الشيطان الذي قتل والدته؟

شهق وتلك الفكرة تتضخَّم داخِل رأسه، سحقت باقي الأفكار الأخرى لتظل وحيدة بداخله، سيطرت على كُل شيء، واتخذت من خوفه برهانًا على صحتها، هل هو الشيطان الذي قتل والدته؟

طارت علامة الاستفهام كالبالون داخل روحه، تتخبَّط في جنباته لتترك ندوبًا لن تُمحى آثارها أبدًا!

قال في خوف: «لكن.. لكن هذا مُستحيل!»

قالت غاضبة: «أنت ولد عاق، لا تهتم لأمك العجوز، هل نسيت أنك السبب في موتي؟!»

اتسعت عيناه هلعًا، هل كان سببًا في موتها بالفعل؟

استمرَّت في نوبة غضبها وهي تصيح: «طوال حياتي كُنت موجودة من أجلك، كُلما احتجتني وجدتني، لتشكو لي همّك وتحملني ما لا طاقة لي به، دون أن تفكِّر في مدى تأثير كلماتك على نفسيتي وحالتي الصحية»

علم وقتها أنه مُخطئ، قال له رجل حكيم ذات يوم: لا تقص مشاكلك على والديك، فتستريح أنت ويتعبان هما قلقًا عليك!

حاول أن يعتذر عما فعل، قال وهو يشعر بغصة في قلبه: «أنا آسف، لم أقصد حقًا أن أكون سببًا في أي شيء يؤذيكِ»

هل هذا صحيح؟ هل يخوض جدالًا مع والدته الميتة؟ هل هذا منطقي؟ لكن ما الذي بيده أن يفعله بخلاف هذا؟ الباب مُغلَق وأي محاولة

للمقاومة أو الهروب.. سينتهي مثل المُفتِّش، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يتأمَّل عيني الأخير الخاليتين من الحياة والمليئتين بالهلع!

صاحب بغضب: «وأنا؟ ما ذنبي فيما حدث؟ حاول والدك مُساعدتي قبل أن يفشل وتخرج الأمور عن السيطرة، وها أنت ذا.. تتبع خطاه كالأحمق، على الأقل فعل كُل ما استطاع يومًا لمُساعدتي، أما أنت؟ فأحمق، مُجرَّد أحمق تسبَّب في قتل أمه، والآن يحاول التظاهُر بالبطولة»

لم تكُن أمه قاسية أبدًا!

لكن الحقيقة كانت قاسية أبد الدهر!

تجاهل الألم الذي اتخذ من قلبه مسكنًا والخوف الذي عشَّش في قلبه وهو يقول: «أنا لم أتسبَّب في قتلكِ يا أمي»

دفعته بعيدًا عنها في غضب وهي تقول: « حقًا؟ لماذا لم تعد إلى غرفتك ليلتها؟ لماذا قُدته إلى غُرفتي؟ لماذا لم تُضلِّله؟ لماذا لم تواجهه؟ لماذا لم تفعل أي شيء في مواجهة شيطان غاضِب سوى أن تدله على غُرفة والدتك المريضة! العاجزة عن الحركة! الغير قادرة على الدفاع عن نفسها!»

كانت مُحِقة! حتى لو كان طفلًا غير قادِر على الدفاع عن نفسه، فكُل ما فعله هو قيادة شيطان غاضِب لأمه المريضة العاجزة حتى عن الدفاع عن نفسها، هذا صحيح.. حتى لو كان الأمر غير مقصود!

قال مُعتذرًا: «أنا لم أكُن أقصد حقًا، كُنت طفلًا مذعورًا يشتهي الأمان، يبحث عن اطمئنان لم يجده سوى في القُرب من والدته!»

وعلى الرغم من الشعور الذي بدأ يتنامى بداخله بأنه مُخطئ، لكنه بدأ يشعر بالقليل من الخوف يتسلَّل إلى قلبه، في النهاية هو يُخاطِب امرأة

ميتة، صحيح أنها والدته.. وأنه تمنى رؤيتها والحديث معها، لكنه في النهاية يقف أمام شيطان يخدعه ويتخذ من شكلها وملامحها مخبئًا يختفي خلفه.

قرَّر أن يضع حدًا لوجودها الغير مفهوم في هذا المكان، سألها: «لماذا أنتِ هنا؟»

قالت وهي تستشيط غضبًا: «أنا هنا من أجل الانتقام!»

أنهت جُملتها وهي تسعل بشدة، وعلى الرغم من كونها عائدة من الموت، إلا أن حالتها الصحية كانت لا تزال سيئة، هاجمتها نوبة من السُعال الحاد، وضعت يدها على فمها، لكن نوبة السعال كانت أقوى منها، حاولت أن تتحدَّث، أن تقول شيئًا، لكنها كانت أضعف من أن تفعل هذا.

استمرَّت في السعال، هذه المرة اقترب منها وأمسك بساعدها، لم تقاومه.. كانت مشغولة بمقاومة نوبة السعال الحادة التي لا تتوقَّف، بعد بضع ثوان.. بدأت الأمور تزداد سوءً، وجاء الرذاذ المُتطاير من فمها مصبوغًا باللون الأحمر، اصطبغ لعابها بالدماء، سقطت على ركبتيها، بجوار الرأس المقطوع تمامًا، حاولت أن تقول شيئًا، لكنها لم تقدر على ذلك.

نوبة السُعال لا تتوقَّف، والدماء لا تقل!

سقطت والدته أرضًا، اصطدم وجهها في الأرض بقوة خلعت قلبه من مكانه، صرخ وهو يعدل من وضعها، أمسك بها برقة وهو يسجيها على ظهرها، كانت عيناها شاخصتين وتراقِب سقف الغُرفة.

هذه المرة لم تعُد تسعل من الدماء رذاذًا، لم تعُد تقاوم نوبة السعال الحادة.

هذه المرة لم تعُد تفعل شيئًا.

للأبد!

لفظت أنفاسها الأخيرة مرة أخرى، هذه المرة أمام عينيه، احتضنها وهو يصرخ، سالت الدموع من عينيه وهو يرتجف، لم يصدِّق أنها ماتت مرة أخرى، دون أن يستطيع فعل أي شيء، تمامًا كالمرة الأولى، شهق وهو يكاد يختنق بالحزن الذي احتل صدره.

لكنه سمع صوت غريب للغاية، صوت شهيق مكتوم، كأن والدته ابتلعت شخصًا وهو الآن يشهق بداخلها، ابتعد عنها قليلًا وهو يمسح الدموع عن عينيه.

أمام عينيه الشاخصتين رأى جسدها الضعيف يهتز، ترتجف كأن سلكًا عاريًا من الكهرباء يحتضن جسدها، تحولت بشرتها للون الأبيض الشاحِب، بينما بدأت عروقها تظهر من تحت جلدها، الغريب.. أنه كان بإمكانه رؤية الكثير من العروق الزرقاء الغريبة وهي تزحف فوق جلدها وتنتشر في سائر أنحاء جسدها، جسدها الذي لا يتوقَّف عن الارتجاف، شحوب لونها يقبض قلبه بشدة، هذا الشحوب ليس إشارة صحية أو شيء جيد، تراجع للخلف وهو يُراقِب تلك العروق الزرقاء تتفرَّع وتنتشر فوق جلدها كخريطة لجحيم شيطاني.

فجأة.. فتحت عينيها وشهقت بقوة!

تحوَّلت شفتيها للون الأزرق القاتم بينما كانت عيناها بلا إنسان عين، مُجرَّد لون أبيض فحسب دون بؤبؤ أو ما شابه، صرخت وجسدها ينتفض قبل أن يرتفع وسطها من على الأرض بقوة، كانت أشبه ما يكون بنصف دائرة مرسومة فوق سطح الأرض المستوي، انثنى جسدها بشكلٍ غير طبيعي، شهق وهو يتراجَع للخلف، ابتعد عنها -رغم خوفه عليها- لأنه

يعرف يقينًا أن الذي يراه ليس طبيعيًا أبدًا، صرخت وجسدها ينثني أكثر لدرجة أنه سمع عظامها وهي تتكسر بصوتٍ جمّد الدم في عروقه وشلّ قدرته على التفكير المنطقي.

صرخت بألم بصوتٍ مُخيفٍ وهي تقول: «أريد.. الانتقام»

تهشمت المزيد من العظام داخل جسدها وهي تصرخ بصوت أجش للغاية، فجأة.. انتهى الأمر.

سقط جسدها أرضًا، توقفت عن الصراخ، توقفت عظامها عن التهشم، ساد الصمت تمامًا وكأنه سيد هذا الكون.

فجأة.. وقفت على يديها وقدميها في وضع تشريحي غير طبيعي، استندت على يديها ورفعت جسدها عن الأرض، ما زال وجهها وبطنها يواجهان سقف الغُرفة، لكنها - بطريقةٍ ما - بدأت في الزحف نحوه، تتحرّك بطريقة آلية مُخيفة، وضعها التشريحي يجعلها أشبه بحشرة من الجحيم تقترب منه.

لم يفهم ما الذي يحدث أمامه، في البداية طمأنه بطئها ومنحه الوقت ليراقب ما يحدث مشدوهًا، لكن سرعتها بدأت في الازدياد وهي تقترب منه، طحن أسنانها يجعل الشعيرات الموجودة على مؤخرة عنقه تتوقّف، ودقات قلبه تزداد بسُرعة غير طبيعية، قفزت نحوه بغتة وهي تفتح فمها عن آخره ليرى لسانها وقد تحوّل للون الأزرق واستطال للغاية.

ابتعد في اللحظة الأخيرة، ألقى نفسه بعيدًا عنها، راقبها بعينين مفتوحتين عن آخرهما وهي تلف جسدها في الهواء قبل أن تصطدم في الحائط وتعتدل لتقف عليه، لم يُخطئ حين وصفها بالحشرة، كانت تقف الآن وهي تحافظ على وضعها التشريحي المُستحيل على الحائط أمامه، راقبها وهي تلعق شفتيها اللتين تحولتا للون الأسود قبل أن تنقض عليه مرة أخرى،

ابتعد عن طريقها للمرة الثانية، يحافظ على موقفه الدفاعي لأنه لا يفهم حقًا ما الذي يحدث أمامه.

سقط على ظهره، كانت قريبة منه، انقضّت عليه واعتلته، ربضت فوقه ولسانها الأسود يتلاعب في الهواء بطريقةٍ مُخيفة ومُقزّزة في الوقت ذاته، سال لعابها فوق جسده فانتفض وهو يصرخ، شعر كأن حمضًا لامس بشرته للتو، دفعها من فوقه وهو يبتعد عنها زحفًا على مؤخرته، في الوقت ذاته مسح لعابها عن وجهه بكم قميصه، انقضت عليه مرة أخرى، انتظر اقترابها منها قبل أن يبتعد لتصطدم بالحائط بقوة، رأى الحائط يتشقّق في المكان الذي اصطدمت به، وتخيّل نفسه لو كانت اصطدمت به بهذه القوة!

وقف وهو يحاول الابتعاد عنها، لكنها انقضّت عليه مرة أخرى، حاولت الإمساك به، لكنه غيّر اتجاهه سريعًا، بيد أنها نجحت في القبض على قدمه، حاول التملّص منها، لكنها كانت قوية شرسة، غرست أنيابها في قدمه فانتفض ألمًا وهو يصرخ، سقط أرضًا ولف جسده بسُرعة قبل أن يركلها في وجهها مرة تلو الأخرى إلى أن نجح في إجبارها على ترك قدمه.

حاول أن يقف لكن الألم كان قويًا، قويًا لدرجة أنه أجبره على الجلوس وهو يمسك بيده صارخًا من شدة الألم.

عرف يقينًا أن ذلك الشيء لم يعد والدته بعد الآن، وأن عليه أن يدافع عن نفسه وإلا..

وإلا انتهى الأمر بطريقة لم تعجبه أبدًا.

تلفّت حوله بحثًا عن أي شيء يستخدمه للدفاع عن نفسه، لكنه لم يجد شيئًا، سمع صوت زئير عالٍ يأتيه من ناحيتها وراقبها وهي تقف على يديها

وقدميها مقلوبة مرة أخرى، رباه! هذا الوضع يثير هلعه حقًا!

زحف للخلف على مؤخرته، وجد نفسه - دون أن يدري - قريبًا من جسد المُفتِّش، ميتًا كحجر أصم، لا فائدة ترجى منه في الوقت الحالي، عليه أن يتصرَّف بمُفرده.

اقتربت منه، صوت طقطقة غريب سيطر على المكان، يبدو أنه صوت اصطدام عظامها المهشَّمة ببعضها البعض، كانت تقترب منه بسُرعة، نظر للمُفتِّش مرة أخرى وكأنه يبحث عن حل ما، لمعت عيناه رغم الظلام حين رأى مُسدَّسه المُلقى أرضًا بجوار جسده الخالي من الحياة، لم يكُن مُسدسًا عاديًا.. كان مُسدَّسًا خاصًا، من تلك التي تُطلِق شباكًا من فوهاتها، عَلِم جيدًا أن خلاصه في وصوله لهذا السلاح!

زحف على الأرض قبل أن يتدحرج سريعًا نحو المُسدَّس، أمسك به وهو يهمس لجسد المُفتِّش منزوع الرأس: «آسف يا صديقي»

أمسك به وهو يتحامل على نفسه، كانت تقترب منه في سرعة رهيبة، انتظر اقترابها قبل أن يرفع فوهة المُسدَّس للأعلى، لكنها كانت أسرع منه، لم تمهله الوقت الكافي، اصطدمت به، حاول أن يضغط على الزناد قبل أن يطير جسده ويصطدم في الحائط بقوة، سمع صوت الجدار وهو يكاد يسقط فوقه من قوة الصدمة، شعر بالضعف، وضع يده فوق رأسه وهو يأن ألمًا، لمس جرحًا غائرًا في رأسه ورأى الدماء وهي تغرق يديه، استند إلى الحائط بصعوبة، لم يعد قادرًا على المقاومة، لم يعد قادرًا على الاستمرار، فعل كُل ما بإمكانه، رآها تعتدل وتتجهَّز للقيام بهجومٍ آخر.

راقبها تقترب منه في سرعة وهي تزأر بعُنفٍ.

رفع فوهة المُسدَّس مرة أخرى، انطلقت منه شبكة رقيقة واتجهت نحوها، ابتعدت عنها وقد أيقنت الآن أن الكفة قد أصبحت متكافئة

بعض الشيء، سمع صوت خطوات أقدام عديدة تقترِب من باب الغُرفة، يركضون في سُرعة، الأمر الذي طمأنه قليلًا.. خلال لحظات قليلة سيكون كُل هؤلاء بجواره.

كانت ذكية، وعرفَت كذلك أنها ستخسر كُل شيء، تخلَّت عن هيئتها البشرية، كشف عن وجهه الحقيقي، كما توقَّع.. كان شيطانًا مريدًا، نظرة واحدة إليه كانت كافية ليتعرَّف عليه، لم يكُن هذا هو لقائهما الأول، كانا قد تقابلا من قبل، ليلة وفاة والدته!

زأر الشيطان في وحشية قبل أن يتحرَّك في سُرعة، زحف داخل فتحة التهوية التي لاحَظ هادي للمرة الأولى أنها مفتوحة!

إذن هذه هي الطريقة التي دخل بها إلى هنا من أجل القضاء على المُفتِّش في المقام الأول!

وفي اللحظة التي اختفى فيها الشيطان داخِل فتحة التهوية، وجد هادي باب الغُرفة يتهشَّم تحت وطأة أقدام الجنود الذين دلفوا إلى الغُرفة وأسلحتهم تسبقهم، أشار لهم في ضعف نحو جُثة المُفتِّش ونحو فتحة التهوية المفتوحة!

كانت إشارته كافية ليفهموا جميعًا ما حدث، لكنها لم تكُن كافية أبدًا ليخفضوا فوهات أسلحتهم التي ظلَّت مصوَّبة نحوه!

(18)

شرح هادي لهم ما حَدَث في سُرعة، من بين تأوهات ألمه وأنّات وجعه جاء كلامه مُقتضبًا، لكنه كان كافيًا ليفهموا جميعًا ما حدث، وإن لم يمنعهم هذا الأمر من ضرورة القيام بالبروتوكول المُتَّبع في مثل هذه الحالات، وهو التحفُّظ على هادي كمُشتبَه به وتسليمه للجهة العُليا المسؤولة عن الأمر، وهو مُدير الإدارة ذاته في مثل تلك الحالات.

كان هادي أحد المسموح لهم بالتواجُد في هذا الجزء من الإدارة طبقًا للسوار الأمني الموجود حول رسغه، والذي تبيَّن -بفحصه- أنه صادِر من مكتَب المُدير شخصيًا، ناهيك عن أن فحص سريع قام به رجال الأمن ليتبيَّن لهم أن هادي لم يكُن القاتل، بل إنه من المُستحيل أن يكون القاتل بشرًا عاديًا، وهي الأمور -بجانِب حالته الجسدية السيئة- التي جعلت من تقييده أو احتجازه بشكلٍ رسمي أمر بلا داعي.

استنَد هادي إلى ثنائيٍ من رجال الأمن الأقوياء تاركًا لهم مُهمة قيادته لغُرفة المُدير، الذي وبكُل تأكيد عَرِف بما حَدَث ويجلس الآن في انتظاره، لكنه كان غارقًا في بحرٍ من حيرة حول شعور المُدير إزاء ما حدث، هل سيكون سعيدًا بنجاته؟ أم أنه سيكون مُستاءً لموت المُفتِّش؟ وهو الأمر الذي سيُغيِّر كثيرًا من طريقة سير الأمور في الإدارة، بل وربما كانَت له تبعات كان من شأنها أن تُغيِّر كُل شيء!

أجاب في طريقه إلى مكتب المُدير عن بضع أسئلة طرحها عليه المسؤول عن الأمن، سأله لو كان هذا تحقيقًا؟ فهزَّ رأسه وهو يقول إنها ليست أكثر من دردشة عادية، لكن التحقيق الرسمي سيؤجَّل قليلًا طبقًا للظروف التي تمُر بها الإدارة، على أن يتم في الوقت المُناسِب، شعر هادي بالراحة قليلًا بعدما سَمِع تلك الإجابة الشافية، وقرَّر أن يجيب كافة

أسئلة المسؤول الأمني، لأنه كان مُدرِكًا لمدى حرج حالته الصحية، مدى حرج موقفه الإداري، المهني، وحتى الشخصي بعد التطوُّرات الأخيرة.

بعد دقائق لم يعرفا فيها للصمت طعمًا هو والمسؤول الأمني الذي أمطره بوابل من الأسئلة في إطار ودي غير صارمٍ أبدًا، وصلا لمكتب المُدير، توقَّف هادئ ودقَّات قلبه تتزايد، تذكَّر غضب المُدير الذي رآه من قبل، فكَّر في الطريقة التي تتذبذب فيها طاقته وتتبدَّل بها هيئته بين الهيئتين البشرية والشيطانية، سأل المسؤول الأمني في صوت خافت: «ماذا ستفعل الآن؟»

أشار نحو سواره وهو يقول: «طبقًا للسوار الموجود حول رسغك، فجهتك العُليا في الوقت الحالي هو مُدير الإدارة شخصيًا، وهو الأمر الذي يُحتِّم أن نعرضك على السيد المُدير، على أن يكون له الحُرية الكاملة في فعل كُل ما يراه صحيحًا في مثل هذا الموقف، قبل أن نعود لقسم الأمن، ونُسجِّل كُل ما حَدَث بالتفصيل في تقرير رسمي، نستعين فيه بصور من قسم الأرشيف، أو مقاطِع فيديو مصوَّرة من قسم المُراقبة -في حال كانت تلك القضية تحتاج لهذا الأمر- ونعرضه بشكلٍ رسمي على الإدارة هنا، والتي من شأنها أن تُقرِّر ماذا ستفعل أو أن ترفع الأمر في حالاتٍ نادرةٍ لمُدير الحديقة ليفعل ما شاء، وهو الأمر الذي أتوقَّع أن يحدُث في الوقت الحالي»

بدا الأمر كبيرًا، الكثير من الروتين والعديد من الإدارات، ولا مانع من تقرير رسمي هنا أو هناك، كان مُرهقًا، مُصابًا بالعديد من الكدمات والقليل من السجحات، لكنه قادر على الحركة وعلى التنفُّس بشكلٍ طبيعي، يحتاج فقط للكثير من الرعاية الصحية والكثير جدًا من الراحة أو النوم، تنفس قليلًا وهو يتقدَّم دون الحاجة لرجلي الأمن اللذين قاداه إلى هنا، دخل إلى مكتَب المُدير، تأمَّل السكرتير الذي كان يرمقه بغضبٍ عارم، رائع.. ما زال بارعًا في اكتساب المزيد من الأعداء والكارهين هنا! كان مُقدرًا لغضب السكرتير خصوصًا بعد أن خدعاه هو وليلى

وبالتأكيد تسبَّبا له في جزاءٍ إداري أو في لفت نظر في أضعف الأحوال.

تقدَّم مسؤول الأمن خطوة للأمام، كان ممشوق القوام وإن كان قوامه مختفيًا تحت زيه الرسمي المزوَّد ببضع دروع وواقيات زادت من بأسه ومن هيبته، سأل السكرتير بلهجةٍ لا تخلو من الرسمية بعد أن لاحظ توتُّر الأجواء بينه وبين هادي: «هل السيد المُدير موجود؟»

أجابهم دون أن يرفع عينيه الغاضبتين عن هادي: «لا، ليس هنا»

قبل أن ينطِق المسؤول الأمني بكلمةٍ واحدةٍ أضاف السكرتير: «ترك أوامره بأن ينتظره (هذا) في المكتب ريثما يعود»

رفع هادي حاجبيه في دهشة بعدما نعته السكرتير بلفظ (هذا) بغرض التقليل منه، قبل أن يبتسم في سُخرية وهو يُتابع المسؤول الأمني الذي قال: «ما زال مُشتبهًا فيه في قضية رئيسية، لن أستطيع تركه هنا دون حراسة حتى تصدر أوامِر عُليا من المُدير نفسه برفع الحراسة عنه»

نظر لرجاله قبل أن يُشير لاثنين منهم قائلًا: «أنت، وأنت.. قِفا هنا بجوار الباب، ممنوع خروج السيد هادي من مكتب المُدير إلا بإذنٍ رسمي مني أو من السيد المُدير، في حال حدوث خلاف هذا.. ستكونان مسؤولين عن الأمر أمامي»

هزَّا رأسيهما في تفهُّم، ابتسم هادي للسكرتير وهو يدخُل إلى الغُرفة، كان يعرف أن الأخير يتحرّق شوقًا للقضاء عليه لولا الظروف الحالية، وأنه -على الأرجح- سينتظر الوقت المُناسِب لرد اعتباره أو لرد الصاع صاعين!

أغلق الباب خلفه، كان مُحاصرًا داخِل غُرفة مُغلقة، غير مسموح له بالخروج منها، لا يعلم كيف حال ليلى؟ أو ما اكتشفته داخِل الغُرفة أثناء صراعه مع الشيطان؟ أو حتى إلى أين ذهب المُدير؟

كانت إجابة السؤال الأخير واضِحة وضوح الشمس، بكُل تأكيد ذهب للاهتمام بأمر طارئ، لا يوجد في الإدارة الآن أهم من مقتل المُفتِّش! إلا الأمر الذي ذَهَب المُدير للقيام به تاركًا كُل شيء من خلفه!

جلس على الأريكة الوثيرة وهو يتأوَّه ألمًا، كانت عظامه منقوعة في الوجع في الوقت الحالي، لكنه لا يمتلك رفاهية ترك كُل شيء خلفه وسرقة بضع سويعات من الراحة، احتدمت الأمور كثيرًا في الآونة الأخيرة، كان يسترخي لولا أن لاحظ شيئًا جعله يعتدل من فوره متجاهلًا الألم الذي غزا جسده جرَّاء القيام بتلك الحركة المُفاجأة!

كانت الغُرفة السرية مفتوحة، بابها موارب قليلًا لكنه وبكُل تأكيد لم يكُن مُغلقًا على الإطلاق، وقف وهو يتأوَّه بصوتٍ خافت، نظر نحو الباب ليتأكَّد أن كُل شيء على ما يُرام، قبل أن يخطو سريعًا نحو تلك الغُرفة، ساقه فضوله وقادته قدماه لداخِل الغُرفة، لم تكُن واسِعة لكنها كانت كافية لتحتوي على مكتب صغير تعلوه شاشة ضخمة ومن خلفه يستقِر مقعد مقلوب، عدَّل من وضع المقعد وهو يحاول تجاهُل الرائحة الكريهة التي اقتحمت أنفه وشنَّت حربًا بلا هوادة مع جيوبه الأنفية، ظهرت علامات التأفف والاشمئزاز على وجهه وهو يراقِب الشاشة.

كانت مقسومة لأربعة أقسام متساوية، احتلَّ كُل منهم مربعًا من الشاشة لينقل له غُرفة أو مكان ما من الإدارة، بينما ظَهَر في ركن الشاشة العلوي ناحية اليمين رقم «١-٤».

ضغط سهمًا ناحية اليمين في لوحة المفاتيح الموصولة بالشاشة، لكن شيئًا لم يتغيَّر!

ضغط السهم الموجَّه ناحية اليسار.. وهنا استجابت له الشاشة، انزلقت المربعات ناحية اليسار تاركة لأربع مربعات أخرى حرية احتلال الشاشة،

كانت تنقل أربعة أماكِن مُختلِفة من الإدارة، لا تتشابه الثماني مُربعات سوى في شيءٍ واحدٍ.. ألا وهو حالة الطوارئ والتوتُّر التي تبدو جلية على الموجودين في تلك الأماكِن!

يسار مرة أخرى!

وأربع مربعات أخرى!

يسار للمرة الأخيرة!

أربع مُربعات أخيرة!

شهقة خافتة!

والكثير من الفزع!

ما يحدُث أمام عينيه في غُرفة مكتب والده كان أمرًا لا يُصدِّقه عقل، أمرًا لم يكُن يتخيَّل أن يعيش يومًا ليراه بأمِ عينه!

ارتعد جسده بأكمله، اختفى الألم، انتحى جانبًا سامحًا لدفقة من الأدرينالين أن تتدفَّق في عروقه لتُسكِّن آلامه قليلًا، فكَّر في الاندفاع إلى الخارج لكنه كان يعرف جيدًا أن زوج الثيران الموجود بالخارج سيمنعه من الذهاب إلى هناك، عليه أن يجد خطة للفرار من هنا، تأمَّل ما يحدث على الشاشة أمامه وعلامات القلق والألم تظهر جلية على وجهه، يجب أن يجد خطة في أسرَع وقت!

لم يتفتَّق ذهنه عن خطة جديدة، ربما لنوبة الإرهاق التي يتعرَّض لها، أو ربما لأنه حاك العديد من الخطط في الفترة الأخيرة، مما جعل نهر إبداعه ينضب قليلًا!

وقف بجوار الباب مُمسِكًا في يده بأحد التماثيل الرخامية، رفعه عاليًا قبل أن يصرُخ: «أغيثوني.. أغيثوني»

سمع صوت خطواتهم تقترِب من الباب في سُرعة وارتباك، أحكم قبضته حول التمثال، فُتِح الباب ودخل رجلي الأمن، ضرب أولهما بالتمثال على رأسه، وعلى الرغم من كونه يرتدي خوذة ثقيلة إلا أن الضربة كانت قوية بما يكفي لإفقاده توازنه، سقط أرضًا وسقط سلاحه بعيدًا عنه، قبل أن يفهم أيهما ما يحدُث.. قفز هادي وأمسك بالسلاح، صوّبه نحوهما، آمرًا رجل الأمن الآخر أن يُلقي سلاحه وإلا أطلق النار عليهما!!

فكّر رجل الأمن قليلاً في الخيارات المُتاحة أمامه، قبل أن يحسم أمره، ترك سلاحه على الأرض ورفع يديه عاليًا وهو يقول: «ستندم على هذا»

ابتسم هادي في مرارة وهو يقول: «أنا آسف، أنا فعلاً مُضطر، من فضلك.. هل تكون لطيفًا بما يكفي لتركل السلاح إلى هنا؟»

نظر له رجلا الأمن للحظات قبل أن يركل الأخير سلاحه نحوه، أمسك السلاح دون أن يرفع عينيه عنهما، قبل أن يقف وهو يُمسِك سلاحًا في كُل يد، قال لهما: «والآن.. هل لنا بتبديل الأماكِن؟»

سأله رجل الأمن: « ماذا تريد؟»

قال هادي في مرارة: «لا أريد أن أضيع المزيد من الوقت، أحتاجكما أن تصغيا إليّ وأن تتفهما أنني مُضطر لفعل ذلك»

كانا الآن داخِل الغُرفة بينما كان هو موليًا ظهره للباب، فتح الباب دون أن يبعد ناظره عنهما تحسُّبًا لأي شيء، نادى على السكرتير الذي دخل إلى الغُرفة دون أن ينتبه إليه، وفي اللحظة التي وجد فيها مُسدَّسًا مشهرًا إلى وجهه وهادي يطالعه من الخلف قال: «اللعنة.. أنت مرة أخرى!»

ابتسم هادي وهو يقول: «أنا آسف.. حقًا»

عاد للخلف نحو الباب المفتوح وهو يقول: «تعلَّمت في أيامي الأولى هنا أن تلك الغُرفة من الغُرف القليلة المزوَّدة بنظام أمني صارِم حرصًا على حماية الموجود بداخلها، وأنه في حال إطلاق أي عيار ناري هنا ستُغلَق أبواب الغُرفة من الداخِل ولن تُفتَح سوى بكلمة سر لا يعرفها سوى مسؤول الأمن والمُدير فقط لا غير، كما أنها تتغيَّر يوميًا، أنا آسف.. تركت لكما اللاسلكي كي تطلبا النجدة أو المُساعدة، سامحوني»

كان الآن خارِج الغُرفة، رفع واحدًا من المُسدسات عاليًا وهو يُطلِق النار في الهواء، شعر بصفير حادٍ يهاجم أذنه القريبة من السلاح، لكنه تجاهَل كُل شيء وهو ينظر للباب الذي يُغلَق في سُرعة ليمنع أسهم نظراتهم الحادة من اختراق ضميره الذي آلمه كثيرًا في الآونة الأخيرة!

همس لنفسه: «مرحى.. العديد من الأعداء الجُدد!»

قبل أن يعدو بكُل ما أوتي من قوةٍ وسُرعةٍ نحو مكتب والده.. على أمل ألا يكون قد فات الأوان!



(19)

بحثت ليلى بين الأشياء الموجودة في المكتب بفتور، لم تتوقَّع حقًا أن تجد شيئًا ذا قيمة أو سيُغيِّر من مسار الأمور، لكنها فعلت الأمر بدافع الملل والحيرة، وربما كي تهرب من أفكارها الحزينة التي يسكنها حبيبها الراحِل ويأبى أن يتركها بسلام، كانت تعرف جيدًا أنها لو استسلمت لتلك الأفكار فستتحوَّل سريعًا من أفكار عادية مصبوغة بالحُزن إلى أفكار انتحارية مُطعَّمة بلمسة تشاؤم كفيلة بالقضاء على ما تبقى من أمل وطاقة بداخلها.

قرَّرت أن تتوقَّف عن البحث، مدَّت يدها وأمسكت بأحد الكُتب الموجودة في المكتبة، يحكي تاريخ أحد قبائل الجان الشهيرة، ظهرت علامات الاستياء على وجهها وهي تسأل نفسها ألم يحُن أوان أن ينتبه بعض الكُتَّاب لشيء آخر غير الجان؟!

جلست على المقعد وهي تسند قدميها واحدة فوق الأخرى على سطح المكتب، استندت بظهرها إلى المقعد وهي تتأوَّه في لين، تحتاج للقليل من الراحة، قاومت نوبة تثاؤب كادت تُهاجمها خوفًا من استسلامها للكسل لو فعلت هذا، فتحت الكتاب وبدأت تقرأ دون انتباه، شيء عن معركة بين قبائل الجان، كيف عَلِم المؤلِّف بتفاصيل معارك حدثت في عوالم أخرى ليقصها علينا بهذه التفاصيل؟

لكن - والحق يُقال - كان الكتاب مكتوبًا بحرفية شديدة، وعلى الرغم من أن موضوعه لم يكُن من المواضيع التي تهمها أو تجذبها لكنها تاهَت بين السطور، وجدت نفسها أسيرة لطريقة سرد الكاتِب التي جعلتها تشعُر وكأنها داخِل المعركة معهم، سمعت صليل السيوف وراقبت الدماء المُتطايرة هنا وهناك، ابتعدت قليلًا عن الأرض المليئة بالأشلاء لتُراقِب

صراعًا خاصًا بين ابن زعيم القبيلة الأولى وخير مُحاربي نفس القبيلة بعد أن خانهم وانقلَب عليهم، كانت المعركة مشوِّقة، لكنها لم تستطِع التركيز بسبب الصوت الخافِت الغريب الذي يأتيها من الأعلى!

وضعت الكتاب جانبًا وهي تعتدِل في جلستها فوق المقعد، نظرت للأعلى وهي تحاول التفكير في سبب هذا الصوت الغريب، خاصةً وأنها لم تسمعه من قبل، وقفت وبدأت تتحرَّك ببطء في الاتجاه الذي يتحرَّك به الصوت، كأنه يزحَف فوق السقف، لكن هذا مُستحيل، خصوصًا وأنها لم تعرف تصميم المكان، بدأ الصوت يقودها تدريجيًا للحائط الذي يحتل الجهة اليُسرى من الغُرفة، نظرت للأعلى ورأتها في اللحظة الأخيرة!

فهمت كُل ما يحدُث.. لكن بعد فوات الأوان!

كانت تنظر لفتحة التهوية التي تحتل قسمًا لا بأس به من الجزء العلوي للحائط، قبل أن تنخلِع من مكانها بقوة غير طبيعية، طارَت لترتطِم في الحائط المُقابل بقوة لم تعهدها من قبل، اتسعت عيناها وهي تراه يزحف إلى الخارِج، كان جسده يتشكَّل بطريقة شيطانية لتتسع له ممرات التهوية الضيِّقة، ويتشكَّل بطريقة أكثر شيطانية ليستعيد حجمه الطبيعي بعد خروجه منها، سقط أرضًا، لم تستطع الابتعاد عنه في الوقت المُناسِب، سقط فوقها فأنَّت عظامها من فرط ثِقله، لم يشعُر بها وهو يهرس جسدها بينه وبين الأرض، لكنه وبكُل تأكيد شعر بها حين شهقت في خوفٍ وفزع!

قبل أن تعي ما حدث، وجدت نفسها تقف أمامه وجهًا لوجه، لم تعرف كيف تصف ملامحه، لكنه كان كابوسيًا، تخيَّل أن تتحِد أشد كوابيسك لتكوِّن مسخًا، يقف أمامك الآن.. للمرة الأولى تندم على أنك لست داخِل كابوس، على الأقل حينئذٍ كُنت ستملك رفاهية الهروب أو الاستيقاظ، أما الآن.. فها هو يقف أمامها لا تملك من مواجهته مفرًا!

نظرت بطرف عينها نحو الباب، لكنها رأت المقبض وهو يدور حول نفسه قبل أن تسمع صوت التكة المُميَّز للإغلاق، حاولت أن تقاوِم نوبة الهلع التي بدأت تتسلَّل إلى قلبها وهي تطرد الفزع الذي عشَّش فوق خلايا مُخها ليمنعها من التفكير المنطقي!

نظرت لفتحة التهوية المفتوحة، قبل أن تنظر لغطائها المعدني الملتوي، لحظات قليلة وستكون مثله، الفارق بينهما أن الغطاء يُمكِن تعديله فيما بعد، أما هي. فتعيش الآن اللحظات الأخيرة في حياتها البائسة!

ورغم علمها أنه مُغلق وأن لا فرار من تلك الغُرفة إلا أنها ركضت نحو الباب في محاولة يائسة منها للهروب من هذا المكان، لكنه كان مُغلقًا، لم تشعُر باليأس كونها كانت تعرف مُسبقًا أنه مُغلق، همست لنفسها: «كان يجب أن أحاول!»

استدارت لتواجهه وهي تُلصِق ظهرها في الباب، لكنها لم تجد له أثرًا، وكأنه لم يكُن موجودًا في الغُرفة ذاتها منذ لحظات، بحثت عنه بعينيها.. لكن دون جدوى، كانت تعرِف أنها خُدعة، وكانت حريصة ألا تقع في هذه الخُدعة، همست لنفسها مرة أخرى: «أنتِ أذكى من هذا يا ليلى»

تمنَّت لو أن بإمكانها التراجُع للخلف أكثر من ذلك، لو أن بإمكانها أن تذوب لتُصبِح هي والباب كيانًا واحدًا، نظرت للساعة مرة أخرى، تُراه تراجَع ليسكُن ساعته تاركًا إياها؟ لكن هذا مُستحيل! لقد رأته وعَرِفت كيف يبدو، وبالتأكيد بعد قليل من البحث ستعرِف نوعه ونقاط ضعفه، وهو الأمر الذي سيمنحهم القليل من التفوُّق عليه في أي صراع مُستقبلي!

قطع حبل أفكارها صوت زحف آتي من فتحة التهوية، نظرت نحوها وأقدامها تتحوَّل إلى شيء رخو غير قادِر على حمل جسدها الذي بدأ يرتعِد

بشدة وهي ترى جسدًا مهشمًا يهبط من فتحة التهوية ويسُقط أرضًا، وبقليلٍ من الحركات الآلية الغير طبيعية بدأ يعيد ترتيب عظام جسده وشكله مرة أخرى، سمعت صوت اللحم والعظم وهما يلتئمان سويًا مرة أخرى، قبل أن تجد نفسها في مواجهته للمرة الأولى!

والدها!

والدها الذي توفي أثناء سفره لمُحافظة أخرى في صغرها، لم تستطِع أن ترى جُثته لمرةٍ أخيرة قبل الدفن، أخبروها أن الجسد مُهشّم تمامًا، ومنعوها من توديعه بشكلٍ لائق، والآن.. ها هو! بعد كُل تلك السنين! يقف أمامها مُبتسمًا!

لم تعرف حقيقة أو ماهية مشاعرها في هذه اللحظة تحديدًا!

هل هي تفتقده؟ هل أوحشها؟ هل تشعُر بالفزع؟ هل ترفض لقياه بعد تلك السنوات؟ هل هي فرصة أخيرة منحها القدر لها لتودعه بشكلٍ لائق.

سمعت صوتًا أجشًا يقول بآلية مُرعِبة: «تعالي معنا»

سألته في حيرة: «معكُم؟ من أنتم؟»

لم يجيبها، كرّر جُملته: «تعالي معنا»

سمعت صوتًا آخرًا، هناك من يزحف ببطء في فتحة التهوية، رفعت ناظريها وهي فاغرة الفاه، رأتها وهي تسقط أرضًا كخرقة بالية قبل أن تحاول الوقوف مرة تلو أخرى، نجحت في المرة الرابعة، كان جسدها منتفخًا بشكلٍ مُقزِّز، مليء بالقروح واللدغات الغريبة، ازرقَّ لونها وانتفخَت أطرافها، كانت سارة تقف أمامها بشحمها ولحمها، بنت عمها التي غرقت أثناء طفولتهم، كان والدها وعمها معتادين على قضاء المصيف

سويًا في إحدى المُحافظات الساحلية قبل أن تغرق ابنة عمها، تدمَّر نفسيًا ولم يستطِع العودة لسابق عهده أبدًا، والآن.. ها هي سارة الغارِقة تقف أمامها، نظرت إليها وفتحت فمها في محاولة للتحدُّث، لكن القليل من الماء انساب من بين شفتيها أولًا قبل أن تسعل بقوة ورئتاها تطردان المزيد من المياه، في النهاية قالت بصوتٍ مبحوحٍ: «تعالي معنا»

قبل أن تجيبها ليلى سمعت صوت الزحف اللعين مرة أخرى قبل أن يسقط من فتحة التهوية شخص آخر!

هذه المرة كان عمها بهاء، عنقه مزرق اللون، لسانه متدلي رغمًا عنه من بين شفتيه الزرقاوين، كان عمها بهاء هو والد سارة، لم يتحمَّل فكرة أن ابنته ماتت بسببه، رغم أن الكثيرين أخبروه أن الأمر لم يكن بسببه أبدًا، لكن عقدة ذنبه كانت أكبر من أن يقاوم، انتحر بعد أن شنق نفسه في غرفته المظلمة، والآن -على ما يبدو- قرَّر ترك قبره والانضمام لزمرة الموتى اللذين قرَّروا أن يجتمعوا أمامها!

سمعت صوته يقول بصوتٍ مُختنقٍ لا يعلو عن الهمس: «تعالي معنا»

وقبل أن تجيبها سمعت صوت الزحف، استمرَّ تدفُّق الموتى واحد تلو الآخر، وواحدة وراء الأخرى..

والدتها التي ماتت كمدًا وحزنًا على فراق والدها

«تعالي معنا»

جارتها العجوز التي اكتشفوا جُثتها بعد عدة أيام من وفاتها

«تعالي معنا»

الرجل الذي صدمته السيارة المُسرِعة أمام منزلها وهي صغيرة

«تعالي معنا»

جدتها التي أخطأ الأطباء في تشخيص حالتها

«تعالي معنا»

مع كُل شخص جديد يعود من الموت ليُطالبها بالذهاب معهم، كان قلبها يرتعِد بشدة، تعرفهم جميعًا، تعاملت معهم وهم أحياء، والآن.. ها هي تراقبهم بعد عودتهم من الموت، يصطفُّون أمامها، يتساقطون من فتحة التهوية المفتوحة واحد تلو الآخر، يردِّدون جملتهم الوحيدة في صوتٍ واحدٍ، تشعُر بالحيرة، هل يزداد عددهم بضراوة؟ أم أن الغرفة تضيق بوجودهم؟ أم ترى الأمرين يحدثان سويًا؟

فجأة.. نظروا جميعًا للأعلى، نحو فتحة التهوية المفتوحة، صمتوا تمامًا، ظهر صوت الزحف، هذه المرة كان ثقيلًا، رتيبًا، مُملًا، وبطيئًا، لكن صمتهم، نظرهم للأعلى أخبروها أن القادِم الآن هو أهمهم على الإطلاق، توقَّعت أن ترى الكثيرين من الموتى الذين عرفتهم في يومٍ من الأيام، لكنها لم تتوقَّع أبدًا أن تراه هو!

بيد أنه كان أقربهم إليها في الآونة الأخيرة، وكان تاريخ وفاته هو الأقرَب، لكن عقلها لم يتصوَّر أبدًا أن تراه في أي وقت من الأوقات، لذلك حين هبط أكرم من فتحة التهوية، عاري الصدر، ترك به مبضع الطبيب الشرعي عدة جروح ما زال أثرها ظاهرًا بعد عملية التشريح التي أجروها عليه، ابتسم حين رآها، مدَّ يده للأمام وهو يقول: «تعالي معنا»

اتسعت عيناها هلعًا، اغرورقتا بالدموع، لم تعُد تستطع التحمُّل أكثر من هذا، كانت أضعف من أن تقاوِم، تقدَّمت خطوة للأمام، فتح ذراعيه وكأنه يستعِد لاحتضانها وهو يقول بحذر: «تعالي معنا»

تقدَّمت خطوة أخرى للأمام، ارتجف قلبها داخِل صدرها كعصفور مُبتَل في ليلة عاصِفة، غامت رؤيتها بفعل الدموع، مسحتها بطرف قميصها وهي تتقدَّم خطوة أخرى للأمام، همس لها بحنو: «تعالي يا ليلى.. تعالي معنا»

ركضت نحوه في خطواتٍ سريعةٍ، كادت تُلقي بنفسها في أحضانه لولا صوت الخطوات الثقيلة الذي سمعته من خارِج الغُرفة، هناك من يقترِب من الغُرفة بسُرعة! بغضب!

انعقد حاجبا أكرم وهو يقول لها في سُرعة: «تعالي معنا»

وقفت في منتصف الطريق، تردَّدت قليلاً، لم تعرف ماذا ستفعل، هل تتقدَّم له؟ هل تُلقي بنفسها بين ذراعيه لتتخلَّص من قلقها وتوتُّرها وتستبدلهما بعطفٍ وحنانٍ مثلما اعتادت أن تفعل كلما واجهتها مُشكلة ما؟ أم تنتظِر لترى مصدر تلك الخطوات المُسرِعة؟

قبل أن تتخِذ قرارها سمعت صوت الخطوات يتوقَّف أمام باب الغُرفة، تهشَّم باب الغُرفة بدون مُقدِّمات، ظهر أنوبيس خلف الباب المُحطَّم، نظر إليها وهو يسألها بصوتٍ قلِق: «هل أنتِ بخير؟»

هزَّت رأسها قبل أن تنظر نحو أكرم الذي مدّ يده نحوها وهو يقول في لهفةٍ غير طبيعية: «تعالي معنا!»

لكن نظرة عينيه لم تكُن كسابِق عهدها أبدًا، كانت نظرة تسكنها شرور العالم أجمع، سمعت صوت أنوبيس يصرخ بها: «ليلى.. ابتعدِ عن الطريق»

قبل أن تفهم ما حدث سمعت صوت الموتى الموجودين خلفها يزأرون جميعًا، زئير موحَّد مليء بالشر، أغلقت عينيها وهي تضع يديها فوق

أذنيها في محاولة لمنع هذا الصوت الشنيع من التسلُّل لروحها، ارتجف قلبها بشدة حين فتحت عينيها لتجدهم جميعًا غير موجودين، بدلًا منهم كان يقف وحيدًا.. الشيطان الذي رأته في البداية، شهقت وهي تتراجَع للخلف، همست بصوتٍ مسموع: «أين أكرم؟»

سمعت أنوبيس يجيبها بهدوء: «الموتى لا يعودون للحياة، والآن.. تنحي عن الطريق»

كادت تجادله لكن الغضب الذي ظهر جليًا في صوته رغم هدوئه كان كافيًا لها لتبتعِد عن طريقه، نظرت خلفها وهي تتحرَّك لتراه يركض نحو الشيطان وعلى وجهه علامات صرامة وقسوة لم ترهما من قبل، بينما ركض الشيطان نحوه في سُرعة وهو يصرُخ صرخة جعلت قلبها يكاد يتوقَّف هلعًا، ألقت بنفسها جانبًا، وهي تلهث بصعوبة، ضاق صدرها من فرط الخوف والتوتر!

وأمام عينيها.. كان الاصطدام وشيكًا!

في اللحظة الأخيرة غيَّر الشيطان مسار جسده، انتحى جانبًا، ترك أنوبيس يندفِع بكامِل قواه نحو الحائط، ارتسمت ابتسامة ساخِرة على وجهه، أدرك أنوبيس الخدعة متأخرًا للغاية، لم يفصل بينه وبين الحائط سوى أمتار قليلة، حاول أن يبطئ من سُرعة جسده، لكن اندفاعه كان قويًا بحق، وهو الأمر الذي جعله يصطدِم بالحائط الذي كاد ينهار لولا أن تراجَع عن قراره وتمسَّك بثباته في اللحظات الأخيرة، شعر أنوبيس بموجات الألم وهي تسري في جسده بأكمله، قهقه الشيطان وهو يقول بصوتٍ أجش صدئ: «كُنت أراهِن على غبائك»

تحرَّك سريعًا نحو المكتبة وهو يُشير إليها بيده، طارت كتبها في الهواء لتصطدِم بجسد أنوبيس بقوة، تأوَّه الأخير بينما علا صوت ضحكات

الشيطان وهو يقول: «ويبدو أنني كُنت مُحقًا»

حاول أنوبيس أن يقف، لكن المكتبة الخشبيّة التي سقطت فوقه بقوة كافية لتتهشّم أعادته للأرض مرة أخرى، سمع صوت ضحكات الشيطان وهو يقول بسخرية: «لا زلت أحمق كعهدنا بك»

سأله أنوبيس في ألم وهو يحاول أن يُبعد بقايا الخشب المُهشّمة من فوق جسده: «هل أعرفك؟»

أشار الشيطان للمكتب الذي ارتفع للسقف قبل أن يدور مرتين حول نفسه، ويهوي من علٍ ليتحطم فوق جسد أنوبيس في الوقت نفسه الذي قال فيه الشيطان: «على الأغلب لا، لكنني أعرفك جيدًا»

حاول أنوبيس الوقوف مرة أخرى، هذه المرة اكتفى الشيطان بمُراقبته وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة ساخرة، بمُجرَّد أن استقرَّ أنوبيس فوق قدميه، وقبل أن يستعيد توازنه بشكلٍ كاملٍ اندفع نحوه الشيطان، تأهَّب أنوبيس لمواجهته، هذه المرة لم يُغيِّر اتجاه اندفاعه، لكنه اختفى تمامًا من أمام أنوبيس، قبل أن يظهر خلفه في اللحظة الأخيرة، أمسك برقبة أنوبيس، استطالت أصابعه لتلتف حول عنقه، رفعه عاليًا في الهواء، ظهرت على أنوبيس علامات الضيق، حاول أن يتحرَّر من قبضته لكنه كان قويًا، بينما افتقد أنوبيس لقوته وتركيزه.

همس له الشيطان في أذنه: «هل تريد أن تعرف كيف تأكّدت من غبائك؟»

ألقى به أرضًا بقوة، هذه المرة لم تحتمِل الأرضية ما يحدث، انهارت بفعل قوة الضربة وثِقل جسد أنوبيس، انهارت ليجد أنوبيس نفسه يهوي للدور السُفلي، معمل قديم يقع في الغُرفة الموجودة تحت هذا المكتب، اصطدم جسد أنوبيس بواحدة من المناضِد المعدنية التي انبعجت بقوة، بينما تحطَّمت بعض الأجهزة الموجودة بجواره، كان الشيطان ما زال يطفو في الهواء

من فوقه، هبط من الفتحة للدور السُفلي وهو يقول: «حين تركت جانبنا لتنضم لوُهّاب الشروق.. كان هذا أغبى ما رأيته في حياتي»

وقفت ليلى على طرف الفجوة وهي تنظر للأسفل، كان أنوبيس في حالة سيئة، لم يكُن ضعيفًا أبدًا، لكنه كذلك لم يكُن مُستعدًا للمواجهة، فكّرت في حمايته كما حماها، اتخذت قرارها، صرخت وهي تقفز من فوق الفجوة، كانت تنوي السقوط فوق الشيطان، أن تتمسّك بجسده لتُبعده عن أنوبيس، لكن شيئًا من هذا لم يحدث، ابتعد الشيطان عن طريقها في اللحظة الأخيرة، وجدت نفسها تطير في الهواء دون هدف، مُتجهة نحو أنوبيس الساقِط فوق المنضدة يتألّم، هبطت فوقه لتزيد من آلامه، شعرت بجسده يحترِق، لم تتحمَّل درجة حرارته المُرتفعة، صرخَت وهي تلقي بنفسها أرضًا، قهقه الشيطان وهو يقول: «يا إلهي.. أنتم حفنة من الأغبياء!»

ضحك مرة أخرى قبل أن يقول: «يبدو أنني على وشك القضاء عليكم»

سمع صوت صفير من خلفه قبل أن يسمع صوتًا مألوفًا يقول: «ألا تريد القضاء عليّ أنا أيضًا؟»

التفت للخلف، لكنه قبل أن يتم دورانه لمواجهة صاحِب الصوت، سمع صوت حاد جعله يصرخ، وضع يديه على أذنيه في غضب، صرخ أنوبيس بدوره وهو يضع يديه فوق أذنيه، كان هادي قد عدَّل من وضعية المُسدَّس، جعله الآن يُطلِق ذبذبات قوية قادرة على شل حركة الشياطين تمامًا، وهي تقنية يستخدمها رجال الأمن هنا في الإدارة في السيطرة على الشياطين الهاربة أو المُتمرِّدة، كما كان قد سبق له أن استخدمها بصُحبة أكرم من قبل.

عدَّل من وضع المُسدَّس بعد أن خطفه من رجل الأمن وأتى إلى هنا ركضًا،

من حُسن حظ ليلى وأنوبيس أنه استطاع القدوم إلى هنا في الوقت المُناسِب.

بينما كان من سوء حظ هادي أن المُسدَّس لم يكُن مشحونًا بكامل طاقته، لذلك انتهى شحنه وتوقفت الموجات، صرخ الشيطان متألمًا وهو يطفو سريعًا للغُرفة الموجودة بالأعلى، اصطدَم بهادي في طريقه، طار الأخير بقوة ليصطدم بالحائط، وقف الشيطان في مُنتصَف الغُرفة، دار حول نفسه بجنون، يبحث عن شيء بعينه لكنه لا يجد له أثرًا، سمع صوت هادي يقول من خلفه: «كُنت سأكون أغبى شخص على الإطلاق لو أنني تركتها لك!»

كان كلاهما يعرف عمَّ يبحث الشيطان! الساعة اللعينة التي يتخذها مسكنًا!

قال هادي بسخرية: «هناك شيء ما يؤلمني في ظهري، تُرى ما هو؟»

مدّ يده وهو يُخرِج المُسدَّس الثاني، ضغط زناده دون تردُّد، حاول الشيطان مقاومة الذبذبات وهو يتقدَّم نحو هادي، لكنه لم يتحمَّل، سمع الجميع صوت صراخ أنوبيس من الأسفل، استسلم الشيطان في النهاية وهو يرمق هادي بنظرة مليئة بالشر قبل أن يتحرَّك سريعًا نحو فتحة التهوية المفتوحة ويختفي داخلها سريعًا!

راقبه هادي إلى أن اختفى داخل فتحة التهوية، نظر لمُسدَّسه.. ٣ ثواني فحسب وكان شحنه سينتهي! استسلم الشيطان في الوقت المُناسِب!

تحرَّك نحو الفجوة وهو ينظُر للأسفل، كان أنوبيس في حالة سيئة وليلى تقاوم لتستطيع الاستناد إلى الحائط، سألهما: «هل أنتما بخير؟»

هزَّا رأسيهما بالرفض..

(20)

لم يستطِع هادي التأقلُم مع اختلاف مُدير الإدارة بعد، راقبه بأعين مليئة بالدهشة وهو يجلس على مقعده في مكتبه، كانَت كدماته وجروحه تلتئم دون تدخُل من أي شخص، لكنه احتاج للقليل من الوقت ليتغلب على جروحه النفسية وكدمات روحه التي أصابته جرَّاء ما حدث، الأبخرة السوداء التي تتصاعد من جسده أخبرَت هادي أنه غاضِب، كانَت ليلى تجلس على الأريكة وهي تحاول التظاهُر بأنها بخير، احترَق جزء من ملابسها، أصيبت عدة أجزاء من جسدها بحروق من الدرجة الأولى، أمدَّها المشفى بعدة مراهم والقليل من مُسكِّنات الألم، كما نصحوها بلف شاش طبي من حولها كي يساعدها على الالتئام في وقتٍ أقل من المُعتاد.

أفاق هادي من دهشته وسأل أنوبيس في قلق: «هل أنت بخير؟»

حاول أنوبيس أن يرسم ابتسامة على شفتيه بعد أن استعاد هيئته البشرية وهو يقول: «رأيت أيامًا أسوأ من قبل»

قالت ليلى من خلفهم وهي تتأمَّل أحد حروقها: «كان يجب أن تصغي للقسم الطبي، قالوا إنك بحاجة للقليل من الراحة قبل أن تعود لمُمارسة عملك»

قال وهو يمسح وجهه بمنديل مُبلَّل جفَّ تمامًا بمُجرَّد أن لمسه: «لا نملك تلك الرفاهية يا ليلى، بالتأكيد عرِفت الهيئة العامة بمقتل المُفتش، وهذه كارثة كان يجب التعامُل معها»

شعر هادي بالفضول، سأله بحرص: «أخبرونا حين كُنَّا بالمشفى من أجل أن نحصُل على علاج ليلى أنك فرضت حالة الطوارئ القصوى على المكان

بأكمله، هل هذا كافي؟»

شعر بالفزع من أن يُسيء أنوبيس فهمه فأضاف سريعًا: «لا أقصد بالطبع أن أقلل من شأنك أو أن أشكك في طريقة عملك»

ابتسم أنوبيس وقال برفق: «أتيت إلى هنا في الحال، استخدمت سلطاتي، احتجت أن أذكر القليلين بخدماتٍ قُمت بها من أجلهم منذ سنين طويلة، اضطررت لتهديد البعض، لكن في النهاية.. استطعت السيطرة على الأمور»

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «على الأقل لبعض الوقت!»

تعلّقت به أنظار كلًا من هادي وليلي، انتظارًا لمزيد من التفاصيل، وهو الأمر الذي أدركه حين راقب نظراتهما، صمت قليلًا، حكّ رأسه وهو يُفكّر، قبل أن يقول في اقتضاب: «اختصارًا لقصة طويلة مليئة بتفاصيل قد لا تهمكما كثيرًا.. استطعت أن أشترى لنا المزيد من الوقت، تفاوضت مع الهيئة العامة والإدارة المركزية على السماح لنا بالتعامُل مع الأمر بشكلٍ داخلي لفترة مؤقتة»

تغيّرت نظرة عينيه، اعتلى ملامحه حزن غير مُبرَّر دام للحظةٍ واحدةٍ قبل أن ينجَح في السيطرة على مكنونات صدره ليرسم على شفتيه ابتسامة مكسورة قليلًا، سأله هادي بفضول: «في مُقابِل؟»

حاول أنوبيس التظاهُر بالغباء وهو يقول: «لا أفهَم»

انعقد حاجبا هادي وهو يقول: «أنت تكذِب!»

ظهرت ملامِح الغضب على وجه أنوبيس قبل أن تقول ليلى في محاولة لفض اشتباك وشيك: «ليس بعد!»

تعلّقت بها أعينهما، ظهر عدم الفهم على وجهيهما، قالت وهي ترسم أرق ابتساماتها على وجهها رغم الألم الذي تشعُر به: «لم يكذب بعد! يدّعي عدم الفهم كي يشتري لنفسه القليل من الوقت ليُفكّر في كذبة يُخبرك بها»

نظر لها أنوبيس بتحدٍ قليلًا قبل أن يقول وهو ينكّس رأسه قليلًا: «حسنًا، أنتما مُحقّان»

سأله هادي في غباء يُحسَد عليه: «ماذا تقصد؟»

تنهّد أنوبيس وهو ينظُر إليه قائلًا: «ظننتك أذكى من ذلك»

كاد هادي يُعقّب لكنه فضّل الصمت، اعتدل أنوبيس فوق مقعده، تألّم قليلًا قبل أن يقول: «عقدنا صفقة»

سأله هادي: «أن يكون التحقيق داخلي دون تدخُل أي جهات خارجية، مُقابل؟ أنت لم تُجِب سؤالي بعد»

ارتسمت ابتسامة حزينة على وجه أنوبيس وهو يقول: «مُقابِل أن أقدّم استقالتي من العمل بعد نهاية الأمر!»

شهقت ليلى، بينما قال هادي في اعتراض: «لكن هذا ليس..»

قاطعه أنوبيس بصرامة: «الأمر غير قابِل للنقاش، ناهيك عن كونه ليس من اختصاصك!»

صمت هادي قليلًا قبل أن يقول: «لن أقبل بالأمر، يجب أن نُفكّر في طريقة للتعامُل مع الأمر»

هزّ أنوبيس رأسه وهو يقول: «لا فائدة، قتل الشيطان في تحقيق داخلي

مُقابِل استقالتي، هـذا وإلا..»

كانت الجُملة واضحة وضوح الشمس، لا تحتاج لمزيدٍ من الشرح، سيطر الصمت على الجميع، انتكست الرؤوس، كان الجميع الآن يرى الحقيقة التي لطالما رفضوا الاعتراف بها، الأمور تزداد سوءًا!

فجأة.. رفع هادي رأسه ونظر إلى المُدير، عيناه مُتسعتان، ظهر بهما لمعة حماس غابت في الفترة الأخيرة قبل أن يقول: «ذكّرني مرة أخرى.. ما هي الصفقة التي قُمت بها؟»

نظر له أنوبيس في غير فهم، كاد أن يقول شيئًا ما وعلامات الاعتراض تظهر فوق ملامحه، لكنّ هادي قاطعه قائلًا: «جارني فحسب.. ما هي الصفقة؟»

قال أنوبيس وهو يتنهّد: «أن نتعامَل مع الأمر داخليًا دون تدخُّل أي جهات خارجية، وحين نقتل الشيطان.. سأتقدّم باستقالتي!»

ابتسم هادي وهو يقول: «تبدو صفقة جيدة بالنسبة لي، لكن بها ثغرة ما!»

نظرا إليه، اتسعت ابتسامته وهو يقول: «ماذا لو لم يُقتَل الشيطان؟»

نظر إليه أنوبيس بتركيز وهو يسأله: «ماذا تقصِد؟»

قال هادي: «ماذا لو وجدنا طريقة للسيطرة على الشيطان؟ ماذا لو سلمناه لهم حيًا؟ حبيس أحد تلك الأقفاص؟»

ظهرت علامات الفهم على أنوبيس وهو يقول في حماس: «حينها.. سنكون مركزًا للقوة، ولدينا ورقة رابحة نستطيع بها تغيير الأمور تمامًا، لكن.. كيف سنفعل ذلك؟»

قال هادي: «لديّ خطة.. لكن عليكما أن تثقا بي!»

قالت ليلى بقلق: «لماذا تطلب منا الوثوق بك؟ هل الأمر خطير؟ هل سيعرض أحدنا حياته للخطر؟»

قال هادي وهو شارد قليلًا: «لا أريد أي نقاش، لكن خطتي تعتمد بالكامل على أن أكون طُعمًا في المصيدة التي سنستدرجه إليها»

قال أنوبيس بغضب: «لن أسمح بهذا أبدًا!»

اتسعت ابتسامة هادي وهو يقول: «أخشى أنه ليس لدينا خيار آخر، والآن.. لنبدأ في خطتنا الصغيرة»

***

الطريقة الأسهل لنشر سر على العلن هي أن تُخبره لشخص ما ثم تُخبره ألا يُخبره إلا لشخص يثق فيه فحسب، واطلب منه أن يُخبر الشخص الذي نقل له السر أن يفعل الشيء ذاته، خلال سويعات قليلة.. ستجد سرَّك أشهر منك شخصيًا، ستُقابل إناس لا تعرفهم لكنهم يلوكون سرَّك في أفواههم، سترى قلوبًا لا تُحبك لكنها تتمتَّع بنشر سرَّك، وستشم روائح الفضيحة في الأجواء!

ربما تُضايقك الهمسات التي تنساب بينهم من خلف ظهرك، أو لحظات الصمت المُحرِجة التي تحدُث حين تدخُل غُرفة فجأة!

لكن.. في حال كان هذا هو ما ترغب فيه منذ البداية، ستطربك تلك الهمسات، وستنزل لحظات الصمت على قلبك كلوح ثلج يطفئ من نار قلقك ووحدتك!

بهذه الطريقة انتشر السر في أرجاء الإدارة، لم يبق مبنى في الإدارة إلا

ودلفه السر، لم يبق شخص في أرجاء المكان إلا وعَرِف السر، لكن الجميع كان يُخفي معرفته بالأمر، لا ينطِق به إلا همسًا، خوفًا من نشر الأمر، فصديقه الذي أخبره به، طلب منه ألا يُخبِره إلا لشخص يثق به، لن ينسى أن يتلفَّت حوله كلصٍ عتيد الإجرام، قبل أن يُخبِركَ كم يثق بك تمام الثقة!

عَرِف الجميع أن هادي الآن موجود في غُرفة سريّة في مبنى الإدارة، وبصُحبته ساعة قديمة لا يعرفون أهميتها، لكنهم يعرفون أن الإدارة تُخفيه في هذا المكان (السري) لسببٍ خفي، يتوقّعون أن تكشِف الأيام عن هذا السر قريبًا.

تناقلته الألسُن، همست به الشفاه، وكشفته القلوب، بالطبع هناك من تناقلوه في غرفٍ مُغلقة، وهناك من انتهكوا سريته في ممرات عامة، في النهاية.. وصل السر لأقبض بعد أن سَمِع عاملة نظافة تهمس به لزميلتها أثناء وجودهما في ممر من ممرات المبنى، كانتا تقفان تحت فتحة تهوية يختبئ خلفها.

أتاه هذا السر في الوقت المُناسِب، يحتاج للقليل من الراحة، يُريد العودة لداخِل الساعة ليستكين قليلًا، ليشحذ قواه ويستعيد عافيته، لم يتأقلم بعد على وجوده في الأجواء البشرية، وبما أن المرايا الموجودة في هذا المكان بأكملها مُغطّاة، فلم يجد سبيلًا لدخول إحداها، وبالتالي.. كان يحتاج لساعته، يشعُر بضعفه، تخونه قواه وتخور بالتدريج ليحل محلها ضعف لا تُحبّه نفسه ولا تقبله، لذلك بدأ في البحث فورًا، فهِم من الوهلة الأولى أنهم فهموا كُل شيء، وأنهم يحاولون إخفاء هادي عنه!

بدأ في الزحف في ممرات فتحات التهوية، وابتسامة ساخرة ترتسِم على شفتيه الشيطانيتين، كلما اقترب من فتحة تهوية، نظر من بين خصاصها باحثًا عن هدفه، طالَع غرفًا، معامِل، استراحات، مخازِن، مكاتِب

إدارية، قبل أن يجد ما يبحث عنه!

كانَت غُرفة صغيرة، نظيفة، لكنها لم تكُن واسِعة، غُرفة متوسّطة جدرانها بيضاء، يتوسَّطها مكتب خلفه مقعد خشبي، رأى هادي يجلس خلف المكتب متخشِّبًا، وأمامه تستقِر الساعة فوق المكتب، لكن شيئًا غريبًا لفت نظره!

هناك أربع صناديق ضخمة من الورق المقوى تحتَل أركان الغُرفة الأربعة، بطريقة تجعلها مواجهة لهادي تمامًا، ارتسمت على شفتيه ابتسامة وهو يهمس: «أكبر عيوب البشر هي البدائية!»

كانت نظرة واحدة فقط كافية ليفهَم الأمر، بالتأكيد تلك الصناديق مجوَّفة من الداخِل، بينما يحتل تجاويفها أربع رجال أمن مُسلَّحين على أعلى مستوى من أجل الفتك به حين يدلف إلى الغُرفة، لذلك كان لابد له من التحرُّك بشكلٍ سريعٍ، أسرع حتى من قدرتهم على فهم الأمر أو على التصرُّف!

وفي الحقيقة كانت خطته بسيطة للغاية، عاد للزحف في ممرات فتحات التهوية مرة أخرى، بحث عن غُرفة بعينها، كانت مخزنًا يحتوي على العديد من صناديق الورق المقوى، وأشياء ورقية أخرى، ركل غطاء فتحة التهوية، سقط أرضًا ليُحدِث دويًا عاليًا، انتظر قليلًا ليرى إن تحرَّك أي شخص ربما يكون قد سمع صوت الغطاء المعدني وهو يسقُط على الأرض، ساد الصمت ولم يبد أن أي شخص قد انتبه لما حدث.

هبط من فتحة التهوية برفقٍ، كانت لمسة واحدة منه كافية لتتأجَّج نيران قوية في المكان، عاد من المكان الذي أتى منه، انتظر قليلًا، ولم يخِب رجائه، انطلقت أجهزة الإنذار تصرُخ، وبدأت أجهزة مقاومة الحريق تعمل، بدأت رشّاشات المياه تبصق مياهها على الحريق في محاولة

للسيطرة عليه، عاد زحفًا للغُرفة الأخرى، سمع صوت طرق على الباب، قبل أن يُفتَح، دخل رجل يرتدي زي أمني رسمي للغُرفة وقال بصوتٍ عالٍ أن الخطة ستتأجَّل لحين السيطرة على الحريق، خرجوا من مخابئهم، كانوا خمسة.. هناك واحد لم يره من زاويته، من حُسن الحظ إذًا أنه فكَّر في تلك الخدعة، راقبهم وهم يخرجون من الغُرفة، تركوا هادي وحيدًا وأغلقوا الباب، كان هذا طبيعيًا.. بالتأكيد سيجازفون برفع الحراسة عنه في حالة الطوارئ، لكنهم وبكُل تأكيد.. لن يجازفوا بإخراجه من غُرفته الآمنة في مثل تلك الظروف.

وهو الأمر الذي أراده!

ركل فتحة التهوية وقفز سريعًا داخل الغُرفة، وصل إلى الأرض قبل حتى أن يصطدِم الغطاء المعدني بها، تحرَّك سريعًا نحو هادي، أمسك بتلابيبه ورفعه عاليًا، ظهر الفزع على وجه هادي الذي بدأت ملابسه بالاحتراق في الأماكِن التي لمسها أقبض، ظهرت علامات الغضب على وجهه وهو يقول: «هل ظننتم حقًا أنكم أقوى مني؟ أذكى مني؟ أنا أقبض يا أغبياء!»

رفعه في الهواء عاليًا وهو يُلقي به نحو أقرب حائط إليه، تجاهل تمامًا اصطدامه بالحائط وهو يتحرَّك ليُمسِك الساعة الموجودة فوق سطح المكتب، لكن في اللحظة التي أمسَك فيها بالساعة.. شعر أن هناك شيئًا خاطئًا، لم يحدُث بينه وبين الساعة أي اتصال روحاني من أي نوع، كما أن وزنها كان خفيفًا، قلَّب الساعة بين يديه للحظة قبل أن يُدرِك الأمر خير إدراك.. تلك لم تكُن الساعة الحقيقة!

كانت شبيهة بها!

ألقاها بغضب على الأرض لتتهشَّم وهو يُسرِع نحو هادي المُلقى أرضًا، أمسك به وهو يقول بغضبٍ اهتزَّت له جدران الغُرفة: «أين ساعتي أيها الـ..»

صمت تمامًا قبل أن يستكمل جُملته، فَهِم الأمر، رأى عين هادي تتبدَّل للحظةٍ واحدةٍ، صحيح أنها تغيَّرت للحظة.. لكنها كانت كافية ليفهم الأمر بأكمله، هذا ليس هادي! أعين البشر غير مشقوقة بالطول!

فَهِم الأمر.. هذا ليس هادي!

هذا مُتشبِّه!

أمسك برأس هادي المُزيَّف وانتزعها من عنقه، تجاهل الدم الأسود الداكِن الذي تناثر في كُل مكان، قبل أن يُلقي بالجُثة أرضًا في غضب ويعود لفتحة التهوية مرة أخرى، هذه المرة كان الغضب هو وقوده، هذه المرة كان أوان الاختباء قد انتهى، لم يعُد هناك فائدة من الاختباء والتخطيط!

هذه المرة.. كان عليه أن يُنهي الأمر تمامًا قبل أن تخور قواه أكثر من ذلك!

وقف في مكانه للحظة، فكَّر في تحركاته داخل ممرات فتحات التهوية، حدَّد أهدافه، وبدأ بالتحرُّك!

سيكون الأمر وبالًا عليهم!

عليهم الآن أن يدفعوا ثمن ما فعلوه!

***

قبل قليل في مكتب المُدير:

قال هادي وهو شارِد قليلًا: «لا أريد أي نقاش، لكن خطتي تعتمِد بالكامل على أن أكون طُعمًا في المصيدة التي سنستدرجه إليها»

قال أنوبيس بغضب: «لن أسمَح بهذا أبدًا»

اتسعت ابتسامة هادي وهو يقول: «أخشى أنه ليس لدينا خيارًا آخرًا، والآن.. لنبدأ في خطتنا الصغيرة»

اعتدل أنوبيس بعد أن أيقن أن لدى هادي ما يقوله: «اشرح لي الأمر»

قبل أن يبدأ هادي بشرح الأمر أضاف أنوبيس في صرامة: «لكن لو لم يُعجبني الأمر، أو لم أقتنع بالفكرة.. فالأمر مُنتهي ولا مجال للنقاش.. لن أجازِف بك»

حاول هادي الاعتراض قائلًا في غضب: «لكن..»

صاح به أنوبيس في صرامة: «لن.. أجازِف.. بك»

تنهَّد هادي في غضب قبل أن يقول: «حين واجهت هذا الشيطان للمرة الأولى بعد أن قَتَل المُفتِّش، تجسَّد لي في صورة والدتي، استطاع التظاهُر بها، تمكَّن من إجادة صوتها.. شكلها.. وحركاتها»

قاطعته ليلى وهي تقول: «لكن هذا مُستحيل تقريبًا.. لأنه لم يرها من قبل!»

التفت إليها وهو يقول بابتسامة: « هكذا فكَّرت بعد أن انتهى الأمر، لولا أن تذكَّرت شيئًا هامًا، لقد قابلها من قبل، رآها.. دخل إلى غُرفتها.. وحَصَد روحها، ربما كان هذا كافيًا له ليستطيع نسخ ذكرياتها أو حركاتها قبل أن يُكرِّرها أمامي ليخدعني» قاطعته ليلى مرة أخرى: «لكن ما حدث معي ينفي نظريتك تمامًا!»

أشار إليها أنوبيس وهو يقول: «اشرحِ لنا من فضلِك»

صمتت تمامًا وكأنها تتغلَّب على مشاعرها قبل أن تقول: «تجسَّد لي في هيئة العديد من معارفي أو أقربائي المتوفين، وهم أشخاص لم يرهم من قبل، لم يعرِف كيف يتحدَّثون أو كيف يتحرَّكون، لهذا نظريتك مُستحيلة تمامًا»

سألها في غضب طفولي: «إذًا كيف تُفسرين ما حدث لنا؟»

أجابه أنوبيس بهدوء: «يعبث بكما، يعبث بذكرياتكما، هذا هو التفسير المنطقي الوحيد يا هادي، استطاع الولوج إلى ذكرياتكما، بحث فيها عن أقسى أوجاعكما، أنت تلوم نفسك على وفاة والدتك.. لذلك تجسَّد لك في هيئتها ليُدمِّرك نفسيًا، أما ليلى فتخشى الموت لأنه يأخُذ منها كُل من تُحب.. بدءًا من والدها وانتهاءً بأكرم، لذلك تجسَّد لها في هيئة موتاها كي يقنعها بوجوب ترك الحياة والانضمام إليهم»

صمت هادي قليلًا وقد أدرك أن أنوبيس مُحِق تمامًا، كان الأمر مُعقَّد أكثر مما اعتقد، لكن هذا لن يُثنيه عن عرض فكرته.. حتى لو اضطر لتغيير بعض الأجزاء وارتجال القليل من الأحداث، وهو الأمر الذي بدأ في تنفيذه دون توقُّف، نظر إليهما بحماس وهو يقول: «لنُحاربه بطريقته»

سأله أنوبيس باهتمام: «ماذا تقصد؟»

ابتسم هادي كعادته حين يشعُر أنه محور اهتمام الموجودين من حوله وهو يبدأ بشرح خطته الصغيرة، كان قد شارك أكرم -رحمة الله عليه- في اصطياد مُتشبِّه، وكان يُدرك جيدًا قُدرة الأخير على التشبُّه بالبشر بسهولة عن طريق تغيير ملامحه، ونسخ حركاته، لكن دائمًا ما كانت نبرة صوته تفضح أمره بسهولة وهو الأمر الذي يختلِف فيه عن الويندیجو القادِر بسهولة على تقليد أصوات البشر، لكنه غير قادِر على التشبُّه بهم أبدًا.

كانت خطته بسيطة للغاية، تدريب أحد المُتشبّهين الموجودين في الأقفاص على التشبُّه بهادي، وتقليد الساعة بعد وضع النُسخة الأصلية في الغُرفة السرية المُحصَّنة الخاصة بأنوبيس، زرع بعض رجال الأمن في الغُرفة بشكل خفي، وانتظار ظهور الشيطان من أجل الإمساك به!

كانت الخطة عبقرية، خصوصًا أنها دون مجازفة بحياة هادي أو ليلى، راهَن الجميع على حنكة رجال الأمن في السيطرة على أقبض قبل أن يفتك بالمُتشبِّه، صدَّق عليها أنوبيس، وخلال ساعة واحدة كانوا قد درَّبوا المُتشبِّه على كُل شيء، زرعوا رجال الأمن في أماكنهم، وكان الجميع مُستعِد للقبض على أقبض للمرة الأخيرة وانهاء الأمر!

لكن الحريق المُباغت أربك الجميع، ظنَّوا أنه حريق عادي، واضطروا لتأجيل الخطة قليلًا لحين السيطرة عليه، من الصعب القبض على شيطان قوي وإحدى الغُرف المجاورة تحترق!

لكنهم لم يتوقَّعوا أبدًا أنهم وقعوا فريسة لفخ أحكم نصبه لهم، انتبهوا للأمر حين أطفأوا الحريق وعادوا للغُرفة، وجدوا الساعة مُهشَّمة، المُتشبِّه مقتول، وفتحة التهوية مُلقاة أرضًا، لم يكونوا بحاجة لخبير كي يشرح لهم ما حدث!

انتصر الشيطان في تلك الجولة!

لكنهم لم يتوقَّعوا أبدًا ما حَدَث بعد ذلك!

(21)

كانت نهايته وشيكة، أكَّد له وهنه وضعفه، نوبات الدوار وضعف الرؤية التي تُهاجمه كُلما بذَل مجهودٍ، يحتاج للساعة.. كانت هي نقطة قوته وملاذه الأخير كي يستطيع التغلب عليهم، لكن من دونها ستكون نهايته وشيكة للغاية!

زحف في ممرات فتحات التهوية وهو يحاول السيطرة على ضعفه، يكره الوهن والضعف، من الصعب قبول الضعف المؤقت لمن اعتاد القوة وذاق حلوها، كان يبذل مجهودًا مُضاعفًا في التفكير، ما حدث للتو لا يعني إلا شيء واحد فحسب.. أنهم أدركوا أهمية الساعة، وبالتالي.. أدركوا أهم نقاط ضعفه، لذلك خدعوه بذلك الشكل، ولولا ذكائه لوقع فريسة بين أيديهم.

أعماه الانتقام وهو يتحرَّك سريعًا محاولاً تحديد وجهته التالية، سؤال واحد يحاول اختراق ظلام الغضب الذي سيطر على تلابيب عقله مانعًا إياه من التفكير المنطقي، توقَّف.. ربما ليلتقط أنفاسه قليلاً، وربما ليمنح نفسه فرصة للتفكير المنطقي، لم يعُد الصراع الآن صراع قوة فحسب، بل هو صراع ذكاء أيضًا!

لا ينتصِر لاعبو الشطرنج على خصومهم بالقوة وإلا كان تكسير الرقعة هو الفيصل بينهم، بل هي الخطط التي يضعونها، الطريقة التي يتوقَّعون بها حركات خصومهم، وردود الفعل السريعة المُبتكرة، الشطرنج هو لعبة الخروج عن المألوف، كذلك هي الحياة.. تمنح لذة الانتصار للمُغامرين، وليس للجبناء.

ومثل الشطرنج تمامًا.. تمنَح الحياة للشُجعان الذين يقومون بالحركات الأولى أولويات النجاح والانتصار، بينما من يختار البقاء في مناطِق الدِفاع

فغالبًا لا تنتبه له الحياة ولا تعطيه أي أولويات باستثناء الأمان الزائف الذي يشعُر به.

لذلك كان عليه أن يكون صاحِب اليد العُليا، عليه أن يبدأ بهجومه سريعًا دون هوادة أو رحمة، عليه أن يكون سريعًا، أن يُحدِّد أهدافه قبل أن يصطادهم واحدًا تلو الآخر.

استكان في مكانه قليلًا، غير عابئ بالحركات السريعة التي يسمعها من خارج ممرات التهوية، أو خطوات الأقدام المتوترة وهي تعدو هنا وهناك، حدَّد أهدافه. رتَّبهم في خياله من الأخطر للأقل خطورة، حدَّد طريقه في ممرات التهوية قبل أن ينطلِق سريعًا نحو أول أهدافه!

عليه أن يكون سريعًا!

***

وقف أمام خزانته وهو يرتدي زيه الرسمي بسُرعة، لم يحظ بليلة كاملة من النوم الهانئ منذ حين، لا تُعجِبه أحوال الإدارة، ولا يرضيه ما يحدث فيها، العديد من الأحداث التي لا يجب أن تمُر مرور الكِرام تحدُث في الآونة الأخيرة، الكثير من حالات الوفاة الغامِضة الغير مفهومة تحدُث في الفترة الأخيرة، وكلها بها عامِل مُشترك واحد فقط!

ابن الخائن!

لم يكفه أن يخون والده الإدارة، وأن يبليهم بشيطانٍ قوي خارج الأقفاص لا يستطيعون السيطرة عليه حتى الآن، بل إن اللعين خدع رجاله وسرق أسلحتهم، يحاول أن يفبرِك العديد من المواقِف البطولية ظنًا منه أنه سيخدع الموجودين بالحديقة، لكنه رجل أمن.. وبالتأكيد لن يخدعه هادي بتلك الأفعال التي من الواضِح أنها مُفبرَكة ومُتفَق عليها، لم يكُن

يومًا من أنصار نظرية المؤامرة، لكنه مُقتنِع وواثِق تمام الثقة أن هادي يفعل كُل ذلك عن قصد من أجل شيء أكبر، لكنه لم يصل لهدفه بعد!

كان موت أكرم كارثة، وموت المُفتِّش كارثة أكبر، كان يعرف أنه حينما ينتهي هذا الأمر سيخضع للتحقيق، لكنه لن يتورَّط في الأمر بمُفرده، سيقول لجهات التحقيق كُل شيء، سيُخبرهم عن التجاوزات التي تمَّت في الإدارة، وعن تغاضي المُدير عن كثير من تلك الأمور دون سبب مفهوم.

أفاق من غرقه وسط بحور أفكاره حين سَمِع صوت طرقات على الباب، أغلق زر بنطاله وأحكم ربط حزامه من فوقه، قبل أن يتجه حافي القدمين نحو الباب، لم ينس أن يرمق جهاز الاستدعاء الخاص به بطرف عينه، لا يستقبِل الزيارات في غُرفته طالما جهازه مفتوح، لكن أحدهم لم يستدعه.. وهو الأمر الغريب.

فتح بابه قبل أن ينعقِد حاجباه وهو ينظُر لضيفته بشك، في النهاية تغلَّب على مفاجأته ووجد صوته وهو يسألها: «ماذا تفعلين هنا؟»

اختفت ابتسامتها وهي تقول: «هكذا تستقبلني؟»

كانَت زوجته هي التي تقف أمامه على باب غُرفته، وفي الحقيقة.. لم يتوقَّع أبدًا أن يراها هنا أبدًا، كان هذا أمرًا غريبًا خصوصًا في ظل حالة الطوارئ التي تمُر بها الإدارة في الوقت الحالي، حاول التغلُّب على ارتباكه وهو يقول في سُرعة: «بالطبع لا، لكننا الآن في حالة طوارئ قصوى لذلك لم أتوقَّع أن يسمحوا لكِ بدخول المكان!»

انعقد حاجباها وهي تقول في غضب: «ألا يكفيك أنك لم ترى زوجتك منذ ما يُقارب الشهر، وألغيت أجازتك الأخيرة بحجة العمل وضغوطه، وحين آتي أنا إليك.. تستقبلني بهذه الطريقة، حسنًا.. أنا عائدة مرة أخرى،

وحين تنتهي من العمل.. ستجدني في بيت والدي»

صمتت قليلًا قبل أن تُضيف في سُخرية: «أم تراكَ نسيته أيضًا؟»

ما بالها اليوم؟ لم تكُن يومًا حادة الطِباع بهذا الشكل؟

حاولت أن ترحل لكنه أمسك بذراعها وهو يحاول أن يجعلها تنتظر، كان جسدها ساخنًا بشكلٍ غريب، لكنه عزى الأمر لغضبها، أمسك ذراعها بحنو وهو يبتعِد عن الباب سامحًا لها بالدخول، أغلَق الباب من خلفها وهو يُفكِّر في أي عذر سيخبرها به من أجل أن يتحرَّك من فوره متجهًا إلى مخزن السلاح من أجل فتحه وبدء توزيع الأسلحة على الموجودين في الإدارة طبقًا للخطة «ح - 32» والتي بدأ تنفيذها منذ قليل.

فتحت ذراعيها بمجرَّد أن أغلق الباب وهي تقول له في دلالٍ أنثوي: «وحشتني»

كان حضنها هو نقطة ضعفه الوحيدة، المكان الذي يشعر فيه بالأمان وينسى تمامًا وحشية الدنيا وقسوة العالَم، ارتمى في حضنها وهو يُغلِق عينيه هامسًا: «وحشتيني أنتِ الأخرى»

بدأت باعتصاره داخِل أحضانها، في البداية كان الأمر مقبولًا، شعر بالأمان يتسلَّل إليه، لكن بعد قليل بدأ يشعر بالضيق، كانت تعتصره بقوة، آلمه جسده وأنَّت عظامه، حاول أن يبتعِد عنها، لكن يديها كانتا مُحكمة الغلق بشكلٍ لا قِبَل له به، سألها في ألم: «ما بكِ اليوم؟»

سَمِع فحيحًا من بين شفتيها ميَّزه من فوره، كان فحيح أفعى، اتسعت عيناه في هلع وجسده يبدأ بالارتعاد، حاول أن يبتعِد عنها، كان قويًا جسورًا لا يهاب حتى الموت، لكن الأفاعي! يا إلهي! لا يقدر على الاقتراب من واحدة حتى!

بدأ يشعر بملابسها وجسدها وهما يتحوَّلان لجلدٍ ناعم جعل قلبه يكاد يتوقَّف، حاول أن يبتعِد، لكنها ضمَّته لها أكثر، نظر إليها ورآهما للمرة الأولى، عينين صفراوين ضيقتين يسكنهما شر العالم أجمع، وفاه أفعوي ينطلِق من بين شفتيه لسان نحيف، أصدرت صوت الفحيح مرة أخرى وهي تزيد من قوة عصره، حاول أن يصرُخ حين بدأت عظامه بالتهشُّم، لكن فكها الذي بدأ يتسِع جعله يفقد أي قوة يحاول الاستنجاد بها، رأى هذا المشهد من قبل، ستعتصر جسده قبل أن يتسِع فمها لتبدأ في ابتلاعه ببطء، سمع المزيد من عظامه تتهشَّم، لم يعُد يستطيع أن يتحمَّل.. كان يجابِه أعتى كوابيسه في الوقت الحالي!

أغلق عينيه رغمًا عنه مستسلمًا للظلام الذي أحاط به من كل مكان، فقد وعيه ومعه حياته، توقَّف قلبه عن النبض، وتوقَّف صدره عن محاولة التنفُّس، ألقته الحية العملاقة جانبًا في غضب وهي تسترِد هيئتها الأولى!

أقيض!

رمقه بنظرة شيطانية وهو يبتسِم في سُخرية، فتح الباب وتأكَّد أن أحدًا لم يره قبل أن يتجه نحو فتحة التهوية التي أتى منها، تخلَّص من أول أهدافه الآن.. ضمن تأخير عملية تسليم السلاح لوقتٍ لا بأس به.

أما الآن.. فعليه أن يبدأ رحلته نحو الهدف الثاني وبأقصى سُرعة مُمكِنة!

***

تقلَّب في فراشه بقلقٍ، أصوات الضجيج التي تأتيه عبر بابه المُغلق لا تمكنه من الحصول على قسط من الراحة، كان يعرف أن المكان بأكمله في حالة طوارئ، وأن الجميع الآن إما في طريقهم لمخازن السلاح من أجل تسلُّم السلاح أو في طريقهم لتسلُّم محل خدمتهم الجديدة، بينما كان هو - بناءً على كونه واحدًا ممن تسلَّموا خدمات في الليلة الماضية

لمُدة 12 ساعة - من القلائل المسموح لهم بالتغيُّب عن حالة الحشد الموجودة حاليًا، على أن ينضَم لهم بعد 12 ساعة أخرى، هي مُدة الراحة المسموح له بالحصول عليها.

مدَّ يده دون أن يفتح عينيه وهو يبحث عن وسادته الصغيرة، أمسك بها ووضعها فوق وجهه في محاولة لكتم الصوت، لكنها كانت خشنة بشكل غير طبيعي، ظنّ أنها بعض الأتربة أو الأوساخ التي علقت بها حين سقطت منه أرضًا قبل أن ينام، قرَّر أن يغسلها حين يستيقظ، لكن في الوقت الحالي يريد أن ينام، تنهَّد وهو يتقلَّب مرة أخرى، حتى الفراش أصبح غير مُريح، يشعر بالمرتبة تتحرَّك من تحته، اللعنة على المراتب (الميري)، افتقَد مرتبته المُريحة الموجودة في البيت، لم ينسَ أن يلعَن الظروف التي قادت الجميع للتواجُد في المكان دون أن يستطيع أيهم الحصول على أجازته الشهرية، لم ينسَ أن يكون لهادي نصيب من لعناته! كان يشعر بالحنق على هذا الوغد وعلى المُدير الذي يحميه دون أي سبب مفهوم!

تقلَّب مرة أخرى، ما بال فراشه اليوم؟

ألقى بالوسادة بعيدًا وهو يزفر في حنق، سيضطر للقيام من فراشه كي يضيء الغُرفة، هناك بعد الفتات على فراشه، لهذا لا يجب أن يتناول أي شخص أي طعام فوق فراشه قبل النوم، مدَّ يده وكسل العالم يسكن عينيه ليجعل من وزن جفنيه أطنانًا، تحسَّس الحائط البارد قبل أن تصطدم يده بزر الإضاءة، أضاءه وأغلق عينيه قليلًا ريثما تعتادا الظلام، لكنه شهق حين فتح عينيه، كانت الغُرفة بأكملها مُغطاة بالعناكب، الجدران، الأرضية، السقف، وكافة الموجودات كانت مُغطاة بالعناكِب، منها ما هو صغير بشكل مُضحِك، ومنها ما هو كبير بشكل يُثير الفزع، شعر بضيق في التنفُّس، كان يعلم أنه على وشك أن يُصاب بنوبة فزع من العيار الثقيل!

التفّ ظنًا منه أن بإمكانه الهروب من الغُرفة، لكن كتائب العناكِب كانَت تنتظره هناك، لم يدرِ أن حركته المُفاجئة جعلتهم ينتبهون له، بدأوا في الاقتراب منه، تساقطوا من السقف فوق كتفيه، تسلَّقوا قدميه، دخلوا إلى ثنيات ملابسه، شعر بأقدامهم الصغيرة تخدش جسده، حاول أن يتنفَّس، لا يخشى في حياته أكثر من العناكِب، لو كانت تلك كلاب مُفترسة أو حتى سباع جائعة لاستطاع مقاومتها قليلًا على الأقل، لكن العناكِب.. كانت خوفه الأكبر!

لم يتحمَّل قلبه المُجهد هذا الكم من الفزع والخوف، أمسك بصدره وهو يسقط أرضًا فاغر الفاه، مُتسِع العينين، لكن خلال لحظات قليلة، كان بريق الحياة قد فارقهما، كان قلبه أضعف من أن يقاوم تلك المخلوقات المُخيفة.

بعد أن انتهت منه بدأت تتجمَّع، تقف فوق بعضها البعض لتكوِّن شكلًا مألوفًا، ومن تحتها ظهر وهو يبتسم، لم يتوقَّع أن الأمر سيكون بهذه السهولة، يُمكِنه اختراق ذكرياتهم بحثًا عن أكثر المواقِف المُرعِبة التي مرُّوا بها في حياتهم، ومن ثم استخدامها ضدهم بهذا الشكل، كذلك كان يعرِف أن في حال تغيُّب الضابِط المسؤول عن السلاح، فهذا من ينوب عنه ويحل محله، والآن.. بعد أن انتهى من الاثنين، ضمنَ المزيد من الوقت، تحرَّك سريعًا خارِج الغُرفة نحو فتحة تهوية مفتوحة، كان مُتجهًا نحو هدفه الثالث!

لا يوجد وقت ليضيعه!

***

توالَت الضربات المُفجِعة في عضد الإدارة، دون أن يدري أي شخص عن المؤامرة التي يحيكها ضدهم شيطان يائس يشعُر بالغضب في الخفاء،

تساقَطت نقاط قوتهم واحدة تلو الأخرى، دون أن يدروا عنهم شيئًا في خضم حالة الاستعداد والطوارئ القصوى التي خلَّفَت حالة من الفوضى في الإدارة، انتشَر الموظفون والجنود في ممرات المباني كأسراب من نمل فَزِع، ينتظرون أوامر ينفذونها دون أن يناقشونها أو يعارضونها، ليس ضعفًا أو عجزًا، بل هو تخبُّط بسبب نقص معرفة مقصود عمَّا يحدث بين جدران تلك الإدارة في الآونة الأخيرة!

في البداية سقط مسؤول الأمن المُختَص بتوزيع السلاح، قبل أن يعقبه نائبه، خلفهما سقط مسؤول الإمداد، مُفسحًا الطريق لمسؤول النقل، ومن خلفهم مسؤول التخطيط الداخلي ونائبه، قبل أن تكون الضربة القاسية الموجعة في مسؤول الإشارة داخل الإدارة، وهو المسؤول عن تواصُل الموجودين في المكان ببعضهم البعض، ودون تعليماته تُشَل كافة الاتصالات ووسائل التواصُل التي يستخدمونها هنا، حيث أن القوانين تنص على تغيير التردُّد وكلمات السر كُل بضع ساعات قليلة في حالات الطوارئ، والبروتوكول ينُص على أن التعليمات يجب أن تأتي مُباشرة من مسؤول الإشارة دون غيره، أما في حالة عجزه عن التواصُل أو غيابه ينوب عنه نائبه، المسؤول في نفس الوقت عن الإمدادات، والذي طالته يد الغدر منذ قليل!

بالطبع لم يتوقَّع أحدهم أن يتم القضاء على الثُنائي في وقتٍ قليلٍ مثلما حدث في الوقت الحالي، لكن بالطبع في مثل تلك الحالات تئوب إدارة الأمر أو القطاع برمته إلى رئيس الإدارة مُباشرةً، هذا بالطبع في حالة أن يكون قادرًا على أداء مهامه الوظيفة إضافةً لمهام من ينوب عنه، على أن المسؤول عن سن تلك القوانين لم يكُن يدري بإمكانية حدوث صراع شيطاني مثلما يدور في المكان منذ أيام!

لكن الأخبار السيئة تنتشِر، ويميل البشر دومًا لنشرها، خصوصًا في أوقات الأزمات، ليس خيانة للأمن الذي عاشوه بين جدران مكان ما - لا سَمَح الله - لكنه هروبًا للخوف والهلع في محاولة لجذب الانتباه، وهي

محاولات غير مُبرَّرة وليست مفهومة، لكنها طبيعة البشر دومًا، لذلك تناثرت الهمسات وانتشرَت الأقاويل يمنةً ويسارًا عن تساقُط القيادات واحدًا تلو الآخر، ودون أن يكون لأقبض يد في الأمر، بدأ ضِعاف النفوس في نشر الإشاعات في المكان بأكمله، غير عابئين بنفسيات تتحطَّم وأمل يتلاشى داخل نفوس الكثيرين مما ينخُر في قواهم التي كان من المُمكِن أن يكون لها الغلبة في حال حدوث مواجهة مُباشِرة بينهم وبين أقبض، ناهيك طبعًا عن كثرتهم العددية كجيش مُقابِل شيطان واحد!

لكنه - والحق يُقال - كان سعيدًا عمَّا يحدُث، فاقت سُرعة انتشار الشائعات أجمل أحلامه، ودمَّر الخوف واليأس نفوس كانت قادرة على ضحده ومقاومته بسهولة، كان سعيدًا. وكانت سعادته هي الوقود الذي أعاد له قدرًا لا بأس به من قوته، شعر بالطاقة تسري في جسده الشيطاني، ابتسم وهو يرخف داخِل ممرات التهوية نحو وجهته الأخيرة، مكتب المُدير. كان قد قرَّر مُتسلِّحًا بالقوة التي يشعُر بها والطاقة التي أمدَّته بزهوٍ لا حدود له، أن يوجِّه ضربته الأخيرة نحو المُدير ذاته، مُستغِلًا حالته الصحية السيئة بعد أن هزمه في المرة الأخيرة، وحالته النفسية المُدمَّرة بعد أن نَجَح في كشف مقدار قوته الحقيقي.

وهو الأمر الذي فهمه أنوبيس فورًا، لذلك لجأ لخطة بديلة، لم تكُن مُقرَّرة يومًا، لكنه ارتجلها في اللحظات الأخيرة في محاولة لمنحهم الغَلَبة في صراع شيطاني على وشك أن يبدأ، أمر هادي أن يصحب ليلى ويدخُل للغُرفة المُحصَّنة الموجودة داخِل مكتبه، وبالطبع كان معهما سلاحه الأهم ورهانه الناجِح - حتى الآن - في الأمر برُمته، الساعة القديمة التي اتخذها أقبض سُكنى له، طلب منهما في صرامة أن يلزما تلك الغُرفة، وألا يخرجا منهما مهما كان الأمر، بالطبع كانت الغُرفة مليئة بالشاشات، وبالتالي عَرِف وفَهِم جيدًا أنه سيكون بإمكانهما مُراقبة ما يحدُث بالخارِج، وأنهما سيكونا قادرين على مُتابعة الصراع الذي على

وشك أن يدور.

حاول التظاهُر بالتماسُك، لكن اختلاجات ألم كانت تخونه فتطفو على سطح ملامحه للحظات كشفت أمره، لكنه رفض أن يقبل أي نقاش أو جدال من أي نوع، أغلَق باب الغُرفة، وحين اطمئن أنهما لم يَعُدا قادرين على رؤيته، سمح لوجهه وملامحه بحرية التعبير عن نوبة ألم عارم يمُر بها جسده بعد أن قمع حريتهما لوقتٍ لا بأس به، عضّ على شفته السُفلى وهو يتحرّك للخارج، كان يعرف أن الهجوم التالي سيكون قريبًا منه، أو على الأرجح سيكون عليه مُباشرةً، وبالتالي عليه أن يكون قريبًا من غُرفة مكتبه، لكنه كذلك وعى جيدًا تأثير غياب القادة عن أسراب المُجنّدين التي بدأ الفزع يخلخِل أوصالها ويهتك بعرض أمانها النفسي، وعَرف كذلك مدى التخبُّط الذي يشعُر به الموجودون في المكان، وقد أضحوا أقرَب للغرقى في محيط الفزع، باحثين عن شيء يتمسَّكون به لمقاومة نوبات القلق التي تنتابهم، فكّر قليلًا وهو يُراقِب الخطى السريعة للعديد من الجنود الراكضين أمامه دون أن يكلّف أحدهم نفسه عناء إلقاء التحية عليه، وهو بروتوكول مُتبَّع في المكان على غرار الكثير من المؤسَّسات العسكرية الرسمية والسرية.

عاد لغُرفته مرة أخرى، جلس على مقعده، وهو يضغط زرًا سريًا يختبئ تحت سطح مكتبه، انتظر قليلًا وهو يسمع الصوت الميكانيكي الذي بدأ يهدر بخفوت، بينما راقب درجًا خفيًا وهو يخرُج من مخبأه، كان يحتوى على وحدة حديث تُشبه كثيرًا أجهزة اللاسلكي العسكرية، وسلك نحيل يخرُج منها وهو يتلوى في عصبية إلى أن ينتهي رابطًا بينها وبين زرًا أحمر اللون يقبَع مُنتظرًا تحت قبة بلاستيكية شفافة صغيرة، رفع القبة البلاستيكية ليُعري الزر الأحمر، قبل أن يضغط عليه وهو يُقرِّب وحدة التكلُّم من شفتيه، بينما نقلت كافة مُكبِّرات الصوت الموجودة في المكان بأكمله صوته لكُل الموجودين في المكان، وللحظة

تجمَّد الجميع في أماكنهم في مشهد بدا وكأنه مشهد من أحد الأفلام الحربية تجمَّد على شاشة السينما بعد أن تعرَّض جهاز العرض لعطلٍ مفاجئ، وانطلَق صوته الأجش عبر السماعات ليصل إلى الجميع ومن بينهم أقبض نفسه!

«يا وُهَّاب الشروق..

بفضلكم، وبفضل من سبقوكم من الوُهَّاب، رأينا الشروق يومًا بعد يوم، وعلى مدار التاريخ، عبر العصور، وطوال الوقت تقريبًا.. تعرَّض الوُهَّاب لمِحنٍ ومصاعِب كانت أقوى من قدرة البشر على التحمُّل، لكنهم لم يكونوا بشرًا عاديين، بل بشرًا خلقوا لمقاومة الشرور، لوهب الشروق، لمحاربة الشياطين وكبح جماح شرِّها، وها أنتم من بعدهم.. تكمِلون مهمتهم، تهبون الشروق للأرض، مُضحيِّن في سبيل هذا بكُل غالٍ ونفيس، لم تكُن أرواحنا يومًا أغلى من مهامنا، ولم تكُن أجسادنا أسمى من أهدافنا، لطالما كُنا جنودًا مجهولين.. لم نطلُب يومًا تكريم أو منصِب، وها نحن اليوم هنا أمام اختبار تاريخي.. أمر سيُسطر في كُتب التاريخ، ها نحن اليوم أمام امتحان تاريخي.. إما أن نهِب شروق جديد لهذا الكوكب.. أو سنكون سببًا في بداية عصر شيطاني ظلامي تنتهي فيه سطوة البشر وسيطرتهم عليه..»

صمت قليلًا وقد اختنَق بكلماته حين تخيَّل للحظة ما سيحدُث لو نَجح الشياطين يومًا في منع شروق الشمس، قبل أن يُضيف: «للأبد»

تنهَّد وهو يقول: «أعلم أن غياب المسؤولين وانشغالهم عنكم خلق في نفوسكم نوعًا من الفوضى، وأن الخوف تسلَّل لقلوب مُعظمكم، وسَكن أوردة أغلبكُم، لكنني هنا من أجلكم.. لنتعامَل مع حالة الحشد مثلما تدرَّبنا من قبل، انتظروني في الميدان، قسِّموا أنفسكم لكتائِب، سرايا، وفصائل مثلما تنُص خطة الحشد، وخلال دقائق قليلة سأكون

وسطكم.. معكم.. لنتحرَّك جميعًا على قلب رجل واحِد من أجل هدف سامي لن نتراجَع عنه أو نتهاوَن فيه..»

مرَّت لحظة صمت قبل أن يدوي صوته عبر السماعات ليمس شغاف قلوبهم وهو يُنهي جُملته قائلًا: «لنهب هذا الكوكب شروقًا جديدًا!!»

أنهى كلماته وهو يستعِد للهبوط لأرض الميدان، كي يكون بين جنوده، وسط جيشه، كي يحل محل قادته بعد أن غابوا، يعرف أنه اضطَر للكذِب بعد أن قال لهم أنهم مشغولون في خطة أخرى، لكنه لو أخبرهم الحقيقة.. لو عرفوا أن قادتهم ماتوا وتركوهم في خضم معركة عنيفة، سيتسلَّل اليأس إلى قلوبهم، من نحن لنُجابه من قتل قادتنا المُخضرمين؟

وقف أمام مكتبه وهو يُفكِّر في خطة الحشد، كيف سيقنعهم بخوض تلك الحرب؟ كيف سيُرتب كلماته كي تترك أثرًا في قلوب من يسمعها؟ وماذا سيفعل؟

كان مُستغرقًا في التفكير للدرجة التي جعلته لا يسمع حفيف زحف أقبض وهو يخرُج من فتحة التهوية ويقترب منه بخطواتٍ بطيئة، وقف خلفه في صمت، وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة ساخرة مليئة بشرٍ لا حدود له، مد يديه ببطء نحو رقبة أنوبيس الغافِل عمّا يحدُث من خلفه!

(22)

طوَّرت الكثير من المخلوقات ما يُشبِه الحاسة السادِسة، ألم يسبُق أن شعرت يومًا بوجوب النظر في اتجاه مُعيَّن، وحين أطعت مشاعرك دون أن تفهَم لهذا سببًا، وجدت أن هناك من يُحدِّق بك؟

يقول العُلماء أن الأمر بدأ عند البشر والحيوانات على حد سواء منذ العصور القديمة، حيث طوَّرت المخلوقات التي عاشت في تلك العصور تلك الحاسة كي تحاول التغلُّب على محاولات صيدها من قِبل مخلوقات أشد شراسة، يكفيك فقط أن تشعُر بأن هناك من يُراقبك، ودون أن تعرف له مكانًا أو مخبئًا تجد نفسك تنظر نحوه مُباشرةً.

على يد أن الشياطين أيضًا طوَّرت تلك الحاسة لأسباب مُختلِفة تتمثَّل في الحروب والمعارك التي لا تكاد تتوقَّف في عوالمهم، بين قبائل الجن وعشائر الشياطين، لهذا شعر أنوبيس فجأة بوجوب النظر للخلف، دون سبب.. دون داعي.. دون منطِق مفهوم، فقط شعر بوجوب النظر للخلف.. ففعل ذلك بتلقائية شديدة!

وجد نفسه بغتةً يتطلَّع إلى عينين شيطانيتين، مليئتين بشر لم ير مثله من قبل، ابتسامة ساخرة مليئة بحقدٍ لم يكُن يعرف أن بإمكان شيطان واحد أن يمتلكه، حاول أن يتراجَع للخلف، أن يبتعِد عن نِطاق سطوته، لكن عنصر المُفاجأة تآمر عليه ليبطئ من حركته، كان تعثُّره وتردُّده كافيين للغاية كي يُمسِك أقبض برقبته وهو يعتصرها بين كفيه، كان أنوبيس مرهقًا، لم يتوقَّع أن تبدأ المعركة الجديدة بمثل هذه السُرعة، لكنه لو ترك نفسه ليغرق في بحر المُفاجأة.. لن يجد منه مهربًا، لذلك كان عليه التصرُّف سريعًا.

فورًا ودون تفكير حرَّك يده سريعًا نحو وجه أقبض المشغول بمحاولة

خنقـه، صوَّب اصبعـه النحيـل نحو مقلة عينه، دافعًا إياه نحوها دون تردُّد.. شعـر بيده وهي تفقـأها.. شعر بالدم وهو يسيل على يده.. شعر بمقلة العين المهروسة وهـي تتكمِش أمـام اصبعـه دون أن يتردَّد ولو للحظةٍ في التراجُع عن قراره..

صرح أقبض بوحشية وهـو يرخـي قبضته فوق رقبـة أنوبيس للحظات، كانـت كافية للغاية لأنوبيس كـي يركله بقدمه في صدره، ركلة شحنها بغضبٍ وقـوةٍ تركـت المُفاجأة أثرهما في نفسه، راقب أقبض وهو يطير في الهواء قبل أن يسقط فوق الأريكة التي لم تتحمَّل ثقل جسده فتهاوت تحته وخشبها يئن وهو يتحطَّم، سعل أنوبيس بقوة وهو يحاول أن يعود للتنفُّس بشكل طبيعي مرة أخرى، نظر لأقبض الذي كان يتألَّم وهو يجذب عمودا خشبيًا انغرس في معصمه، قبل أن ينظر نحو واحدة من كاميرات المُراقبة وهو يقول: «لا تخرجا تحت أي ظرف من الظروف.. هل تفهمان؟»

لم ينتظر ردًا بالطبع وهو يركض نحو أقبض صارخًا بقوة، كانت الصرخة تلهب الحماس في عروقه، كان من المُفترض أن تكون الغلبة له، لكن ارهاقه ويأس أقبض قلبا الموازين تمامًا، قبل أن يصل أنوبيس إليه وجده يقف أمامه، لم يفهم كيف تحرَّك بهذه السُرعة! لم يفهم كيف تخلَّص من الأجزاء الخشبية المغروسة في جسده جرَّاء سقوطه أرضًا! لم يفهم شيئًا سوى أن أقبض أمسكه من يده وألقى به بقوة نحو باب الغُرفة، كان جسده مازال مُحافظًا على سُرعته، التي توقَّع أن تقل قليلًا حين يصطدِم بأقبض، لكن الأخير حاد عنه وهو يركض، أمسك بيده جاذبًا إياه نحو باب الغُرفة، مانحًا إياه المزيد من السُرعة دون أدنى قدرة على المقاومة!

حاول أنوبيس أن يهدئ من سُرعته، أن يسيطر على اتجاه ركضه، أو حتى أن يرفع يديه في محاولة منه لتفادي اصطدام وشيك بحائط الغُرفة

الذي يحتوي على بابها، لكنه لم يقدر على شيءٍ من هذا!

اصطدم جسده بالجدار في عُنف، اخترقه في قوة وهو يتعثَّر في بقاياه ويسقط أرضًا، لكن هذا لم يكُن كافيًا ليبطئ من سُرعته قليلًا، تدحرج جسده أرضًا وهو يحاول أن يغطي وجهه بيديه في محاولةٍ بائسةٍ لحماية وجهه، عبر جسده الممر الموجود بين باب غرفة مكتبه وبين سور الدور الذي يحتوي على المكتب، أيقن أن الاصطدام قادِم لا محالة خصوصًا بمثل تلك السُرعة التي يتحرَّك بها، حاول أن يمد يديه بيأس.. في محاولةٍ للتشبُّث بأي شيء كان، لكنه لم يجد شيئًا في الممر الخالي..

اصطدم جسده بالسور الذي تهاوى أمام ثقله، قوته، وسُرعته قبل أن يهوي من علٍ دون أن يملك أي سيطرة على نفسه أو على جسده، كان جسده يهوي بعُنف إلى الأسفل.. نحو أرض الميدان.

التي اصطفَّت بها القوات في انتظار قدومه، لكنهم لم يتوقَّعوا قدومه بهذه الطريقة من هذا الاتجاه أبدًا!

***

سقط بعُنف زلزَل الأرض تحت أقدامهم، أثار سقوطه بمثل هذه السُرعة وبذلك العُنف عاصفة من الغُبار تصاعدت سريعًا لتنتشِر في كُل مكان، غير سامحة لهم برؤية أي شيء، لكن الهمسات تناقلت سريعًا من الألسُن لتسكُن في الآذان، قالوا إنه سَقَط ميتًا من فرط التعب والإرهاق، وقالوا كذلك أنه سقط صريعًا بعد صراع مع شيطان أشِر، أما الآخرون.. فارتجفت قلوبهم واليأس يسكنها، لكن أحد لم يجرؤ على أن ينطِق بكلمةٍ بصوتٍ عالٍ، تعلَّقت العيون بالغُبار في انتظار أن تخمُد ثورة غضبه ليتمكَّنوا من الرؤية بوضوح.

لا صوت علا فوق صوت دقَّات القلوب في تلك اللحظات.

اتضحَت الرؤية قليـلًا، تمكَّـن الجميع من رؤية جسـد المُدير الضخم وهو ساقِط أرضًـا؛ لكـن أيهـم لم يعـرِف قـدر المجهـود الخُـرافي الـذي يبذلـه في الوقت الحالـي ليُحافِظ علـى هيئتـه البشـرية، كان مُرهقًـا، مُتعبًـا، ومهزومًـا.. لكنـه لم يكُـن غبيًـا، لـو عرفـوا حقيقتـه الآن أو رأوا هويتـه الحقيقيـة لأسرعوا من أمامـه كمـن تُطاردهـم شـياطين الجحيـم دون أن ينتظِـر أحدهـم ولو للحظة كـي يتبيَّن حقيقـة الأمـر.

كان حانقًا على البشر، لم يكونـوا يومًا قادرين على تقليل قوتهم، ولم يثقوا بهم ثقة عمياء، لذا اضطر أنوبيس وأشقائه أن يثبتوا لهم حُسن نيَّتهم بالطريقة التي رآها البشر صحيحة، أنا يُنفى كُل منهم لقارة من قارات الأرض، حيث أن في فراقهم ضعفًا، وفي اتحادهم قوة، تزداد بقُربهم من بعض البعض، أما الآن.. وكُل منهم في قارة مُختلفة، فقواهم عادية للغاية مُقارنةً بقوى أنواع أخرى من الشياطين!

يا ليت البشر كانوا قادرين على الوثوق بهم! تمنى لو أن ست أو رع بجواره الآن!

لكنـه رغم ذلك ظل ساقطًا دون حِراك، إلا من انقباضات ألم سرت في جسـده فجعلت عضلاتـه ترتعِد، وقسماته تتقبض في ألم، قبل أن يعتدِل سمـع أحـد الموجوديـن في سـاحة القِتـال وهـو يشـهق بقـوة قبـل أن يخـرُج مـن الصف وهو يتراجَع للخلف، كانت عيناه مُعلَّقتين بالسماء والفزع يتراقص فيهما دون توقُّف، ردّة فعله كانت مُعدية، جعلت الجميع ينظُر للأعلى في فضـول، حينهـا رأى الجميع سبب خـوف زميلهم.

كان أقبـض يطـوف في الهـواء مـن قبلهـم، ملامحـه المُخيفـة، تحدّيـه للجاذبيـة، القـوة الـتي تبـدو علـى ملامحـه، والغضـب الـذي يُسيطِر على كيانـه كانـوا كافين ليبثـوا الخـوف في قلـوب الجميـع، طـاف في الهـواء قليلًا وهو يتأمَّل الجيش الجرَّار الذي ينتظره بالأسفل، لكنـه كان جيش

من البشر، الضُعفاء، الفانين، الغير قادرين على مقاومته أو الوقوف في طريقه، أنهى طوافه وهو ينطلِق للأسفل كالسهم قبل أن يستقِر على الأرض مُسببًا عاصفة ترابية أخرى.

لكن هذه المرة لم ينتظر هدوئها، تحرَّك نحو أنوبيس الراقد أرضًا وهو يُمسِك به من رقبته، قبل أن يرفعه للأعلى وهو يلقي به نحو الأرض بقوة، ومن جديد ثار الغبار وتطاير في الهواء.

توقَّع الجميع أن الأمر انتهى، كانت الضربة قوية للدرجة التي جعلَت الجميع يظن أن الهزيمة وشيكة لكن بمُجرَّد إنحسار الغبار رأى الجميع أنوبيس وهو يقف أمام أقبِض في تحدٍ، اتسعت عينا أقبض في دهشة. لم يتوقَّع أبدًا أن أنوبيس ما زال قادرًا على المواجهة أو على القِتال!

وقبل أن يستوعِب ما حدث أو يُدرِك الكيفية التي سيتصرَّف بها في مواجهة أنوبيس، شعر بقبضتي أنوبيس وهما تنفجران في صدره، كانت لكمة مزدوجة رجَّت عالمه بأكمله، سقط أرضًا وهو يزحَف دون مقاومة نحو كتيبة صغيرة كانت تُراقِب الأمر، حاولوا أن يبتعدوا عنه لكنه استمر في زحفه وهو يعرقل مسيرة هروبهم ليتساقطوا يمنةً ويسارًا من حوله دون توقُّف، بدوا كأجسام خشبية تسحقهم كرة البولينج الثقيلة، كاد أنوبيس أن يسقط من شدة الإرهاق لكنه تمالك نفسه وهو ينشج بعُنف، عض شفتيه في ألم وهو يقاوِم قبل أن يصرُخ في الجميع: «ماذا تنتظرون؟ افتحوا النيران!»

وفورًا بدأ الجميع في الحركة، وكأنهم أفاقوا لتوِّهم من غيبوبة جماعية، شدّ الجميع أجزاء الأسلحة وضغطوا أزندتهم، لكنهم نسوا شيئًا هامًا، كان التسليح العام في تلك الفترة هو التسليح العادي وليس الخاص، والفارق بينهما جوهري وكبير!

التسليح العادي هو الأسلحة الطبيعية التي من شأنها أن تقتل البشر بكُل بساطة، لكنها وللأسف الشديد لا تؤثّر ولو قليلًا في الشياطين والجان، على عكس التسليح الخاص تمامًا وهو الأسلّحة الخاصة القادرة على هزم أعتى الشياطين دون هوادة، والتي حرمهم منها أقبض حين استغل الفرصة وقتل كُلًا من مسؤول التسليح ونائبه دون رحمة، قبل أن يقرّر أن يزيد من فرصه في النصر وشنّ هجومًا عنيفًا استهدَف به المُدير مُباشرةً.

حين ضغط الجميع أزندتهم، انطلقت الرصاصات من فوهات الأسلحة في سُرعة، لكن الأمر لم يستمِر سوى لدقيقة واحدة أو يزيد قليلًا، حين رأى الجميع الرصاصات وهي تطيش من حول جسده وكأن هنالك درعًا خفيًا يصدها وقادِر على تفرقتها، ناهيك عن الرصاصات الطائشة التي بدأت تستقِر في صدور الجنود القريبين منه، بعد دقيقة، أدرك الأغلبية حماقة ما يفعلون، وتوقّفوا عن إطلاق الرصاص سريعًا، القليلين منهم وقفوا أماكنهم دون حِراك في دهشة وعدم تصديق، لكن الكثيرين هربوا، الفزع سيطر عليهم، اليأس تمكّن منهم، أما الخوف.. فتسيّد الموقف!

أسرعوا نحو البوابات في محاولة يائسة لفتحها والهروب من المكان بأسره، لكن القليلين وقفوا وقد تسلّحوا بالشجاعة، رافضين أن يتركوا أماكنهم في ساحة الحرب حتى لو عنى هذا أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة هنا، لقد أقسموا على الموت من أجل تُراب هذا الوطن وتلك الإدارة وهو القَسَم الذي لن ينكثوه مهما حدث!

وقف أقبض أمام الجميع وهو يفرد جسده، كان يعرف أنه بثّ الخوف لتوّه في قلوبهم، لكنه أراد تأكيد الأمر، أراد فرض سيطرته، أراد أن يُثبِت للجميع أنه السيد هنا!

صرخ بهم: «انتهى عصر وُهّاب الشروق.. وبدأ عهد الظلام»

صمت قليلًا وهو يتأمَّلهم بأعين مليئة بالغضب الممتزِج بالغرور قبل أن يُضيف: «وستكون جُثثكم هي الطريق الذي سيُمهِّد سيطرتنا على العالم»

أنهى كلماته وهو يُسرع نحو أنوبيس الذي اعتدل وهو يقف وقفة قتالية في استعداد، رأى أقبض وهو يتوجَّه نحوه مُندفعًا كالصاروخ، قرَّر أن يبادله بالهجوم هجومًا، اندفع نحو بدوره وهو يزأر في غضب، اهتزَّت المباني من حوله خوفًا من زئيره، لكن أقبض التفَّ حوله في اللحظة الأخيرة وهو يُمسك به من ظهره، أمسك برأسه وهو يندفع سريعًا نحو مبنى حديقة الشياطين، حاول أنوبيس أن يهدئ من سُرعته، أو حتى أن يُفلت من قبضة أقبض لكن الأخير كان أقوى وأسرع.

ألقى به بقوة نحو باب المبنى المعدني، حاول أنوبيس أن يقاوِم لكنه كان مُرهقًا حقًا، كما أن أقبض كان يتحرَّك وهو مُسلَّح بقوى اليأس، كونه يعلم جيدًا أن قواه على وشك أن تخور، وصدق من قال إن الخوف قادِر على صُنع المُعجزات.

لم يتحمَّل الباب المعدني ثِقَل جسد أنوبيس، أو القوة التي اندفع بها نحوه، سقط من تحته وهو يسمح لجسد أنوبيس أن يسقط أرضًا وسط الحديقة، ومن حوله.. زأرت الشياطين والمسوخ المحبوسة في الأقفاص وهي تنظر له في غضب!

بالخارِج.. تراجَع من تبقى من الجنود في خوف، كانوا بلا حول أو قوة، وأجهزة الإنذار ونفيرها المُرعِع الذي بدأ حين تهشَّم الباب كان كافيًا لإقناعهم بالتراجُع، لكن بالداخِل.. كان الأمر مُختلفًا..

للغاية!

***

كان أنوبيس راقِد أرضًا دون حِراك، لولا انقباضات الألم التي تظهر آثارها على محياه وتسكُن ملامحه بين حين وآخر، وصدره الذي يعلو ويهبط في سُرعة، لظنّه الجميع قد فارَق الحياة.

اقترب منه أقبض في بطء، ابتسامته الساخرة تسكُن شفتيه وتعلو وجهه، بينما تأمّل الشياطين والمسوخ الموجودة داخِل الأقفاص من حوله، اقتربوا من أسوار أقفاصهم وهم يراقبون ما يحدث والفضول يتراقص في أعينهم، فما يشاهدونه الآن كان كافيًا لقلب كافة الموازين!

راقبوا أقبض وهو يقترب من أنوبيس، توقّعوا أن ينتفض الأخير، أن يستمر في المقاومة، أن يحاول الدفاع عن نفسه، لكن شيئًا من هذا لم يحدُث، وصل إليه أقبض، نظر إليه بسُخرية قبل أن يرفع قدمه ويهوي بها فوق عنقه، تأمّل الجميع من حوله وهو يرفع رأسه مزهوًا بنفسه، نظر للخلف.. فشهق العديد من الجنود وهم يتراجعون للخلف فجأة، كانوا يعرفون جيدًا أنهم ليسوا ندًا لأي مواجهة من أي نوع مع هذا الشيطان المريد.

نظر للكيانات المحبوسة المُصطفّة داخِل الأقفاص من حوله وهو يقول بصوتٍ جهوري: «اليوم يوم مُميَّز.. اليوم يبدأ عهد الظلام، فمن عاهدني منكم.. فهو ضمن صفوف جيشي الجبّار، أما من خاف فهو خائن.. وجزاء خيانتي هو الموت!»

وكما توقّع تمامًا.. هاجت الشياطين وماجت، تجرّأت على أقفاصها وبدأت تزوم وتزأر بداخلها، انقبض قلب أنوبيس وهو يحاول التنفس بشكلٍ طبيعي، لكن قدم أقبض لم تعترِض فقط مجرى الهواء الداخِل إلى صدره، لكنها أيضًا اعترضت عزة نفسه وكرامته اللتين استهان بهما أقبض للغاية، حاول أن ينتفِض لكن الآن.. وفي تلك اللحظة.. كان أقبض هو الذي يتسيَّد الموقِف.

بدا وكأن كُل شيء ينتهي.. بدا وكأن عهد وُهَّاب الشروق قد انتهى.. أما عصر الظلام.. فسيبدأ قريبًا!

لكن هناك من كان له رأيًا آخرًا في كُل شيء!

سمع أقبض صوتًا يقول من خلفه: «أشعر وكأننا لم نر بعضنا منذ حين»

التفت في سُرعة ليتأمَّل ليلى التي تقف على باب الحديقة وهي تضع يديها في جيبي بنطالها وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة، ومن خلفها يظهر هادي.. صحيح أنه يتوارى خلفها لكنه كان موجودًا.

ظهرت علامات الغضب على وجه أقبض، لم يكُن يصدِّق ما يراه، خضع أنوبيس بكُل عظمته، هيبته، وقوته، والآن.. قبل أن ينتهي الأمر بلحظاتٍ قليلةٍ، ها هما زوج من البشر الفانين، مُسلَّحان بقوة وهمية وإيمان أعمى يظنان أنهما قادران على مواجهته، وقبل أن يتحرَّك أقبض من مكانه، انقسم رباطهما فجأة.. انطلقت ليلى تعدو نحوه فجأة، في حين تسلَّل هادي من خلفها سريعًا وهو ينطلِق خلف الأقفاص دون أن يراه أقبض، وفورًا قهقه أقبض في سُخرية!

تبًا لهؤلاء البشر.. كم هم ساذجون!

فَهِم خطتهما في لحظاتٍ قليلةٍ، أشبه بحصان طروادة لكنه مصنوع من السذاجة، مُهِمة ليلى كانت واضِحة للغاية.. أن تُشتِّت تركيزه وتلهيه عن هادي، ريثما يتسلَّل الأخير، الذي ربما كان مُسلحًا بشيء ما من أجل السيطرة عليه وقلب كفَّة كُل شيء!

وفي الحقيقة كان جاهزًا بالخطة التي ستوأد خطتهما قبل أن تبدأ، ترك أنوبيس وتحرَّك نحو ليلى في سُرعة، لكن أنوبيس -وإن كان ضعيفًا- أمسَك بقدمه في سُرعة، اختل توازنه فسقط أرضًا!

ربما لم تتهشَّم أي عظمة في جسد أقبض جرَّاء تلك السقطة، لكن كرامته وهيبته التي بناها في الدقائق الأخيرة تهشَّمت بعد أن سقط على وجهه، تقدَّمت نحوه ليلى، نظر إليها، رأى الخوف يتراقص في عينيها، بدا الفزع جليًا على محياها، لكنها كانَت تحاول أن تُخفي كُل هذا وهي تتقدَّم نحوه لتضع قدمها فوق رقبته، بالطريقة التي فعلها مع أنوبيس ذاتها، وقالت في صوت جهوري: «لن ينتهي عصر وُهَّاب الشروق أبدًا»

لم يكُن جسده يرتجِف من الخوف، أو من الضعف الذي بدأ يتسلَّل إلى خلايا جسده، لكنه كان الغضب، أمسك بقدمها وهو يُلقي بها في قوة نحو أقرب جدار، لم تقدر ليلى على مقاومته، كانت أضعف من أن تقاوم شيطانًا بهذه القوة أو بهذا الغضب الذي يسكنه سُكنى الروح، طارت في الهواء وهي تشهق من الفزع، وقبل أن تفهم ما حدث، شعرت بكيانها بأكمله يتحطَّم على الجدار الذي اصطدمت به، سمعت صوت عظامها وهي تتهشَّم، سمعت صوت جُمجمتها وهي تُشرَخ، رأت الظلام وهو يقترِب من بعيد وإن كان مشوشًا بفعل الدوار الذي اقتحم جمجمتها وسكنها، حاولت أن تقاوم، لكن مظهر يدها الملتوية بشكل مُريع، العظام التي اقتحمت ساقها وخرجت من جلدها لتُعلِن للعالم عن وجودها وبركة الدماء التي تنتشِر من حولها كانوا أكثر من أن تقاومهم!

استسلمت!

أغلقت عينها وهي تدعو الله ألا ينتهي عهدهم بهذه الطريقة!

وقف أقبض وهو يزأر في قوة، ارتعدت جدران الحديقة وأسوار الأقفاص خوفًا منه، تقدَّم نحو ليلى وعيناه تستشيطان غضبًا، أمسك بها ورفعها عاليًا، صرخ بها: «أعطيني سببًا واحدًا كيلا أنهي حياتكِ البائسة الآن»

لم يأته ردها لأنها فاقدة الوعي، غير قادرة على الحركة أو حتى على

النطق ببنت شفة، لكن الإجابة لم تأته منها على أي حال، سمع صوتًا يقول بسُخرية من خلفه: «أنا»

التفت له أقبض وهو ينظر له بغير فهم، اتسعت ابتسامة هادي وهو يقول: «سألتها عن سبب واحد كيلا تنهي حياتها، حسنًا.. أنا هذا السبب»

تركها أقبض تسقُط أرضًا، سمع هادي صوت عظمة أخرى تتهشَّم، زأر أقبض وهو يتقدَّم نحو هادي، لكنه توقَّف فجأة حين أيقن أن هناك ما يُخفيه الأخير خلف ظهره، نظر إليه بشك، سأله هادي: «هل تشعُر بالفضول؟»

شعر أقبض بالغضب يعتريه مرة أخرى، جرَّاء الطريقة التي يُعامله بها هادي، وكأنه طفل صغير في حضرة رجل بالغ، لكن هذا الغضب لم يكُن صافيًا، كان هناك بعض الفضول يشوبه، ويُعكِّر من صفوه، حاول هادي أن يتحرَّك لكن أقبض تبخَّر من مكانه قبل أن يتجسَّد أمامه، علامات الغضب تظهر جليةً على وجهه وهو يسأله: «ماذا تُخفي خلف ظهرك أيها الفاني؟»

ابتسم هادي في سُخرية وهو يقول: «أين آداب الحديث؟»

قال أقبض والغضب يستعِر في عينيه: «سألتك.. سؤالًا!»

لم يجد هادي بُدًا من كشف ستار ما يُخفيه، اتسعت ابتسامته وهو يُخرِج الساعة القديمة من خلف ظهره، زأر أقبض في غضب وهو يتقدَّم نحوه لكن هادي رفعها عاليًا وهو يقول: «لا تقترِب»

توقَّف أقبض في مكانه، كان يعرف أن هادي يُدرِك أهمية تلك الساعة بالنسبة له، قال هادي: «والآن.. أنا أمتلك السلاح الذي سنتفاوَض به»

زأر أقبض وهو يسأله: « ماذا تُريد؟»

قال هادي: «في الحقيقة أريد أن أقتلك، أن أجعلك عبرة لكُل هؤلاء، أن تكون المثل السيء الذي سيُحتذى بتجربته كيلا يقوم أيًا منهم بتقليده، لكن هذا - كما أظن - ليس خيارًا مُتاحًا»

لم يُعقِّب أقبض على جُملته، فعاد هادي للحديث مرة أخرى: «أن ترحل من هنا، تتركنا لنُلملِم شتات أنفسنا على أن يجمعنا لقاء آخر، أنت تعلم جيدًا أن هذه الساعة هي سُكناك الوحيد في هذا المكان، لا توجد مرايا مكشوفة، كانت هناك واحدة لكنها الآن مُهشّمة تمامًا، لذلك أنت لا تملُك حلًا سوى الموافقة على شروطي، وإلا..»

هدَّد بإلقاء الساعة أرضًا في حركةٍ سريعةٍ فتراجَع أقبض للخلف سريعًا في دهشة، لكن هادي لم يفعلها، استكمل حديثه: «بدون تلك الساعة ستخور قواك تدريجيًا، حتى وإن حرَّرت كُل تلك الشياطين، فستخور قواهم مثلك تمامًا بعد ساعات قليلة لن تسيطروا فيها على أي شيء، وستكون النهاية مُخزيَة للجميع»

قبل أن يُعقِّب أقبض عاد هادي للحديث: «ولكن.. إذا قَبِلت بشروطي، ستُتاح لك الفُرصة لتنظيم جيشك وحساب كُل شيء على أكمل وجه مُمكِن، وحينئذٍ سيكون لنا لقاء آخر.. لربما كانت الغلبة فيه لك!»

فكَّر أقبض، كان الأمر واضِحًا، حتى لو حاول السيطرة على هادي قبل أن يجيب عرضه، فإن الغلبة ستكون لهادي وستتهشّم الساعة، وحينئذٍ سيخسَر أقبض كُل شيء، ولربما حقَّق انتصارًا لحظيًا، لكن الخسارة قادمة لا محالة.

وجد نفسه مُجبرًا على قبول عرض هادي، لكن بشروطه الخاصّة، سيوافقه إلى أن يتحصَّل على الساعة قبل أن يختفي في مكان لن يعرفه

أحد في انتظار أن يستجمع قواه ويجهّز خطته قبل أن يبدأ الهجوم مرة أخرى.

مدّ يده نحو هادي من أجل الحصول على الساعة، قرَّب هادي الساعة منه قبل أن يقول: «لكن هناك شرط أخير»

اتسعت عينا أقبض وهو يُراقِب هادي وهو يُلقي بالساعة بعيدًا نحو حائط قريب قائلًا: «عليك أن تحصل عليها قبل أن تتهشم على الجدار»

حاول أقبض أن يمنعه عن إلقاءها لكن السيف كان قد سبق العزل، اصطدم به أقبض، طار هادي للخلف سريعًا قبل أن يصطدم بالأرض، تهشَّم ذراعه تحته وهو يزحف فوق الأرض على وجهه إلى أن اصطدم بحائط منعه من مزيد من تقدُم، أما أقبض فتحرك سريعًا، تبخَّر من مكانه تاركًا سحابة من ضباب رمادي خلفه قبل أن يظهر بين الساعة وبين الحائط ليتلقَّفها بين أحضانه، اتسعت ابتسامته وهو يراقِب هادي الذي استند إلى الحائط بيده السليمة، بينما تتدلى ذراعه المكسورة إلى جوار جسده بدون حول أو قوة، كان هادي يبتسِم رغم ألمه وهو يتحرَّك سريعًا نحو لوحة مفاتيح بجواره، كانت خطته قد سارت كيفما أراد، حتى الزاوية التي وقف بها من أجل أن يُلقيه أقبض إلى ذلك الحائط تحديدًا، ضغط بعض الأزرار في سُرعة وهو يقول لأقبض: «لم أكُن أعرِف أن الشياطين ساذجة لهذا القدر»

حينها انتبه أقبض للأمر، لم يُلقِي هادي الساعة بشكلٍ عشوائي، وإنما ألقاها نحو أحد الأقفاص المفتوحة، لم ينتبه أقبض للأمر إلا حين رأى الزجاج وهو يحيط به من كافة الاتجاهات، صرخ.. لكن الزجاج والموجات منعت انتشار صرخته، حصل على ساعته أخيرًا.. لكنه فقد حريته!

نظر هادي إليه وهو يتحرَّك نحوه، تتأرجَح ذراعه المكسورة بجواره، وعلى الرغم من ألمه إلا أن هادي نظر إليه بسُخرية وهو يقول: «مرحبًا بك في حديقة الشياطين»

كان أنوبيس بجوار ليلى مُتحاملًا على إصابته وهو يفحصها قبل أن ينظر لهادي وهو يقول: «ستكون بخير»

نظر هادي إلى أقبض وهو يقول: «أما أنت.. فلن تكون بخير»

اقترب من أنوبيس الذي حمل ليلى برفقٍ بين ذراعيه وهو يحتضنها قبل أن يسيرا ببطءٍ إلى الخارج وسط تصفيق حاد من الجنود الذين حاولوا لملمة شتات أنفسهم، وردَّدت جدران حديقة الشياطين صوت ضحكات انتصارهم الذي غطى فوق صوت صرخات أقبض المليئة بالغيظ والغضب.

ودون أن يدري أي من الموجودين على سطح هذا العالم أن صراعًا كهذا قد حدث، سيستمتع الجميع بشروقٍ جديدٍ بفضل وُهَّاب الشروق!

تمت بحمد الله



(ما بعد النهاية)

لم يمنعه الألم الذي يسري في جسده من أن يرفع يديه عاليًا، تحمَّل الألم وهو يقرأ الفاتحة، كان يقف بصُحبة ليلى التي جلست على كُرسي مُتحرِّك بجواره أمام قبر ضخم، كان يرقد بداخله جثمانان لزوج من الأصدقاء، فرقتهما الحياة ذات يوم، لكن الموت جمع بينهما داخل قبر واحد بعد توصية منهما أن يُدفنا سويًا.

طاهر الذي وصمته الخيانة قبل أن يخوض ابنه مُغامرة مخيفة لتبرئ ساحته، وأكرم الصلد الذي حارب لآخر نفس تنفّسه من أجل رفعة المكان الذي ينتمي إليه ومن أجل سُمعة صديقه.

خلال أسابيع قليلة سيتخلص هادي من الجبس الذي يحد من حركة ذراعه، أما ليلى فكانت إصابتها أخطر قليلا، لذلك ستظل جليسة هذا المقعد لقليلٍ من الوقت، لكنها ستستعيد قدرتها على الحياة بشكلٍ طبيعي في النهاية.

أتاهما صوت عميق من خارِج المقبرة يتساءل في فضول: «هل انتهيتما؟»

دون أن يجيباه خرجا من المقبرة، دفع هادي كُرسي ليلى وخرجا ليجدا أنوبيس في انتظارهما، استعاد هيئته البشرية، ابتسم وهو يقول: «لم أرد أن تفوتا هذا المنظر البديع»

أشار بيده نحو شروق الشمس، كان موعدًا غريبًا لزيارة المقابر لكن أنوبيس هو الذي صمَّم على هذا الميعاد من أجل هذه اللحظة تحديدًا، ابتسم وهو ينظر لداخِل المقبرة وهو يقول في راحة: «شروق جديد.. بفضل وُهَّاب الشروق»

وكأن جُملته كانت إيذانًا لصوت صفير حاد انطلق من جهاز صغير يحمله معه طوال الوقت، أخرجه وضغط عدة أزرار قبل أن يبدو القلق على وجهه، نظر هادي إلى ليلى بغير فهم، قبل أن يسأله هادي: ما الذي حدث؟»

ابتلع أنوبيس ريقه بصعوبة وهو يقول: «هناك شيطان هرب من قفصه في الحديقة»

سأله هادي: «هل نعرف هويته؟»

هزَّ أنوبيس رأسه بالإيجاب لكنه لم ينطِق بكلمة!

